

جمهوريـــة العـراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية / كلية التربية
قســم التاريخ

السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين

رسالة تقدم بها الطالب

سعد حسين حمادي المحمدي

إلى الجامعة العراقية/ كليه التربية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

أ.م.د. عمر عامر عبود

١٤٤٦ هـ   بغداد   ٢٠٢٤م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ
أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا
وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل (٣٥-٣٧).

إقرار المشرف

نشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة: **"السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين "**، المقدمة من قبل طالب الماجستير **(سعد حسين حمادي المحمدي)** قد جرت تحت إشرافنا في قسم التأريخ/ كلية التربية/ الجامعة العراقية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التأريخ الإسلامي.

التوقيع:

المشرف: أ.م. د. عمر عامر الجبوري

التاريخ: / / ٢٠٢٤

بناءً على هذه التوصيات، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ.م. د. عمر عامر الجبوري

رئيس قسم التأريخ

التاريخ : / /٢٠٢٤

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة " **السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين** "، المقدمة من قبل طالب الماجستير **(سعد حسين حمادي المحمدي)** قسم التأريخ/ كلية التربية/ الجامعة العراقية، قد جرى تقويمها لغوياً من قبلي، وقد وجدتها صالحة من الناحية اللغوية للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: د. محمد طلب مروان

التاريخ: / /٢٠٢٤

إقرار الخبير العلمي

نشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة " **السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين** "، المقدمة من قبل طالب الماجستير **(سعد حسين حمادي المحمدي)** قسم التأريخ/ كلية التربية/ الجامعة العراقية، قد جرى تقويمها علمياً من قبلنا، وقد وجدناها صالحة من الناحية العلمية للمناقشة.

التوقيع:	**التوقيع:**
الاسم: أ. د. عمار مرضي علاوي	**الاسم: أ.م.د. عثمان فاضل عباس**
التاريخ: / /٢٠٢٤	**التاريخ: / /٢٠٢٤**

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة أننا قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ: **" السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين"**، المقدمة من قبل طالب الماجستير **(سعد حسين حمادي المحمدي)**، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها، وهي جديرة بالقبول للحصول على شهادة الماجستير في التأريخ الاسلامي، بتقدير (   )

التوقيع:
الاسم: أ.د احمد علي صكر
التاريخ: / / ٢٠٢٤
(رئيساً)

التوقيع:
الاسم: أ.د شاكر محمود اسماعيل
التاريخ: / / ٢٠٢٤
(عضواً)

التوقيع:
الاسم: أ.م.د صباح كامل عرموط
التاريخ: / / ٢٠٢٤
(عضواً)

التوقيع:
الاسم: أ. م. د عمر عامر عبود
التاريخ: / / ٢٠٢٤
(عضواً/ مشرفاً)

مصادقة مجلس الكلية:

صادق مجلس كلية التربية/ الجامعة العراقية على قرار لجنة المناقشة

التوقيع
الأستاذ الدكتور: عمر مجيد عبد
عميد كلية التربية
/ /٢٠٢٤

الإهداء

خشوعاً واجلا وتعظيماً لمن علمني ما لا أعلم... الشكر لله سبحانه وتعالى

إلى سيد الكون وحبيب الحق وسيد الخلق سيدي الأكرم محمد ﷺ

وإلى قرة العين وتاج الرأس التي صبرت وتحملت ودعت بظهر الغيب

أمي الغالية وفاء جميل صبرها

وإلى من ربى وأنفق وعلم وأحسن ودعا بظهر الغيب والدي العزيز

بر ووفاء رحمة الله تعالى

وإلى من تقر العين هم إخواني وأخواتي وأسرتي جميعا

وإلى أصدقائي وزملائي جمعني الله وإياهم في دار الخلد

الباحث

شكر وعرفان

الحمدُ للهِ الذي علم الإنسان ما لم يعلم.... الحمد لله المنان، الملك القدوس السلام، مدبر الليالي والأيام، مصرف الشهور والأعوام، قدر الأمور فأجراها على أحسن نظام، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، الحمدُ لله على ما أنعم به علي من فضله الخير الكثير والعلم الوفير وأعانني على إنجاز هذا العمل الذي أحتسبه عبادة من العبادات، جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم.

كما أتقدم باسمى عبارات الشكر والتقدير الى والِدَي العزيزين اللذين غرسا في حب العلم من الصغر، وقدما لي كل غالي ونفيس، وكان لهما الفضل بعد الله فيما وصلت اليه الآن، فلا أملك الا الدعاء.........رحم الله أبي وأسكنه فسيح جناته......وأسالُ الله (سبحانه وتعالى) أن يحفظ لي والدتي وأن يمدها بالصحة وحسن العمل وبلوغ الجنان.

كما أتقدم بشكري وعرفاني لكلية التربية وعمادتها وأساتذتها وموظفيها لما بذلوه من جهدٍ مفنٍ في تقدم المسيرة العلمية....... وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ أحمد علي صكر، لما بذله من مساعدة وسيما اختياره موضوع رسالتي، وفتحهِ مكتبتهِ الخاصة لي، فله مني خالص المودة وأسمى الاعتبار.

وبعد حمد الله تعالى وشكره على إنهائي لهذه الرسالة، أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ أ.م.د عمر عامر عبود على ما قدمه لي من علم نافع وعطاء متميز وإرشاد مستمر، وعلى ما بذله من جهد متواصل ونصح وتوجيه من بداية مرحلة البحث حتى إتمام هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناته.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة قسم التاريخ، وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور عدنان علي كرموش والاستاذ الدكتور محمد كريم الجميلي والأستاذ الدكتور

عمر عبد الله عبد العزيز، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن إبراهيم الغنطوسي والأستاذ الدكتور صهيب محمد ناصر والأستاذ الدكتور احمد علي صكر لهم مني بالغ الشكر والعرفان.

وفائق شكري وامتناني الى الاستاذ علي حماد عوده على ما ابداه من توجيهات قيمة تصب في مصلحة الرسالة.

وكل من مد يد العون، أو أسدى لي معروفاً أو قدم لي نصيحة، أو كانت له أسهامة صغيرة أو كبيرة في انجاز هذا العمل....... فله مني خالص الشكر والتقدير.

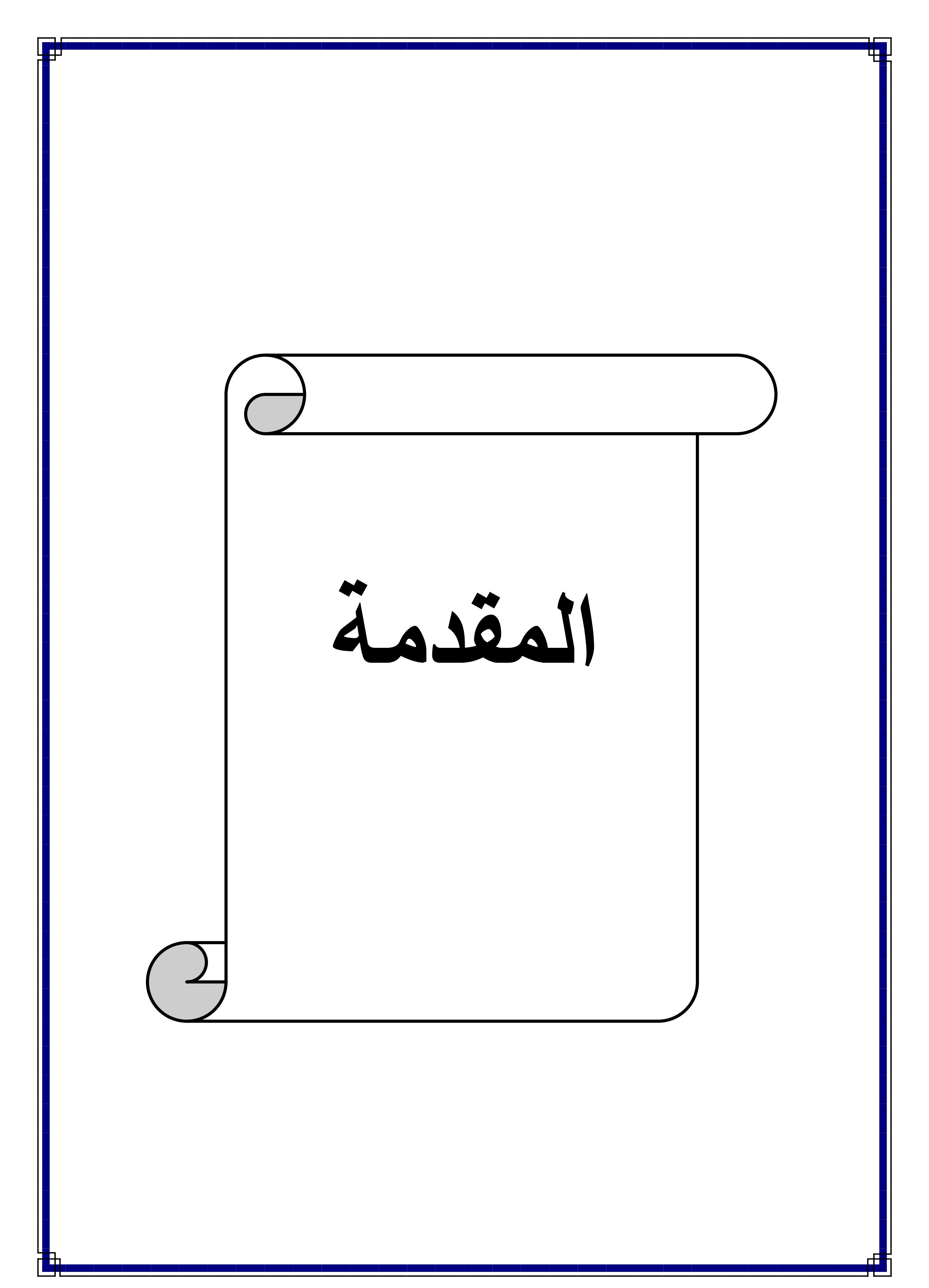
والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين......

الباحث

قائمة الرموز أو الاختصارات وما يقابلها من المصطلحات

الرمز أو الاختصار	الكلمة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
ص	صفحه
ط	طبعه
ق. م	قيل الميلاد
ق. هـ	قبل الهجرة
م	ميلادي
هـ	هجري

قائمة المحتويات


المقدمة

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد

المقدمة

لقد عرف العالم منذ أقدم العصور ألواناً متعددة من وسائل الاتصال المباشرة وغير المباشرة، دفعت إليها أسباب الحياة، ما يعتريها من حاجات ومشاكل، فكان من هذه الوسائل السفارة والوفادة، فالسفارة والوفادة أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من قبل قدماء المصريين.

لم تكن الأقوام العربية في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية واتساع أرجائها أقل من الأمم المجاورة لها في هذا المجال، بل إني أراها أكثر احتياجاً لهذا اللون من الاتصالات، نظراً لطبيعة الأرض، وظروف الحياة وقسوة العيش، وغلظ بعض النفوس وجفائها، وكثرة المشاكل على المستوى السياسي والاجتماعي، وما كانت تعكسه الحياة القبلية من ملابسات.

والجدير بالاهتمام، أن الموقع الاستراتيجي لبلاد العرب المتاخم لمراكز الحضارات القديمة مثل حضارة وادي الرافدين والحضارة الفينيقية والحضارة المصرية والحضارة الفارسية، قد ساعد على ازدهار السفارات العربية ودخول العرب في علاقات ودية مع جيرانهم، لاسيما في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، أذ شهدت تلك القرون تواصل العرب مع الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، أذ كانتا أكبر قوتين سياسيتين وعسكريتين يومئذٍ، لذلك توالت السفراء والوفود من المالك

العربية مثل الحيرة والغساسنة وكندة على هاتين الإمبراطوريتين، بالإضافة الى السفراء والوفود المحليين.

فإلى جانب العلاقات العربية الخارجية كانت هنالك علاقات داخلية بين الممالك العربية نفسها، وعلى الأصعدة كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تنوعت مطالب وأغراض تلك السفارات فمنها لفك الأسرى، ومنها لطلب الود وحسن الجوار، ومنها لعقد الأحلاف بين الدول والقبائل، فالإنسان بفطرته فرضت عليه حياته الاجتماعية أن يتصل بالآخرين ، وأن يتلقى ويلقي الأفكار والأخبار، وبحسب هذا الأساس تبحث الدراسة في مدى مقدرة الذهن العربي على الإبداع في مجال السفارة والوفادة، وذلك في تسخير الظروف وإيجاد السبل التي تتحقق بها الغايات والمقاصد، مستندين بذلك الى إرثهم الحضاري، لأنّ من الحقائق التاريخية الراسخة أنّ شبه الجزيرة العربية لم تكن في معزل عما حولها من حضارات، أسهمت إسهاما حضارياً ملحوظا ترك أثرهُ في الميراث الحضاري للإنسانية، فقد كانت صلة العرب بمن حولهم من شعوب ،وأمم قديمة تضرب في أغوار التاريخ على امتداد عصوره، وتبدل أدواره فلا بد لنا من استيعاب ذلك الماضي الوضئ وفهمه بالطرق الصحيحة، من دون التأثر بالآراء التي تحاول التقليل من شأن أمتنا العربية واستصغارها.

ولأنّ وجود السفارة والوفادة دليل على الرقي والحضارة كان لابد من إبراز ذلك الدور الذي ساهمت به عادات العرب المأثورة في حصانة وإكرام السفراء والموفودين.

ولسعة الموضوع واجه الباحث صعوبات مبعثها تعدد مفاصل الموضوع وفقراته مما اقتضى الرجوع إلى عدد كبير من المصادر والمراجع المختلفة لنعطي لكل فصل من فصول الرسالة ما يستحقه من تبيان وتوثيق مستندين في ذلك الى جملة من مصادر اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية مما تطلب بذل الجهود

المضاعفة، واستثمار معظم الوقت في البحث والتقصي بين ثنايا هذه المعارف المتنوعة ما يصلح منها لموضوع الدراسة، فضلاً عن ندرة أو انعدام المكتبة العربية من الدراسات الأكاديمية في هذا الموضوع، فمادته مبثوثة في بطون الكتب، ولكني بذلت جهداً في جمعها، بالإضافة إلى جهود أساتذتي الأفاضل.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت جانب من موضوع البحث ، ولكنها لن تغني البحث بمعلومات قيمة وذلك لاختلاف الحقبة التاريخية كون موضوع بحثي تناول القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، فمن هذه الدراسات

(١) السفارات ودورها في تدعيم العلاقات الدولية لعبد الرحمن عنان وهي رسالة ماجستير في الشريعة والقانون في جامعة الحاج خضره كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية الجزائر

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى أربعة فصول ولكل فصل ثلاث مباحث، زادت فقراتها أو نقصت بحسب ما اقتضى سياق الموضوع، وضروراته البحثية، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، وقائمة المصادر، وخلاصة باللغة الانكليزية.

بحثَ الفصل الأول في جغرافية شبه الجزيرة العربية، ثم تناولنا الموقع الجغرافي بالإضافة الى المناخ وأثره في طبيعة عمل السفراء والوفود، وفي نهاية الفصل بحثنا في أهم الطرق ووسائط النقل قبل الإسلام.

واختص الفصل الثاني في سفراء ووفود العرب قي مملكة الحيرة والإمبراطورية الساسانية، فتناولنا السفراء والوفود لغةً واصطلاحاً، بالإضافة الى المصطلحات المرادفة لها، مثل الرسول والمبعوث والبريد، وكذلك تناولت الدراسة السفراء والوفود في مملكة الحيرة، والسفراء والوفود الى كسرى للتفاخر بأحسابهم وأنسابهم وتفضيلهم قبائلهم على سائر الأمم.

وعرض الفصل الثالث سفراء ووفود قريش ودورهم في شبه الجزيرة العربية، حيث تناولت فيه وفود قريش الى اليمن وكذلك دور السفراء ووفود قريش في عقد الأحلاف بين الدول والقبائل، بالإضافة الى الوفادة الى الأسواق قبل الإسلام.

أما الفصل الرابع فركز على دور السفراء والوفود في الممالك العربية الأخرى، كالسفراء والوفود في مملكة الغساسنة، وأشهر السفراء والوفود في بلاط مملكة كندة قبل الإسلام، فضلاً عن التعرض لأشهر حروب العرب وأيامهم ووفود الصلح فيها.

ثانياً: عرض المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم:

يأتي القرآن الكريم متصدراً جميع المصادر، فهو يُعد من أهم المصادر العربية الإسلامية وأصدقها، لأنَّه منزّل من الله سبحان وتعالى، ولاشك في صحته، فقد تناولنا الآيات القرآنية التي تدل على السفارة والوفادة، بالإضافة الى الآيات التي أفادتنا في تأكيد وتوثيق بعض المعلومات التاريخية التي تناولناها في الرسالة، لذلك ورد استخدامه في جميع فصول الرسالة.

٢) كتب السيرة النبوية:

تعد كتب السيرة النبوية من المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لكونها تحدثت عن الكثير من الأخبار عن الأمم التي سبقت الإسلام، ويأتي في مقدمتها كتاب (السيرة النبوية لابن هشام أبو محمد بن عبد الملك (ت: ٢١٨هـ)، وبرزت أهميته في العديد من مباحث الرسالة، وكتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار)، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، (ت: ٢٧٥هـ)، حيث وجدت فيه معلومات تعن أهم الأسواق التي وجدت في شبه الجزيرة العربية، وبرزت أهميته في الفصل الثالث لاسيما المبحث الثالث من الفصل المذكور.

٣) كتب التاريخ العام:

تعد من المصادر الرئيسية التي لا يمكن للباحث التاريخي أن يستغني عنها، لأنها أساس دراسته، ففيها يتم التثبيت الحوادث التاريخية لاسيما التي تخص تاريخ العرب قبل الإسلام، حيث أغنت الرسالة بمعلومات مفيدة لاسيما المتعلقة بالقبائل والممالك العربية، وعلاقاتها السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، وذكر حالات الصراع والسلام بين القبائل العربية والدول المجاورة، وأبرز تلك المؤلفات (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، الذي أبداه منذ بداية الخليقة ومروراً بقصص الأنبياء والأمم السالفة وملوكهم، وأبرز الأحداث التي عاصرتهم، وتكاد لا تخلوا الرسالة بجميع بمباحثها عن ذلك المصدر الرئيسي، وكتاب (الكامل في التاريخ) للحسن علي بن محمد بن الأثير، (ت: ٦٣٠هـ)، وقدم معلومات تاريخية كثيرة تأتي في مقدمتها الحروب التي خاضها العرب مع الفرس الساسانيين أو ما بين العرب أنفسهم (أيام العرب)، إذ برزت أهميته في الفصل الرابع من الرسالة.

٤) المعاجم اللغوية:

لقد ساهمت المعاجم اللغوية في توضيح وتفسير معاني الكثير من المصطلحات والألفاظ اللغوية الغريبة، فضلاً عن تعريف مصطلح السفارة والوفد، وغيرها من المصطلحات، بالإضافة الى تناول تلك المعاجم الكثير من المعلومات التاريخية التي خصت تاريخ العرب قبل الإسلام، التي لم يتم إيجادها في المصادر التاريخية، وكان من أهم هذه المعاجم وفي مقدمتها: (المخصص لابن سيدة (ت: ٤٥٨هـ)، و (لسان العرب) لمحمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، (وتاج العروس من جواهر القاموس) لمحمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) حيث تناولت المعاجم كما ذكرنا

توضيح الكلمات الغريبة، بالإضافة الى تعاريف المصطلحات التي وردت في الرسالة، كالسفارة والوفادة وغيرها، حيث أفادتنا تلك المعاجم في كل فصول الرسالة.

٥) كتب الأدب (المصادر الأدبية):

كان للمصادر الأدبية أهمية كبيرة في دراستنا، فقد كانت تضاهي المصادر التاريخية في المعلومات والحوادث التي وردت فيها، حيث أعطت كتب الأدب تصوراً عن أبرز شعراء القبائل العربية الذين كانوا سفراء القبائل ولسانها الناطق، وطبيعة اتصالهم ببلاط المناذرة، والغساسنة وكندة وملوكها، وأبرز الصلات بينهم، كما أمدتنا بمعلومات عن أبرز التحالفات القبلية وأيام العرب قبل الإسلام، وما قيل فيها من شعر، وأبرز تلك المؤلفات والدواوين الشعرية، فهو كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، الذي ذكر فيه أسماء شعراء العرب وسفاراتهم، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه (ت: ٣٢٨هـ)، وقد وردت فيه الكثير من المعلومات التاريخية لاسيما الحروب التي خاضتها القبائل (أيام العرب)، فوجدت فيه مادة تاريخية كبيرة برزت أهميتها في معظم فصول ومباحث الرسالة، وكتاب (الأغاني)لبي فرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، الذي ذكر فيه شعراء العرب وقصائدهم، وكتاب (نهاية الإرب في فنون الأدب) لأحمد بن عبد الوهاب النويري ت: ٧٣٣هـ)، ويعد من الموسوعات الأدبية التي تحتوي على مادة تاريخية كبيرة، برزت أهميته في كل فصول الرسالة.

وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) لأحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، ويعد من الكتب المهمة التي برزت أهميته في كل فصول الرسالة، أما دواوين الشعر فقد أعطت صورة عن تحركات الشعراء وسفاراتهم الى الملوك ، والغرض من تلك السفارات، وأبرزها ديوان حسان بن ثابت، وديوان النابغة الذبياني، إذ نقلت الأشعار من دواوينهم.

٦) المعاجم الجغرافية وكتب البلدان:

قدمت المعاجم الجغرافية وكتب البلدان معلومات مهمة من الناحية الجغرافية، في تحديد العديد من الأماكن والتعرف عليها فضلاً عن ما قدمته من معلومات تاريخية لا تقل أهميتها عن المعلومات الموجودة في مصادر التاريخ، أو المصادر الأخرى، منها كتاب (صفة جزيرة العرب) للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت: ٣٦٠هـ)، فقد ذكر فيه أماكن العرب وقبائلهم وحوادثهم، وكتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع(لعبد الله بن عزيز البكري (ت:٦٢٦هـ)، وقدم معلومات عن الكثير من المصطلحات الجغرافية، وساعد في تعريف العديد من أسماء المدن والجبال، وأفاد منه الباحث في كل فصول الرسالة.

وكتاب (معجم البلدان)، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ويعد من أهم المعاجم الجغرافية ذات القيمة العلمية، فقد احتوى على معلومات متنوعة جغرافية وتاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية، ولا يمكن الاستغناء عنه فقد ساهم في تحديد الأماكن التي لم تذكرها المعاجم الجغرافية الأخرى، لاسيما أنَّ ياقوت الحموي كان ينتقل من مكان الى آخر بين المدن والأمصار، لذلك كانت معلوماته دقيقة حتى أنَّ فائدته كانت قد برزت في كل فصول الرسالة.

٧) كتب التراجم والطبقات:

تعد من الكتب المهمة لابد للباحث الرجوع إليها، لما تحتويه من معلومات مهمة لبعض الشخصيات التي يرد ذكرها في متن البحث، ويأتي في مقدمتها كتاب (جمهرة أنساب العرب)، لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، وكتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، وكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر

العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، وكتاب (الأعلام) لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، وبرزت هذه الكتب في جميع فصول الرسالة.

٨) المراجع الحديثة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المراجع الحديثة التي هي بمثابة دليل أولي للوصول الى أمهات الكتب (المصادر)، فكان لها دور كبير في تعزيز معلومات الرسالة، لما تحتويه من آراء وتحليل للعديد من الروايات، فكان لها أثر كبير في إرشادنا الى تصور كبير للحقائق التاريخية، ومن أبرز تلك المراجع: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، للأستاذ جواد علي، الذي عد من أهم المراجع الحديثة التي لا يمكن للباحث في تاريخ العرب قبل الإسلام الاستغناء عنها، حتى أنَّ بعض الباحثين يعدونه بمثابة مصدراً لتاريخ العرب قبل الإسلام، لما يحتويه من معلومات تاريخية مفصلة شملت كل جوانب حياة العرب قبل الإسلام، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية، لذا فائدته قد برزت في كل فصول الرسالة، وكتاب ٠العرب قبل الإسلام) لمحمود عرفة، الذي تناول فيه الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكتاب (إيلاف قريش)، لفكتور سحاب إذ أشاد فيه الى علاقات العرب التجارية وابرز أسواقهم.

٩) الرسائل والأطاريح الجامعية:

للرسائل والأطاريح الجامعية مساهمة جيدة بما قدمته من معلومات قيمة ساعدت على سد الكثير من الثغرات التي واجهت البحث، والتي استطعنا من خلالها الحصول على معلومات عن حياة العرب الاجتماعية والدينية كما أعطتنا معلومات عن تحالفات العرب وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، ومن أبرز تلك الرسائل هي (العلاقات التجارية بين اليمن وبلاد الشام قبل الميلاد) لأفنان محمد شجاع عبد الله

المـري، التـي بـرز دورهـا فـي الفصـل الأول، والحيـاة الاجتماعيـة فـي الحيـرة دولـة المنـاذرة، رسالة ماجستير في كلية الآداب جامعة الكوفة للباحث خالد موسى عبد الحسيني، وجاء دورها في الفصل الثاني من الرسالة، (والأعلام عند العرب قبل الإسلام)، رسالة ماجستير في كلية الآداب جامعة الكوفة للباحثة أمل عجيل إبراهيم الحسناوي، كانت ذا قيمة علمية أفادت دراستنا في الفصل الثاني أيضاً، فضلاً عن مصادر ومراجع أخرى عددية يضيق المجال عن تناولها هنا جميعاً، ولكن أشرت الى ما هو مميز عن غيره وكان له فائدة البحث.

وأسال اللهَ(تعالى) أن يكتب لنا التوفيق ويتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويجعله قبساً يضيء سبيل السارين في دنيا المعرفة، إنه سميع مجيب والله من وراء القصد، وهو الهادي الى سواء السبيل.

الباحث

الفصل الأول

جغرافية شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي

المبحث الثاني: المناخ وأثره في طبيعة عمل السفراء والوفود

المبحث الثالث: طرق ووسائط النقل

الفصل الأول: جغرافية شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية:

تقع شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي لقارة آسيا، وتكون منطقة واسعة تبلغ أكثر من (٣,٠٠٠,٠٠٠) كيلو متر مربع[١]، ويحدها من جهة الجنوب بحر العرب، ومن جهة الشرق الخليج العربي، ومن الغرب البحر الأحمر(بحر القلزم)[٢].

كما يحدها من الشمال بلاد الشام، وقد اختلفت حدودها الشمالية عند الجغرافيين والمؤرخين حسب اختلاف الدول والأزمنة[٣]، ونتيجة لإحاطتها بالبحار من ثلاث جهات فقد أطلق الجغرافيين العرب على بلادهم اسم (شبه الجزيرة العربية)[٤].

(١) فياض، علي أكبر، تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، جامعة القاهرة، (القاهرة–١٩٩٣م)، ص ٧.

(٢) الدباغ، مصطفى مراد، جزيرة العرب، منشورات الطليعة، (بيروت، ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص١٠.

(٣) معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط٢، مطبعة التضامن، (بغداد– ١٩٩٦م)، ص ١٩٦.

(٤) الهمداني، الحسن بن علي، (ت:٣٣٤هـ)، صفة الجزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، (صنعاء–١٩٩٠م)، ص ٤٧؛ ابن حوقل، أبو القاسم البغدادي، (ت:٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار صادر، (بيروت–١٩٣٨م)، ج١، ص ٦٩١؛ شكري ، الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة الرحمانية، (القاهرة– ١٩٥٢م)، ج١، ص ١٨٧ ؛ الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ص١١.

أما أقسام شبه الجزيرة العربية فقد اختلفت بين المصادر العربية والكلاسيكية (اليونانية والرومانية)، وبين المؤرخين العرب فقسم المؤرخون اليونان شبه الجزيرة العربية الى ثلاثة أقسام:

١-**بلاد العرب الصخرية:** وتمتد من جنوب رأس خليج العقبة وحتى فلسطين غرباً وتكون بلاد الشام شرقاً حداً لها وتكون قريبة من بلاد الرومان، وتشمل معظم الأراضي التي يسكن فيها الأنباط(١).

٢-**بلاد العرب الصحراوية:** وهي أوسع الأقاليم الثلاثة ويعنون بها بادية الشام، أي البادية التي تفصل العراق وبلاد الشام(٢)، وتمتد من حدود العراق وسوريا حتى المحيط الهندي محاذية للخليج العربي، ويعد نهر الفرات الحد الشرقي لهذا القسم(٣).

٣-**بلاد العرب السعيدة:** ويقصد بها اليمن(٤)،وقد سميت بالخضراء لكثرة زروعها وأشجارها وثمارها(٥)، فضلاً عن ذلك لم تكن حدودها الشمالية ثابتة، لأنها تتغير بتغير الأوضاع السياسية التي وقعت الى الشمال منها(٦).

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، (بيروت ١٩٩٥م)، ص ١٦ ؛ دغيم سميح، اديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٥، ص١٦.

(٢) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرف الجامعية، (الاسكندرية- د.ت)، ص ٩٥.

(٣) الموسوي والجنابي، تاريخ الاقتصاد العربي القديم، ص ٣٠.

(٤) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥١؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت:٦٢٢هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر (بيروت- ١٩٩٥م)، ج٥، ص ٤٤٧؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت:٢٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت- د.ت)، ص ٦٥ ؛ لويس برنارد، العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٥٤م)، ص٦٢؛ ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة: نجيب محمود، تقديم: محيي الدين صبار، دار الجيل، (بيروت-١٩٨٨م)، ج١١، ص١١٦.

(٦) الموسوي والجنابي، تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، ص ٢٨.

أما الجغرافيون العرب فقد قسموا شبه الجزيرة العربية الى خمسة أقسام وهي كالآتي:

١) **تهامة:** امتدت من سلسلة جبال السراة الى ساحل البحر الأحمر[١]، ومعنى تهامة الأرض المنخفضة، وقد سميت بذلك الاسم لأنَّها انحدرت انحداراً شديداً[٢]، واتسم مناخها بالحرارة الشديدة والرطوبة نتيجة انخفاض أرضها وقربها من البحر[٣].

٢) **نجد:** وهي هضبة عظيمة الارتفاع وامتدت من عسير والطائف وتقع في قلب شبه الجزيرة، ويحدها من الغرب جبال السراة، وقد سميت بنجد نتيجة ارتفاع أرضها[٤].

٣) **الحجار:** وهي سلسلة من جبال السراة التي فصلت بين نجد وتهامة، وامتدت من اليمن جنوباً حتى العقبة شمالاً، وقد سميت ببلاد الحجاز، وذلك لأنَّها حجزت بين نجد وتهامة[٥].

---

(١) ابن الفقيه، أبو عبد اله أحمد بن محمد بن إسحاق، (ت:٣٦٥هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، (بيروت- ١٩٩٦م)، ص ٨٤.

(٢) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٧.

(٤) ابن فقيه، البلدان، ص٨٥؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت:٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق: أحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة والنشر، (بيروت- ١٩٨٠م)، ص ٥٤٧.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥٠؛ ابن عبد الحق، صفي الدين بن مؤمن، (ت: ٧٩٣هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، (بيروت- ١٩٩١م)، ج١،= =ص ٣٨٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٣؛ محمود، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية، وأهم مظاهر حضارتهم، ص١٨.

٤) **العروض:** وشملت اليمامة وعمان والبحرين وسميت عروض لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق[١].

٥) **اليمن:** وامتدت من نجد الى المحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً واتصل بها من الشرق حضرموت وعمان[٢]، وبلاد الحجاز من الشمال وتخترق السرات اليمن الى الجنوب حتى البحر، وتتخللها الأودية التي انسابت فيها الأمطار، واشتهرت اليمن بغنى محاصيلها فضلاً عن تنوع تلك المحاصيل، أما مناخها فيكون معتدل حتى أنَّها سميت باليمن الخضراء، وهناك حقيقة جغرافية واضحة وهي أنَّها بسبب الجبال التي وقعت داخلها، كانت عرضة للرياح الموسمية، والتي أدت الى سقوط الأمطار، مما جعلت أرض اليمن تجود بمحاصيلها كالبن والفواكه والقمح والتوابل وغيرها من المحاصيل[٣].

---

(١) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت:٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، ط٣، عالم الكتب، (بيروت– ١٩٨٢م)، ج٣، ص ٩٧؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨؛ الموسوي والجنابي، تاريخ الاقتصاد العربي القديم، ص ٣٨.

(٢) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٤، مكتبة النهضة، (القاهرة– ١٩٩٦م)، ج١،ص١٠.

(٣) أحمد، أمين سليم جوانب من تاريخ وحضارات العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة–١٩٩٧م)، ص ٦٧.

المبحث الثاني: المناخ وأثره في طبيعة عمل السفراء والوفود

١-مناخ شبه الجزيرة العربية ومواردها:

عُدت شبه الجزيرة العربية حلقة في سلسلة الصحاري الممتدة من شمال أفريقيا وحتى أواسط آسيا، ومن ثمّ فقد كانت السمة الغالبة على مناخها أنَّه مناخ قاري حار جاف صيفا وبارد شتاءً[١].

وعلى الرغم من إحاطة البحار بشبه الجزيرة العربية من ثلاث جهات فإنَّها لم تفلح في مقاومة عوامل الجفاف، بصورة قوية، وذلك لأنَّ كل من البحر الأحمر والخليج العربي لم يساعدان على الحد من شدة الجفاف، بسبب ضيق كل منهما[٢].

أما البحر العربي في الجنوب، فإن رطوبته قد ساعدت على سقوط الأمطار في الأطراف التي تليه من شبه الجزيرة العربية، وإن كانت رياح السموم التي انتابت شبه الجزيرة العربية في مواسم معينة من السنة قد أفسدت على رياح البحر المحملة بمياه الأمطار عملها وامتصت رطوبتها قبل أن تمضي الى أعماق شبه الجزيرة[٣].

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ج١، ص ٦١٩.

(٢) الحميري ،الروض المعطار ،ج١، ص ٦١٩.

(٣) محمود، عرفة، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، دار الثقافة العربية ، (القاهرة ، د٠ط) ، ص٨.

وهكذا نلاحظ أنَّ الأمطار على وجه العموم قليلة في شبه الجزيرة العربية، ففي الحجاز سقطت الأمطار على نحو متقطع، ومن ثمّ انحبست الأمطار لعدة سنوات، ومن ثم فأنها سقطت بغزارة فتملأ الوديان بالماء وهددت السيول المدن بالغرق، لذا فقد خصص البلاذري فصلاً في كتابه: (فتوح البلدان) لأخبار سيول مكة[1].

أما وسط شبه الجزيرة العربية فقد أصابته بعض الأمطار من الغيوم المتبخرة من سطح الخليج العربي، وزادت نسبة سقوط الأمطار على المناطق المرتفعة، ويتميز جنوب شبه الجزيرة بحصوله على أمطار موسمية في فصل الصيف، تكون كافية لنشوء ربوع ومراعي خضراء، حيث الزراعة المنتظمة في اليمن وعسير وعمان[2].

ترتب على توزيع الأمطار في أقاليم شبه الجزيرة العربية ظهور نمطان أساسيان من أنماط الحياة فيها، ففي المناطق التي سقطت فيها نسبة من الامطار التي ساعدت على ظهور الزراعة المنتظمة. ظهرت الحياة الحضرية المستقرة وما تفرع عنها من مؤسسات ذات طابع اجتماعي وسياسي كما هو الحال في اليمن ومنطقة الهلال الخصيب، في شمال الجزيرة العربية، أَّما المناطق التي لا تسقط فيها الأمطار ، أو يكون سقوطها بنسبة قليلة فقد غلبت على أهلها حياة البداوة والترحال بحثاً عن الكلأ والماء لرعي الإبل والمواشي[3].

(١) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت:٣٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، (القاهرة–١٩٨٧م)، ص ٦٥.

(٢) شكري، فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ط٣، دار صادر، (بيروت–١٩٧٨م)، ص١٢–١٣.

(٣) شكري، فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص ١٤.

إنَّ ما تقدم يدل على أنَّ قلة الماء عد أكثر العوامل الجغرافية خطورة على حياة الإنسان في شبه الجزيرة العربية، فالحياة في جزيرة العرب هي حياة هبة الماء[1].

يبدو مما تقدم حيثما توفرت كميات المياه بنسب كافية فقد استطاع أبناء شبه الجزيرة العربية من استغلال الأراضي الخصبة خير استغلال وإقامة زراعة دائمة فيها.

نجح أبناء اليمن في مجال استغلال الأراضي للزراعة نجاحاً كبيراً، إذ عرفوا كيف يستغلون تربتهم، وعملوا مدارج على سفوح جبالهم وعلى المرتفعات وأصلحوا تربتها، وذلك لحصر مياه الأمطار عند نزولها ضمان لدخوله التربة وإروائها إذ وزعوا تلك المدارج أو السلالم العريضة على مختلف المزروعات، وذلك قبل الإسلام بأمد طويل فأمنوا بذلك خيراً وافراً لهم، جعل ذلك اليمن من اسعد بلاد جزيرة العرب فهي البلاد العربية السعيدة، والبلاد الخضراء بجدارة[2].

اشتهرت شبه الجزيرة العربية في موارد بعض واحاتها الخصبة بالزراعة، وفي مقدمة تلك الواحات والمناطق الخضراء التي انفردت بإنتاج البخور والصمغ

---

(١) الندوي ، أبو الحسن ، السيرة النبوية ، دار ابن كثير ، (دمشق ، ٢٠٠٤ م) ، ص ١٠٩.

(٢) الحمد جواد مطر، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، (خلال الألف الأول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي ٥٢٥م)، دار الثقافة العربية، (اليمن-٢٠٠٣م) ، ص ١٤.

والتمر، التي صدرتها الى بلدان الشرق الأدنى ومنطقة البحر المتوسط وكانت تلك المنتوجات سبب في رخاء اليمن وغناها[١].

ويلاحظ أنَّ تلك المنتوجات كانت من السلع الكمالية التي استخدمت في المعابد والقصور[٢]، فضلاً عن ذلك لم تقتصر منتوجات اليمن الزراعية على السلع الآنفة الذكر، بل تعدت الى أكثر من ذلك، فقد أنتجت الحبوب التي هي مصدر قوة البلاد، ومثال ذلك الحنطة والشعير والذرة والرز فضلاً عن الخضروات، والبقوليات، وأنواع الفاكهة مثل التين، والأعناب، والرمان، والزيتون، والتمر[٣].

ولم يكن إنتاج تلك المحاصيل موقوف على اليمن، بل إنَّه امتد الى جميع الأقاليم الجنوبية من جزيرة العرب وبعض المناطق الأخرى، التي وجدت فيها كميات مناسبة من الماء مثل الطائف ويثرب وغيرها[٤].

توفرت في الواحات المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية المختلفة المزروعات، ولكن على نطاق ضيق لاسيما النخيل، والنخيل هو سيد المزروعات فيه، وذلك لأنَّ النخيل نما وتكيّف وأثمر بسهولة ويسر في بيئة شبه جزيرة العرب،

---

(١) الجاويش، عبد الرحمن يوسف عبد الرحمن، الموارد الطبيعية في اليمن القديم حضارة اليمن نموذجاً، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة صنعاء، اليمن، ٢٠١٢م ، ص ١٣.

(٢) فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة– ١٩٣٦م)، ص ١٢٥.

(٣) دحاج، ليبيا عبد الله ناجي، المحاصيل الزراعية في اليمن القديم (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩، ص ١٩؛ جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ٢١٠–٢١١.

(٤) زغلول، سعد، تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت– ١٩٦٧م)، ص ٦٩–٧٠.

وقد استطاع العرب الاستفادة من النخلة سواء كانت حية أو ميتة، إذ أفادتهم في تقديم ثمره رطباً استطاعوا من خلاله معالجة عدد من الأمراض[١].

استخرج أبناء شبه الجزيرة العربية منها الخمر حتى أنَّهم لم يتركوا شيئاً من النخلة يذهب عبثاً، فهي رمز للخير والبركة عندهم، حيث زخرفت بها المعابد واستعملوا سعفها الأخضر في استقبال الأعياد والأبطال والملوك وكبار الضيوف[٢].

ارتبطت تربية الحيوانات واستثمارها بتوافر المياه والزراعة، فقد عرفت الأقاليم العربية التي توفرت فيها أسباب الزراعة تربية الحيوانات التي اتخذها العرب قبل الإسلام، أما مورداً من الموارد الطبيعية أو واسطة للنقل، كما سنوضحها في المبحث الثالث من هذا الفصل، ومن تلك الحيوانات الأبقار، الأغنام، الماعز، الحمير، البغال، الجمال..... وغيرها، كما سمحت تلك الأقاليم التي فيها أسباب الحياة للحيوانات بوجود أنواع كثيرة من الحيوانات البرية كالأسد، والنمر، والثعلب، والذئب، والقط البري، والضبع، والبقر الوحشي، والنعامة، والغزال، وغيرها وكان العرب يصطادون الكثير من تلك الحيوانات[٣].

انفرد الجمل عن بقية الحيوانات الأليفة الأخرى، إذ تمتع بمكانة خاصة عند العرب، وذلك لأنَّه قادر على العيش والتكيف مع ظروف شبه الجزيرة العربية ومناخها[٤].

---

(١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٣.

(٢) زغلول، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٧٠-٧١.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٧.

(٤) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٩٧.

وقبل ختام الحديث عن الثروة الحيوانية في شبه جزيرة العرب لا بد من الإشارة الى الثروة السمكية التي كانت ولا زالت أحد الموارد الطبيعية لسكان سواحل شبه الجزيرة العربية، والذي يصطاده سكان السواحل وكانوا يعيشون عليه، ويبيعونه لحماً جافاً ويصدرونه الى الأماكن البعيدة، وحملوا الطري منه الى الأماكن التي لا تبعد كثيراً عن الساحل، ويجفف ويدق ليكون طعاماً عند الحاجة إليه، كما كان طعاماً لحيواناتهم أيضاً[١].

٢-تأثير المناخ على طبيعة المجتمع عند العرب قبل الإسلام:

كان للمناخ تأثير كبير في حياة المجتمع في شبه الجزيرة العربية اذ كان له تأثير على طبيعة عمل السفراء والوفود ففي الجزيرة العربية وجد نمطين من أنماط المجتمع هما المجتمع البدوي والمجتمع الحضري فكان السفراء من المجتمع الحضري أكثر تحضراً من المجتمع البدوي وذلك بسبب قسوة العيش وغلظ النفوس وجفائها في المجتمع البدوي وكل ذلك بسبب تأثير المناخ ، فكما ذكرنا أنفاً .وجد نوعين أو نمطين من أنماط المجتمع هما (البدوي والحضري)

البداوة:

كان الجفاف الذي حلّ على معظم شبه الجزيرة العربية وعدم سقوط أمطار كافية ونشوء الزراعة الثابتة، إلا على الأطراف الجنوبية والشمالية، أدى ذلك الى نشوء نمطين من أنماط المعيشة، فالنمط الأول هو نمط حياة البداوة، والنمط الثاني حياة الحضارة الذين كانوا رحل يرتحلون بين أرجاء شبه الجزيرة العربية

---

(١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٤.

طلباً للكلأ والماء من أجل توفير الغذاء لأنفسهم ومواشيهم(١)، والحضر، التي سميت بحياة العرب المستقرين فهي تستند على الزراعة والصناعة والتجارة، ويقوم كل نمط من هذه الأنماط على نظام اقتصادي واجتماعي، مختلف اختلافاً جذرياً عن الآخر(٢).

سكن البدو في الخيام التي لا تغلق عليهم، أي أنَّ منازلهم وبيوتهم كانت من الخيام لا تغلق، وعند تأملهم الى المنازل التي سكن بها الحضر كانوا يجدون فيها معرّه ونقصاً إذ زعموا أنَّ الأبنية والأطلال التي سكن بها الحضر احتصرت الغذاء وامتنعت اتساع الهواء فسكنوا البدو الأفيح (المكان الواسع) الذي لا يخافون فيه حصر ومنازلة ضر فهم أقوى الناس هماً وأشدهم كلماً وأصحَهم أجساماً وأعزهم وأحماهم ذماراً وأفضلهم جواراً وأجودهم فطناً لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء فقد ملكوا الأرض ولم تملكهم(٣)، مقتصرين على الضروري من القوت والسكن وبقية الأحوال والعوائد(٤)، وإذا أجدبوا انتجعوا ،أي

(١) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، (الموصل_ ١٩٩١م)، ص ٢٠.

(٢) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٩٤؛ سعد زغلول، في تاريخ العرب، ص ٨٥.

(٣) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الأندلس، (بيروت–١٩٦٥م)، ج٢، ص ٩٦–٩٧

(٤) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت:٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار العودة، (بيروت–١٩٨١م)، ص ٩٧.

: طلبوا الكلأ من مواضع حتى أنَّ أحد الأعراب أجاب حين سأل أين منزلك؟ فقال: حين ينزل الغيث[(١)].

كان العرب من البدو رحل بحثاً عن العشب والمياه[(٢)]، وعلى وفق ذلك يبدو لأول وهلة أنَّ حياتهم متغيرة لكنها في الواقع ثابتة بتوتر حركتها الرتيبة، عاماً بعد عام وقرناً بعد قرن فتعد البداوة أقدم نمط اجتماعي للحياة التي عرفها الإنسان فهو أول تعايش له مع ظروف البيئة الطبيعية، التي اعتمد على مائدتها المبسوطة في كرم واسع وأحياناً في شح مرير، وأحياناً أخرى إذ تتحكم الطبيعة في الموارد والبدوي يسير ورائها متنقلاً ما تنقلت هذه الطبيعة وتحركت زماناً ومكاناً[(٣)].

كان نظام معيشة البدوي وطريقة تفكيره وما اعتاد عليه من كريم العادات وذميم الخصال، كان له بالغ الاثر في حياة البادية التي يحياها في الصحراء

(١) القرطبي، يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن الهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الجبل، (القاهرة– د.ت)، ص ٢٢٢.

(٢) ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي، (ت: ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثولوكية، (بيروت– ١٩٥٨م)، ص ٩٣.

(٣) السيد، عبد اللطيف عبد الهادي، جزيرة العرب قبل الإسلام عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث، (القاهرة– ٢٠٠٨م)، ص ١١٨.

التي جعلت البدوي شجاعاً فخوراً، وذا كف ندي في الأوقات العصيبة وهي التي جعلته راحلاً لا يكاد ينزل وضاعناً لا يكاد يقيم[١].

نظم البدو انفسهم بقبائل كانت أساسا للوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي قام عليها مجتمعهم وبحسب مفاهيم قبيلته وعاداتها وتقاليدها، تحد أفكار الفرد وآراءه، فهو مرتبط بقبيلته ارتباطاً يكاد يكون مصيرياً، إذ كان الولاء للقبيلة ضرورة لازمة للدفاع عن النفس، وكان العرف والتقاليد الناتجة من التجربة هو القانون السائر والمحترم في القبيلة[٢].

كان سيد القبيلة لا يعلن عن نفسه بالكلام والعبارة الصريحة، بل تعلن عنه صفاته وأفعاله حتى أنَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﵁ سأل رجلاً مَن سيد قومك؟ قال: أنا، فقال له كذبت، لو كنت كذلك لم تقل[٣]، وكذلك فعل أوس بن حارثة وحاتم بن عبد الله حين وفدا على النعمان بن المنذر ملك الحيرة في عام(٥٣٨-٥٧٩م)، فسأل الأول من الأفضل منها؟ فأجابه بأنَّ أدنى ولد حاتم أفضل مني، ثم سأل الثاني السؤال نفسه، فقال: أدنى ولد أوس أفضل مني، فقال النعمان هذا والله السؤدد(المجد والشرف)[٤].

---

(١) إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الحكم، (بيروت- د.ت)، ص ٨.

(٢) الخطيب، محمد، المجتمع العربي القديم العصر الجاهلي، ط٢، دار علاء الدين، (سورية-٢٠٠٨م)، ص ٣٨.

(٣) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت:٣٢٨) العقد الفريد، ط٣، تحقيق: مفيد قمحية وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٦م)، ص ١٤٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص١٤٥-١٤٦.

وعلى الرغم من أنَّ كلاً من حياة الحضارة والبداوة كانت تؤدي دورها في إشباع حاجات أصحابها في حياتهم اليومية، وتتعاون كلتا الحياتين في إشباع حاجات المجتمع على وجه العموم، فإنَّ الجدير بالذكر في هذا المجال، حياة البداوة لا تسمح لأصحابها بتجاوز المتطلبات الضرورية للعيش[١]، لاحظ ابن خلدون هذه الظاهرة بصورة جلية فقال ما نصّه: (أن تعاون البدو للحصول على القوت والكن[٢] والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلفة العيش من غير مزيد عليه بالعجز عما وراء ذلك)[٣].

أ) الحضر:

أما حياة الحضر فقد سمحت لأصحابها بسبب الاستقرار وممارسة الزراعة والتجارة والصناعة من تنمية ثرواتهم وتكوين مجتمعات متقدمة حضارياً، بسبب احتكاكها بالشعوب والأقوام المجاورة، ونتج عن ذلك سفراء ووفود بأعلى طراز الحضارة والثقافة، ويظهر ذلك جلياً وبصورة واضحة من خلال ما حققه العرب في اليمن والعراق والشام، فضلاً عن بعض المدن العربية القريبة من الواحات أو على طرق القوافل التجارية مثل مكة والمدينة والطائف وتدمر والحضر والحيرة[٤].

---

(١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٧.

(٢) هو كل مايقي من الأبنية والغيران .ينظر: مجموعة مؤلفين ، المعجم الوسيط ، ط٢، مجمع اللغة العربية ،(القاهرة ، ١٩٧٢م)،ج٢،ص٨٠٢.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج١، ص ١٢٠.

(٤) الجميلي، رشيد، تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، ط٣، مطبعة الرصافي، (بغداد– ١٩٧٦م)،ص ١٤٩.

فهم سكان الحواضر والقرى المبنية بيوتهم من الطين والحجارة قطنوا بيوتاً من اللبن، وبنوا مدنهم بالصفاح والحجارة، واستخدموا الأعمدة والرخام وزاولوا الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى[١].

والحضارة أحوال عادية وزائدة على الضروري من أحوال العمران وزيادة، بتفاوت الرفاه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر[٢]، وحواضر الجزيرة مواطن من تحضر من العرب ،أي : لزم مكاناً واحداً، وأقام فيه على وجه الاستقرار والدوام[٣].

فالى جانب البدو أقام فئة من الناس، عملوا بالزراعة في المناطق الخصبة مدناً زراعية ومدن تجارية، فالحضر مجتمع أقامه قوم من دعاة الاستقرار، رحلوا من البادية واستقروا في رقعة من الأرض وصاروا جماعة بدأت يتغير نضمها وثقافتها[٤]، إذ أخذ فيها العرب طرفاً من تجارة القوافل ونقل السلع وحراستها وساقتهم الطرق التجارية الى مدن لم تلبث أن نمت معها روابط قوية، فقد ظهر منهم من كانت له إمكانية الامتزاج مع المجتمعات ليست العربية فحسب، بل المجتمعات الأجنبية الأخرى، وقد نتج عن تلك التجارة السفراء والوفود الذين مثلوا بلادهم ليس

(١) ابن الأزرق، أبو عبد الله بن الأزرق، (ت: ٨٩٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، دار الحرية، (بغداد- ١٩٧٧م)، ج٢، ص ٢٧٣.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٩.

(٣) النجار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت- ٢٠٠٦م)، ص ٢٠.

(٤) النجار، فخري خليل، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء، (عمان- ٢٠٠٩م)، ص١٩.

على المستوى الاقتصادي فحسب، بل على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي، فالتجارة لا تقوم على تبادل السلع والنقود فحسب، بل إنَّها تتيح لمن يزاولها الاختلاط بتلك المجتمعات ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ونظمهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية[١].

ونقل معارفهم الى شبه الجزيرة العربية، لا سيما أنَّ رواد التجارة هم من كبار القوم وأكثرهم إدراكاً وعلماً وفقهاً وتحضراً في الغالب، وهم أكثر استعداداً للتأثر ونقل ما يرونه ملائم الى محيطهم الاجتماعي[٢].

ونتيجة لذلك ظهرت في عدد من المدن التجارية المتحضرة كمدينة مكة وغيرها من المدن وظائف تفاوتت في أهميتها الاجتماعية ووزعت على أحياء قريش وبطونها كالحجابة واللواء وهي راية قريش والسفارة والرفادة[٣]، ويكمن دور السفير في التوسط بين العرب وغيرهم في الخصومات، وإن نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه مناصراً ومفاخراً[٤].

وقد وصف الحضر بقولهم: " ولعل من كلف بها له مواهب وبلاغة منقطعة النظير، وفي البيئات الأكثر تحضراً المتاخمة للجزيرة العربية كمملكة الحيرة، إذ كان ملوكها يلبسون التيجان ويضعون ستارة تحجبهم عن زوارهم، فضلاً عن ذلك عمدوا الى بسط نفوذهم على القبائل المجاورة والمحافظة على سلطتهم بوسائل مختلفة منها

---

(١) سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الدولة العباسية، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية– ١٩٦٨م)، ج١، ص ١٢.

(٢) سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ج١، ص ١٢–١٣.

(٣) هي طعام كان يصنع للحجاج على طريق الضيافة . ينظر: صفي الرحمن المباركفوري ،ط١،دار الهلال ،(بيروت ،د.ط)، ص٢٤.

(٣) الجبلي، أحمد صالح، وظائف مكة، مجلة الدراسات اليمنية، العدد ٥٨، ١٩٩٨، ص ٧٣.

ما هي سياسة وإعلامية من خلال نظام السفارة والوفادة، كما أنَّ سكناهم في قصور ذات أثاث فاخر وحدائق غناء وقواربهم الأنيقة سطعت بالأنوار، وتلوح في الأفق، مما جعلهم ينافسون أكاسرة الفرس وقياصرة الروم في الترف والعظمة"[١].

وكانت تلك الممالك أرقى عقلاً ومدنية لمجاورتهم الفرس والروم، واتصالهم اتصالاً مباشراً ووثيقاً[٢].

إذ وصلوا مرحلة متقدمة من الثقافة والتحضر، فملك الفرس يزدجر الأول بن سابور[٣] قد بعث بابنة بهرام الى المنذر بن النعمان ملك الحيرة ليحضنه ويؤدبه بمؤدبين من العرب[٤]، وقد استطاع عرب ما قبل الإسلام أنَّ ينشأوا في محيط جزيرتهم وسائل الاتصال والتي وصفت بالانتقائية، وتعمل على نقل الأحداث والوقائع

---

(١) الجبلي، وظائف مكة، ص ٧٥.

(٢) أحمد محمد عبد القادر، الأعلام في القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة-٢٠٠٣م)، ص ٧١.

(٣) يزدجر الأول بن سابور: كان الملك الساساني الفارسي الثالث عشر، وحكم في الفترة من (٣٩٩-٤٢١م) قد سنحت في عهده فرص كثيرة لمحاربة الروم والاستيلاء على أرضهم في آسيا فلم ينتهزها، وبلغ في مسالمته إياهم أن الإمبراطور أركديوس أوصى إليه بحماية ابنه ثيودوسيوس الثاني فقبل يزدجر الوصية وأرسل أحد الخصيان من أولي العلم ليكون حارساً له، وقد سالم المسيحيين في بلاد فارس وأحسن إليهم بعد الذي لاقوا أيام سلفه لاسيما أيام سابور ذي الأكتاف، وقد جاء إليه مروثا أسقف العراق رسولاً يخبره بولاية ثيودسيوس، ثم داوى الملك من علة كانت به فحظى عنده، وقوى سلطانه عليه حتى أمر سنة (٤٠٦م) أن يمكن المسيحيون من العبادة جهاراً ومن إعادة كنائسهم، بل اضطهد المجوس في هذه السبيل، ولكنه اضطر بعد أن ينصر المجوس على المسيحيين، للمزيد ينظر: العنبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٩٢م)، ص ١٥٥.

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٦٧.

وفنون الشعر الى كل فرد فيها، إذ عاشوا في وحدة إعلامية لا نظير لها في عصرهم[١].

ومن الجدير بالذكر أنَّ عرب قبل الإسلام لم يكونوا جاهلين بما دار حولهم، فقد كانوا على صلة وثيقة ببلاد ما بين النهرين من جهة وبلاد الشام ومصر من جهة أخرى، ولها علاقات أخرى بالبلاد المجاورة ليست واثقة الى حد كبير، لكنها قائمة كبلاد الحبشة، وفارس ، وقد أشارت الدراسات الحديثة الى وجود صلات بين ممالك العرب قبل الإسلام والهند واليونان وأماكن أخرى في البحر المتوسط[٢].

مرت حياة العرب الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية بأنظمة مختلفة، نظراً لتباين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن أساليب إنتاجهم، إذ عرفت الجزيرة العربية بنوعيها البدوي والحضري، وتباينت أحوالهم وتباعدت تطلعاتهم واختص كل قسم منهم بنظام معين له قوانينه المحددة وقواعده المعروفة لكنهم عاشوا معاً مستخدمين شتى وسائل الاتصال بتلقائية مؤثرين ومتأثرين فيما بينهم أو مع من جاورهم من الأقوام والجماعات البشرية الأخرى[٣].

٣-التفاعل الحضاري:

ساعد موقع شبه الجزيرة العربية بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا على جعل طرق المواصلات الدولية البرية والبحرية التي ربطت بين تلك القارات الثلاث

---

(١) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود، (ت: ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال ، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار أحياء التراث، (القاهرة- ١٩٦٠م)، ص ٥١.

(٢) ينظر: مجموعة من الباحثين، بحوث ودراسات في تاريخ العرب، دار طلاس، (دمشق- ٢٠٠٠م)، ص ١٤٩.

(٣) ينظر: فرج، عفيف، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، دار الأدب، (بيروت- ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

تمر عبر أراضي شبه الجزيرة العربية، إذ كان لذلك أثره الكبير على الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية من جهة وعلى طبيعة عمل السفراء والوفود من جهة أخرى[١].

لقد دفعت شبه الجزيرة العربية ثمناً باهضاً من حريتها واستقلالها خلال فترات الضعف التي مرت بها، بسبب موقعها الحيوي بالنسبة للإمبراطوريات الكبرى التي أحاطت بها، أي أنَّ انفصالها النسبي عن العالم بسبب البحار المحيطة بها، فضلاً عن قسوة مناخها وتضاريسها الطبيعية، قد ساهمت في المحافظة على استقلالها ضد التسلط الأجنبي، باستثناء بعض أجزائها الشمالية والجنوبية[٢].

كما أنَّ وجود مراكز العطاء الحضاري المتقدم في أطراف شبه الجزيرة العربية، ووجود حاجة ملحة للتبادل التجاري عبر أراضيها ، قد أفسح المجال لنشوء مدن على طرق التجار التي ربطت شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وبذلك أصبحت تلك المدن مراكز مهمة للتبادل التجاري والتفاعل الحضاري على حد سواء[٣].

منح ذلك الواقع الجغرافي والتأثير المناخي الأعراب من البدو وظيفة اقتصادية مهمة وهي الاشتغال بالتجارة، لا سيما تجارة القوافل التي نقلت البضائع من جنوب

---

(١) ينظر: مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، لجنة البث والتأليف والترجمة والنشر، (السعودية– ١٩٧٧م)، ص ٢١١.

(٢) ينظر: الهادي، عبد اللطيف عبد، جزيرة العرب قبل الإسلام عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث، (القاهرة– ٢٠٠٨م)، ص ١١٩.

(٣) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٩٨؛ سوسة، أحمد، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية للنشر، (بغداد– ١٩٧٩م)، ص ١٢٠.

شبه الجزيرة العربية الى أطرافها الشمالية في بلاد الشام والعراق، فضلاً عن ذلك الوفادة الى الأسواق التجارية في موسم الحج عند العرب قبل الإسلام[١].

لقد وجد البدو الذين عاشوا على رعي الإبل مورداً اقتصادياً إضافياً ساعد على تحسن أحوالهم المعاشية والحضارية، وذلك لكونه أخرجهم من حياة العزلة وجعلهم على تماس تام ومتصل مع المراكز الحضرية في أطراف ووسط شبه الجزيرة العربية، وربما كان ذلك العامل من العوامل المهمة والتي أدت إلى إنتشار اللغة العربية الشمالية وتحولها الى لغة لكل العرب عند ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية وخارجها[٢].

يتضح من خلال ما سبق، أنَّ جفاف مناخ شبه الجزيرة العربية، وحصول بعض العوارض الطبيعية بين مدة وأخرى، كانحباس المطر لمدة طويلة، والجفاف في بعض الواحات والعيون، فضلاً عن عجز بوادي شبه الجزيرة العربية عن توفير الغذاء للأعداد المتزايدة من السكان، كل ذلك دفع هؤلاء السكان للهجرة الى مراكز الخصب والتقدم الحضاري، وأشارت وقائع التاريخ الى أن سهول وادي الرافدين وبلاد الشام كانت أكثر المواطن جذباً لهجرات أقوام شبه الجزيرة العربية وعلى مدار التاريخ.

---

(١) فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها، مقوماتها تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٨١م)، ص ٢٤–٢٥.

(٢) ينظر: العيسى، سالم، تاريخ الغساسنة، نسبهم حروبهم تنقلاتهم ديانتهم ثقافتهم، دار التمييز، (دمشق– ٢٠٠٧م)، ص ١٣–١٤.

المبحث الثالث: طرق ووسائط النقل:

ازدهرت في شبه الجزيرة العربية العديد من الصناعات والحرف ،وأخذت تلك الصناعات بالتطور والتوسع بصورة كبيرة حتى فاضت عن الحاجة المحلية في الممالك والمدن التي صنعت فيها، ونتيجة لدقة صناعتها اشتهرت وأخذت شهرة واسعة، سمح للعديد من التجار شراء المنتجات من المدن التي صنعت فيها، ليس داخل شبه الجزيرة العربية فقط، بل توسعت تجارتهم الى الخارج، مما أدى الى رفع المستوى الاقتصادي لهم وعند التكلم عن الطرق ووسائل النقل لابد من التطرق إلى التجارة لأنَّ العرب قبل الإسلام اكتشفوا وسائل النقل لأجل تنقلهم وتجارتهم.

عُدت لفظة التجارة لفظة سامية تعني البيع والشراء(١)، وتنمية المال بشراء البضائع بأرخص الأثمان وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة سواء أكانت دقيقاً أم زرعاً أو حيواناً أو قماشاً أو غيرها(٢).

وعدت التجارة الحرفة الوحيدة التي لم ينظر إليها العربي نظرة استهجان أو ازدراء، إذ عدت من أشرف المهن وأعلاها قدراً عندهم، وقد نظروا الى التاجر نظرة تقدير واعتزاز(٣)، مارس العرب التجارة منذ القدم وساعدهم على ذلك عدة عوامل، أبرزها:

---

(١) المعلوف، عيسى اسكندر، التجارة عند الأمم القديمة الى عهد العرب، مطبعة المقتطف، (القاهرة- ١٩٢٩م)، ص ٣٩٩.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، (الرياض- د.ت)، ج١، ص ٤٩٥.

(٣) الآلوسي، بلوغ الإرب، ج٣، ص ٣٨٥.

أ- وقوع جزيرة العرب في منتصف طريق التجارة العالمية، لاسيما وأنَّ شبه جزيرة العرب وقعت في موقع متوسط بين أعظم وأقدم الحضارات، إذ حدها من الشمال الشرقي بلاد فارس، ومن شمالها الغربي بلاد الروم، ومن الجنوب الغربي الحبشة، فقد كانت هنالك الكثير من الطرق التجارية التي تخترق جزيرتهم من الجنوب الى الشمال ومن الشرق الى الغرب[١].

ب- إبداع العرب في التجارة فكانت القوافل التجارية العربية تجوب الطرق والمسالك المنتشرة في شبه الجزيرة العربية، وقد ساعدهم على ذلك معرفتهم بمنازل النجوم الثابتة والسيارة، ومنازل القمر وحركات السحاب والرياح[٢].

كان للتجار العرب أصرار واضح على نشأة الممالك في شبه الجزيرة العربية أو زوالها، بسبب تحول الطرق التجارية عنها[٣]، ففي الشمال نشأت مدن عديدة على طرق التجارة الدولية، وقد قدمت تلك المدن الخدمات للمسافرين واستطاعت من الدخول معهم في صفقات تجارية[٤]، ثم سرعان ما تطورت تلك المدن نتيجة الدور الاقتصادي الذي لعبته في ميدان التجارة، فتحولت من مدن الى دول وممالك مستقلة بوحدتها، مثل مملكة الحضر والحيرة في العراق، ومملكة الأنباط وتدمر في بلاد الشام، وكذلك بطرا عاصمة الأنباط التي أدت دوراً مهماً على الطرق التجارية، فهي وقعت على طرق التجارة الدولية، والتي ربطت الشرق بالغرب، فقد كانت تجارة الهند

---

(١) حسن، علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية- الدولة العربية- الدولة العباسية)، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة- ١٩٥٣م)، ص ٢٠٠؛ الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، (القاهرة- ١٩٦٥م)، ٢١٩؛ أمين أحمد، فجر الإسلام، ص ١٢؛ الأفغاني، أسواق العرب، ص ١٥.

(٢) محمود، العرب قبل الإسلام، ص ٢٤٥.

(٣) برو، تاريخ العرب القديم، ص ٢٣٧.

(٤) الملاح، الوسيط في تاريخ الرب قبل الإسلام، ص ٢٠.

المتجهة الى موانئ البحر المتوسط تمر ببلادهم/ لاسيما إذ سلكت الطريق الذي مر باليمن– الحجاز– بطرا ومنها الى موانئ البحر المتوسط[١].

ملكت تلك الممالك نشاطاً تجارياً واسعاً، فقد وجدت آثار تجارتهم في سلوقية وديلوس ورودس وموانئ الشام والإسكندرية[٢]، أما في جنوب شبه الجزيرة العربية فقد قامت تجارتهم بشكل اساسي على الجزء الأكبر من مقوماتها أو مواردها الأولية الموجودة في البلاد، إذ أنَّ موقعها عند ملتقي البحر الأحمر، والمحيط الهندي أعطاها دوراً كبيراً مؤثراً في مجال الطرق التجارية، فالطرق البرية والبحرية التي مرت بها جعلتها في مقدمة الدول المزدهرة اقتصادياً وتجارياً[٣].

كانت التجارة ذات أهمية كبيرة في حياة العرب، حتى أنَّ الملوك والزعماء ورجال الدين قد اشتغلوا بها[٤]، إذ كان للنعمان بن المنذر ملك الحيرة علاقات تجارية مع بلاد الشام وعلاقات تجارية مع مدن الحجاز، إذ بعث قافلة تجارية (لطيمة)[٥] في كل عام الى سوق عكاظ فتباع هناك ويشترى في ثمنها الجلود والحرير والبرود والقصب والوشى[٦].

---

(١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٢٨.

(٢) العلى، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ٤٣.

(٣) الموسوي، جواد مطر، مقومات التجارة في اليمن القديم، بحث منشور في مجلة الكوت، العدد١، ٢٠٠٩م، ص ٧.

(٤) برو، تاريخ العرب القديم، ص ٢٣٧.

(٥) لطيمة: هي القوافل التي تحمل الطيب اي المسك والعنبر، ابن سيدة، المخصص، ج٣، ص ٢٦٧.

(٦) غنيمة، يوسف، الحيرة، (المدينة والمملكة العربية)، مطبعة دنكور، (بغداد– ١٩٣٦م)، ٢٦٧.

اعتمدت الحركة التجارية في شبه الجزيرة العربية بشكل أساسي على الطرق التجارية البرية، لأنَّ الطرق البحرية كانت خطرة بالنسبة للعرب وأنَّ عملهم بالملاحة قد جاء متأخراً لهذا فضلوا المتاجرة عبر الطرق البرية التي كانت جل اهتمامهم وأصبحت عماد تجارتهم[١].

اعتمد وجود الطرق التجارية على عدة عوامل جغرافية منها الأرض بتضاريسها، فضلاً عن وجود المياه ووجود المحطات التجارية التي كانت مهمتها إتاحة الخدمات للقوافل التجارية مثل توفير الجمال او الإدلاء أو الحراس، فكانت الوديان هي التي حددت مسارات الطرق الخارجية، إذ كثرت فيها المياه والعشب، لأنَّ قلة المياه والعشب عدت من المصاعب التي واجهت القوافل التجارية، لأنَّ الحيوانات التي اعتمدت عليها العرب في التجارة، كانت بحاجة الى الماء والعلف، لهذا نشأت المحطات التجارية حول الآبار، فقد أصبحت أهمية تلك المحطات تتوقف على وفرة المياه والأراضي القاحلة التي أحاطت بها أو وقوعها على تشعبات الطرق[٢].

شكّل شِكل شمال الحجاز أهمية كبيرة لطرق القوافل التجارية، إذ التقت فيها الطرق التي أتت من الشمال والغرب والشمال والجنوب[٣]، حتى أنَّ القبائل التي سكنت تلك الطرق وفرت للقوافل التجارية الحماية وأرشدتها على طول الطرق التي مرت عبر أراضيها وكانت تأخذ مقابل ذلك أجرة أو معلوم كجزء من البضاعة[٤].

---

(١) أمين، أحمد فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتب، (بيروت- ١٩٣٣م)، ص ١٢.

(٢) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، مطبعة الإرشاد، (بغداد- ١٩٩٧م)، ج١، ص ٣٧.

(٣) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج١، ص ٣٧.

(٤) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص ٢٩٢.

١) الطرق والمسالك:

اتصفت تضاريس شبه الجزيرة العربية بالتنوع، الى جانب الصحاري القاحلة كصحراء الربع الخالي، كما وجدت أقاليم خصبة كبلاد اليمن التي ذكرت سابقاً، وغيرها الى جانب البوادي الجافة، كما وجدت في شبه الجزيرة العربية وديان وآبار وجدت فيها المياه وأقيمت حولها المزارع، إذ مكن ذلك الواقع الجغرافي العرب من العيش وفق نمطين من أنماط المعيشة، وهما نمط الحياة البدوية، ونمط الحياة الحضرية[١]، ساعد ذلك الأمر على وجود عدد من الطرق التي استخدمت للقوافل التجارية والتي قطعت شبه الجزيرة العربية في كل اتجاه، وعليه هناك عدة أنواع من الطرق أهمها[٢]:

أ الطرق البرية:

اعتمدت التجارة في شبه الجزيرة العربية على العديد من الطرق البرية التي أسهمت في ازدهار التجارة وتطورها ومن تلك الطرق التجارية ما يأتي:

١) طريق البخور:

وهو من الطرق التجارية الرئيسية في شبه الجزيرة العربية، إذ ربط ذلك الطريق بلاد اليمن وبلاد الشام ومصر، ويبلغ طوله بحدود(١٠٠٠كم)، وقد أنشئ ليكون بديلاً عن تجارة الخليج العربي، والتي نشطت قديماً، ويبدأ طريق البخور من جنوب

---

(١) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٩؛ عواطف، أديب سلامة، قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني، ط١، دار المريخ، (الرياض– ١٩٩٤م)، ص ٢١٠.

(٢) مهيوب، غالب أحمد كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية، ومناطق الهلال الخصيب قبل الإسلام، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد ١١، ص ٣٨.

شبه الجزيرة العربية، إذ تجتمع هناك تجارة الهند والصين وتجارة اليمن نفسها[١]، سمي بطريق البخور نسبة الى أهم وأشهر السلع التجارية التي مرت بالطريق، إذ كان البخور من المواد المهمة لدى العرب والمجتمعات الأخرى، إذ عدّ بأنَّه عنصراً رئيسياً في الطقوس الدينية التي كانت متبعة لدى العالم القديم[٢].

٢) طريق الحرير:

هو الطريق الرئيسي الذي ربط العرب ببلاد الشرق والغرب، إذ كانت بلاد العرب بمثابة محطة وصل واستراحة، لاسيما بلاد الشام، وقد امتد ذلك الطريق من بلاد الصين الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وقد استمر استخدامه تجارياً الى آخر قرن قبل الإسلام، وسمي بطريق الحرير نسبة الى الحرير الذي كان محط اهتمام الملوك والأغنياء وقد اشتهرت الصين بإنتاجه[٣].

يبلغ طول طريق الحرير أكثر من خمسة آلاف ميل، وعدّ من أكثر الطرق التي سلكها التجار العرب على الرغم من طوله، والسبب يعود الى أكثرية وجود المياه على طوله، وقد بدأ طريق الحرير من وادي (هوانجهو) شمالي الصين، ثم يتفرع الى فرعين اتجه احدهما إلى هضبة سنكاريج ومر بشرش وخوتان وكاستنار، أما الثاني فقد اتجه إلى الشمال ومنها سار بين جبال تيان شان ثم التقى بالفرع الأول من جديد

(١) المري، أفنان محمد شجاع عبد الله، العلاقات التجارية بين اليمن وبلاد الشام قبل الميلاد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، ٢٠١٩، ص ١٠٦.

(٢) الجنابي، قيس حاتم هاني، الصلات التجارية بين شمال جزيرة العرب والصين قبل الإسلام، بحث منشور في المؤتمر الدولي الرابع، (العلاقات العربية الصينية)، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، ٢٠١٢، ص ٢٨.

(٣) برونستون، ايرين فرانك، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة– ١٩٩٧م)، ص ٨.

عند خوقند، ثم مرّ بسمرقند وبخارى إلى مدينة مرو ثم مرّ بإقليم خراسان عند مدينة نيسابور، ثم اتجه بعد ذلك الى مدينة همدان[١]، ويبدأ الطريق من مدينة ضفار ويستمر نحو شبوة ومأرب وقرناو، الى أن يصل الى نجران، ومنها يتفرع الى طريقين:

الطريق الأول: يتجه نحو الشمال الشرقي عند قرية الفاو في وادي الدواسره ثم يستمر إلى اليمامة والخليج العربي، ثم يصل الى جنوب بلاد وادي الرافدين[٢].

الطريق الثاني: يستمر من نجران الى شمال الجزيرة العربية الى وصوله الى ديدان(العلا)، واستمر الى البتراء، وهناك يتفرع الى عدة فروع، فيذهب فرع الى غزة إحدى موانئ البحر المتوسط، والفرع الثاني الى مدينة تدمر والثالث الى مصر، واستحدث فرع آخر وصل الى مدينة ايله وتدمر واهتم ولاة دمشق في الفرع الثالث حيث أقاموا عليه نقاط حراسة ومراكز استراحة[٣].

ذلك الطريق لم يكن مستقراً ومزدهراً بصورة دائمة، وإنَّما كان يتأثر في الظروف السياسية ،لأنَّ اضطراب الأحوال السياسية أدت الى تعطيله، مما دفع التجار الى البحث عن طرق آمنة لممارسة تجارتهم[٤]،هنا يشق الطريق الى شقين الأول: يتجه الى الموصل، ثم الى القسطنطينية، والثاني: عبر الفرات الى جسر

---

(١) الخرابشة، محمود، طرق التجارة في بلاد الشام في العصر البيزنطي من القرن الأول الى السابع الميلادي، بحث منشور، في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد ١٢، ٢٠١١، ص ٩.

(٢) يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة–د.ت)، ص ٣١٤.

(٣) الحسيني، خالد موسى، والقبانجي، الهام، المحطات والطرق التجارية قبل الإسلام، بحث منشور في مجلة آداب الكوفة، المجلد ٩، العدد ٢٦، ٢٠١٩م، ص ١٠٣.

(٤) براونستون، طريق الحرير، ص ١٣.

منبج، والذي اتجه الى حلب ثم الى ميناء أنطاكية، والتي عدت المحطة النهائية لطريق الحرير على سواحل البحر المتوسط(١)، وبذلك يكون التاجر قد استغرق في ذلك الطريق الطويل من بلاد الصين الى الشام حوالي أربعة أشهر(٢).

يتضح من خلال ما سبق، أنَّ هناك العديد من المحطات التجارية والطرق الداخلية التي ربطت أجزاء من شبه الجزيرة العربية، ولكن من الصعوبة تحديد تلك الطرق والمحطات بسبب التغيرات الحاصلة على تلك الطرق، فهي تأثرت بالعوامل السياسية والطبيعية، لهذا لا يمكن أن نصف تلك الطرق خلال فترة زمنية محددة.

ب-الطرق البحرية:

وقعت شبه الجزيرة في مساحات مائية واسعة إلا أنَّها رغم ذلك لم تسطع الاستفادة منها، ويرجع ذلك الى عدة عوامل منها الشعب المرجانية على شواطئ البحر الأحمر، لاسيما المناطق الشمالية منه، كما أنَّ الخليج العربي لا تحتوي سواحله على المياه الصالحة للشرب، مما عطل إمكانية استخدام تلك الشواطئ في العصور القديمة(٣).

وقد بدأ النشاط البحري في شبه الجزيرة العربية بعد إنشاء مدينة الإسكندرية، ولذلك فإن النشاط البحري في تلك المنطقة بدأ متأخراً، لذلك ظهر النشاط التجاري البحري بين مدينة دهناء على ساحل الخليج العربي وبلاد الرافدين، كما وجد نشاط

---

(١) الخرابشة، محمود، طرق التجارة، ص ١٠-١١.

(٢) زنيد، خالد، التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص ٣٦.

(٣) سليم، أحمد أمين، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الفكر، (بيروت- د.ت)، ص ٣٤.

بحري تجاري بين شرق الجزيرة والصين، أمّا النشاط التجاري في البحر الأحمر فقد ازداد خلال عصر البطالمة واستمر حتى العصر الروماني[١].

ويلاحظ أنَّ أهم المنتوجات التي استخدمت في التبادل التجاري بين الأطراف التي عملت بالتجارة هي (الذهب- الصمغ- العاج- ريش النعام- البخور وغيرها)، واعتبرت تلك المواد مصدرة من الجنوب الى الشمال، في حين كانت هناك مواد أخرى مصدرة من الشمال الى الجنوب منها(الأقمشة- الآلات-والملح) وغيرها[٢].

٢)وسائل النقل في شبه الجزيرة العربية:

لقد كانت البداية التي حركت كل شيء ودعت الانسان الى التبادل التجاري البدائي البسيط، هي وفرة الإنتاج الزراعي والحيواني لاسيَّما بعد أن عرف الإنسان الزراعة في أواخر العصر الحجري الحديث بحدود الثامن أو السابع قبل الميلاد[٣].

وأول ما استخدم الإنسان عملية التبادل التجاري البسيط هي أكتافه وظهره، ثم واصل بعد ذلك تدريجياً لتحميل حزم الأمتعة وسلال البضائع على ظهور الحيوانات فكانت أولى تلك الحيوانات هي الثيران، التي لم يتم استخدامها طويلاً، إذ أنَّ الثور

---

(١) محمود، عرفة، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، في العصور القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الأنجلو، (القاهرة- ١٩٥٨م)، ص ٩٤-٩٥.

(٣) طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، شركة دار الوراق، (بيروت- ٢٠٠٩م)، ج١، ص ٢١٧

بطئ الحركة ويحتاج الى تأمين الماء والعلف، لهذا لم يحقق الثور أي فائدة كبيرة في وسائل النقل[١].

استخدم الإنسان بعد ذلك حيوان آخر أكثر صبراً وبإمكانه عبور المناطق المختلفة دون وجود الطرق، وهو الحمار الذي يعدّ أقدم عهد من الجمل والخيل والبغال، فقد كان معروف لدى العرب واستطاعوا تدجينه واستخدامه كوسيلة نقل[٢].

ثم بدأ الباعة المتجولون يجهزون القوافل التجارية من الحمير التي كانت تعبر الغابات وتجتاز السلاسل الجبلية، إذ أنشأوا المحطات التجارية للتزود بالعلف والماء، وكانت بذلك أماكن استراحة ومبيت للتجار[٣]، والى جانب الحمير استخدم التجار البغال في عملية النقل التجاري، فالبغل استطاع حمل الأثقال، كذلك له القدرة على السير في الأرض المتموجة أو المناطق الجبلية الوعرة فهو استطاع تسلق الصخور، إذ أنَّ الجمال لم تستطع السير فيها، وقد كثر استخدام البغال عند الأنباط لكون بلادهم احتوت على الجبال والصخور، وقد سميت بلادهم ببلاد العرب الصخرية[٤].

جاءت أهمية البغال عند العرب حتى أنَّهم قدموا النذور للإله (ذو سماوي) [٥] لتحفظ بغالهم. ونتيجة لتزايد تبادل البضائع التجارية بشكل مستمر عند العرب في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة، دعت الحاجة الى وسيلة نقل أخرى فوقع

---

(١) الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، (ما بين العصر السومري، وسقوط المملكة التدمرية)، شركة بيسان للنشر والتوزيع، (بيروت- ١٩٩٩م)، ص٢١-٢٢-٢٣.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج٢، ص ٢١٠.

(٣) الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، ص ٢٣.

(٤) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص ١١٤

(٤) ذو سماوي ، وهو اله كان يعبد في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام واسمه يعني ذو السماء أوالذي في السماء هو أحد النقوش المدونة بخط المسند الجنوبي الذي عثر عليه في قرية الفاو في المملكة العربية السعودية •ينظر : بيستون وآخرون ، المعجم السبئي ، مكتبة لبنان ، (بيروت -١٩٨٢م) ، ص٢٧.

الإختيار على الجمل بديلاً عن الحمار، والسبب في ذلك الى أن الحمار لم يستطع قطع مسافات بعيدة في الصحراء، فهو لم يستطع أنَّ يتحمل العطش مدة طويلة[١].

لذلك اقتصر استخدام البغال في المناطق البرية التي تواجدت فيها أراضي زراعية وتوفرت فيها المياه، أو المناطق الرطبة التي لا تتناسب مع سير الإبل، وبقي استخدامه في نقل السلع الخفيفة للمسافات القصيرة، وكان يكثر عند أهل الحضر وأماكن الاستقرار بوصفه وسيلة ركوب عامة العرب[٢].

يتضح من خلال ما سبق، أنَّ الحمير والبغال لها أثر كبير وتاريخي في نشاط وتطور التجارة عند العرب، إذ لم يستطع العرب المتاجرة مع المناطق البعيدة أو البلدان المجاورة إلا بواسطتهم.

أما الأبل فكان لها أثر واضح في تطور التجارة البرية، إذ كان أهم واسطة نقل في الطرق البرية الطويلة، التي ربطت أجزاء من شبه الجزيرة العربية بعضها ببعض، أو مع الطرق الخارجية مع البلدان الأخرى، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣].

كما أنَّ الجمل قد تم تدجينه في جنوب شبه الجزيرة العربية، لاسيما في بلاد اليمن، وكان ذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[٤]، أما قبل فكان استخدام الجمل للحوم عن طريق الصيد استناداً على الرسوم الصخرية لدى الرعاة والصيادين،

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ٢٣٢.

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ص ٢٣٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٦-٧.

(٤) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٩٧.

والتي بينت على أنَّ الجمل كان حيوان بري مثل الأسد والنعام والنمر، وغيره من الحيوانات الأخرى(1).

أصبح الجمل من الوسائل المهمة للاتصال والتبادل التجاري حتى أنَّ العلماء قد ربطوا بداية التجارة البرية مع استخدام الجمل، إذ شقت الجمال طريقها عبر الصحراء من جنوب شبه الجزيرة العربية الى الشمال بأعداد قليلة ابتدأت منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ثم ازدادت خلال القرن الرابع والخامس والسادس الميلادي(2)، لقد فتح الجمل لسكان شبه الجزيرة العربية آفاق البوادي، إذ بدأت التجارة بالازدهار لاسيما بعد إقامة محطات لقوافل التجارية وإقامة علاقات تجارية مع البلدان المجاورة(3).

وجدت من خلال النقوش الأثرية في الجنوب الجزيرة العربية أنَّ التاجر ركب الجمل أول الأمر خلف السنام، وعدت تلك طريقة بدائية جعلت الجمل بطئ بحركته، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما تغير ركوب التاجر لاسيما في مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

---

(1) الموسوي، جواد مطر، مقومات التجارة في اليمن القديم، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جماعة الكوت، العدد ١، ٢٠٠٩، ص ٧.

(2) الجرو، أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الضاري لليمن القديم، دار الكتب الحديثة، (بيروت– ٢٠٠٣م)، ص ٦١.

(3) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١، ص ١٩٨.

إذ شهد ركوب التاجر تطوراً وأصبح الراكب يركب أما على السنام أو على مقدمة الجمل، وقد أدى ذلك الى استقرار الراكب وزيادة سرعة الجمل، وفيما بعد استحدث له سرج صلب مما سمح له الانتشار بين السكان على نطاق واسع(١).

وقد اتخذ الإنسان ظهر الجمل بيت له، فجلس على ظهر الجمل مع مأكله ومشربه وملبسه، واتخذ لهذا البيت سقف احتمى به من أشعة الشمس أو المطر، فكان يستطيع أن يسير بكل تلك الأشياء(٢)، ومن المميزات التي جعلت الجمل يتمكن من استخدام الطرق البرية أكثر من باقي الحيوانات الأخرى، إذ كان بإمكانه التلائم مع ظروف البيئة الصحراوية القاسية، إذ استطاع الجمل تحمل العطش فبإمكانه السير عدة أيام من دون شرب الماء(٣).

وكذلك استطاع الجمل قطع مسافات بعيدة في أمكان لا تتوفر فيها المياه إلا في مواضع متباعدة(٤)، والسبب في ذلك وجود أكياس مائية داخل معدته تزوده بالماء، فضلاً عن ذلك استطاع الجمل من أن يشرب كمية كبيرة من الماء دفعة واحدة، كما أنَّه استطاع أن يتحمل درجات الحرارة العالية دون أن يفقد الكثير من الماء بالتعرق(٥).

---

(١) عبد الله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط٢، دار الفكر المعاصر، (بيروت–١٩٩٠م)، ص ٢٥٨.

(٢) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، (ت:٦٨٢هـ)، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلى، (دمشق–٢٠٠١م)، ص ٣٦.

(٣) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ص ٣٦.

(٤) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١١، ص ١١؛ الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن، ص ٦١.

(٥) برو، تاريخ العرب القديم، ص ٣٧.

تفاوتت قدرة الجمل على تحمل العطش خلال فصول السنة، ففي فصل الشتاء استطاع الجمل المشي مدة خمسة وعشرين يوماً من دون أن يشرب المياه, في حين استطاع خلال فصل الصيف المشي خمسة أيام من دون شرب الماء[١].

كما أنَّه لو تتوفر له المراعي الطبيعية ويأكل الأوراق الخضراء أو الحشائش يستمد منها قوته وطاقته وتساعده على الصبر وتحمل العطش[٢]، فضلاً عن ذلك عدّ الجمل بأنه قوي الجسم وصبور وسهل الانقياد، واستطاع النهوض وهو محمل بالبضائع الثقيلة ساعده في ذلك قوامه الطويل[٣].

أما خفوفه (أقدامه) والتي كانت عريضة قد ساعدته على المشي في الصحراء، ذات التربة الرملية من دون الغوص في الكثبان الرملية الموجودة في الصحراء[٤]، كما أن الجمل استطاع مقاومة العواصف الترابية لأنه يستطيع التحكم في تقليل فتحات الأنف، كما أنَّ عيونه احتوت على صنفين من الأهداب الأمر الذي ساعده على التكيف مع ظروف الصحراء[٥].

ونتيجة لتلك المميزات التي تميز بها الجمل أصبح له مكانة كبيرة لدى العرب، وعدّ ثروة كبيرة في عالم النقل البري، واستمرت كذلك حتى بعد استخدام الخيول والعربات في النقل، وأصبح أكثر وسائل التجارة شيوعاً حتى أن حجم القوافل

---

(١) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١١، ص ١١-١٢.

(٢) معطي، علي محمد، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل، (لبنان-٢٠٠٣م)، ص ١٣٣.

(٣) الدميري، ممد بن موسى بن عيسى بن علي، (ت:٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٣م)، ص ٧٤.

(٤) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص١١٣.

(٥) الموسوي، مقومات التجارة في اليمن القديم، ص ١٣.

التجارية قد شهد زيادة وقد وصف الطبري ذلك بقوله: (إنّ عدد القوافل التجارية كان يتراوح من ألف الى ألفين وخمسمائة جمل)[1].

أما الخيول فعلى الرغم من اشتهار العرب بالأنواع الجيدة منها، إلا أنَّها كانت حيوانات دخيلة للعرب، فإنَّ أول من دجن الخيل هم أقوام الهندو أوربية، وليس العرب، وقد استخدم الخيل عند العرب كوسيلة لنقل البضائع التجارية لكن استخدامه كان جداً محدود، إذ أنَّ العرب استفادوا من ما يمتلكه من صفات لاسيما سرعته، حيث اعتمدوا عليه في الغارات والمناظرات التي قامت بين القبائل. وفي المعارك، وكان امتلاكه مظهراً من مظاهر الترف والثراء[2].

يتضح من خلال ما سبق، أنَّ الحيوانات كان لها دور كبير في التجارة لاسيما بعد تدجين الحيوانات حيث ساهمت تلك الخطوة بتطور التجارة وازدهارها، بعد أن كانت مختصرة على المناطق الداخلية في شبه الجزيرة العربية، ونظراً لصعوبة التنقل لمسافات طويلة استطاع العرب الاعتماد على الجمل، والذي ساهم بدوره في ازدياد العمليات التجارية والذهاب من مدينة الى مدينة أخرى، خارج حدود شبه الجزيرة العربية، لاسيما بعد الصفات التي حملها الجمل والتي ميزته عن غيره من الحيوانات الأخرى.

فضلاً عن ذلك، ساهم الاحتكاك التجاري مع الأمم الأخرى الى ظهور السفراء والوفود الذين مثلوا بلدانهم وقبائلهم وممالكهم خير تمثيل، فكونوا بذلك

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار التراث، (بيروت– ١٩٦٧م)، ج٢، ص ١٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٢، ص ١٧٥–١٧٦.

علاقـات علـى المسـتوى السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي، والـديني بـين منطقـة ومنطقة أخرى.

الفصل الثاني

سفراء ووفود العرب في مملكة الحيرة والامبراطورية الساسانية

المبحث الأول : السفراء والوفود لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : دور السفراء والوفود العرب إلى مملكة الحيرة

المبحث الثالث : السفراء والوفود إلى كسرى للمفاخرة

الفصل الثاني

سفراء ووفود العرب في مملكة الحيرة والامبراطورية الساسانية

المبحث الأول: السفارة والوفود لغةً واصطلاحاً

السفارة في اللغة: من سفِر بالكسر، قيل هو الكتاب الكبير(١).

والسفرة: كتبة الملائكة الذي يحصون الأعمال(٢).

وقيل للكاتب: سافر، وللكتاب : سفر، وجمعهما أسفار(٣)، والمسفِر بالكسر: الرجل الكثير الأسفار والمسفر أيضاً: القوي على السفر، والمسفار : الكثير الأسفار القوي على السفر، وسميت الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله (تعالى) وبين أنبيائه، وسموا سفرة لأنَّهم(٤) ينزلون بوحي الله وبإذنه، ما يقع به الإصلاح بين الناس فشبهوا بالسفراء الذي يصلحون بين الرجلين فيصلح شأنهما(٥).

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر (بيروت-١٤١٤هـ)، ج٦، ص ٣٥؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين/ دار صادر، (بيروت-د.ت)، ج١٢، ص٤٤.

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، (بيروت- ١٩٩٤م)، ج١، ص ٢٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٤٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٣٥.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص ٣٩.

(٥) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت:٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن (الهند- ١٩٢٦م)، ج٢، ص ٣٣.

وقيل : سفرت المرأة قناعها عن وجهها ،أي : كشفته سفوراً فهي سافر ومنها قول الشاعر [(١)] :

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت لقد رابني منها الغداة سفورها

يعني بقوله إلقاءها برقعها عن وجهها[(٢)]، ويسفر سفراً سفارةً فهو سفير، واستسفره جعله سفيراً بين قومين، والسفارة عمل السفير ومقامه[(٣)]، ويقال لما سقط من ورق الأشجار (سفير) لأن الريح تسفره أي تنقله من مكان الى آخر[(٤)]، وقيل الوكيل ونحوه (سفير) والجمع سفراء، وكأنه مأخوذ من قولهم: سفرت الشيء سفراً من باب ضرب ،أي : كشفته ،لأنَّه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه، وأسفر الشئ أي أشرق وأضاء[(٥)].

---

(١)الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،(ت٢٧٦هـ)،الشعر والشعراء ، دار الحديث ،(القاهرة ،٢٠٠٢م)،ج١، ص٤٣٦.

(٢) الطبري،ابو جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر،(بيروت- ١٤٠٥هـ)، ج٦، ص ١٣٠؛ الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: محمد جبر الألفي، ط٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (الكويت- ١٣٩٩هـ)، ج١، ص ٧٧؛ ابن المطرز، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد (ت:٦١٠هـ)، المعرب في ترتيب المعرب ، تحقيق: محمود فاخوري وعبد السيد مختار، ط١، مكتبة أسامة بن زيد، (سوريا ، ١٩٧٩م)، ج١، ص ٣٩٨.

(٣) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (الإسكندرية-٢٠١٠م)، ج١، ص ٤٣٣.

(٤) الأنباري، أبو بكر محمد بن قاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة دار الرسالة، (بيروت- ١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٠٧.

(٥) الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقرب (ت:٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، (بيروت- ٢٠١٠م)، ج١، ص ٢٧٨.

ثانياً: السفارة اصطلاحاً:

السفير : هو الرسول والمصلح بين القوم يقال سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح[١]، وسفارة بالكسر هي كالكفالة، والكتابة يراد بها التوسط في الإصلاح فهو سفير كأمير، هو مصلح بين القوم، وإنَّما سمي به لأنَّه يكشف ما في كل منه ليصلح بينهما[٢].

ومن الجدير بالذكر أنّ السفارة والسفير والوفود ظاهرة قديمة قدم البشرية، فحضارات العالم القديم مثل العراق ومصر وفارس والروم، وغيرها عرفت أنواعاً كثيرة من السفارات والوفود لمهام مختلفة، ولا يرتبط الموضوع في البيئة العربية قبل الإسلام فحسب فقد عرفت حضارة وادي الرافدين أول مفهوم للدولة في التاريخ البشري واستعملت الوسائل الحديثة في بسط سلطتها على الإمارات والأقاليم التابعة لها، وإقامة تحالفات وعقد معاهدات للسلام وعدم التعدي واستعمال الوسائل الدبلوماسية لوقف الحرب وتسوية الخلافات[٣].

استعمل الملوك في الحضارات القديمة الرسل، وكانت مهمتهم حمل الرسائل من مدينة الى أخرى، إذ كانت ترسل في سلاسل مختومة وتثبت كتلة من الطين الى عقدة الخيط، الذي يربط السلسلة ثم تبصم بخاتم الملك ويكتب عليها اسم المرسل إليه[٤].

---

(١) المطرزي، المغرب، ج١، ص ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٢، ص٤١.

(٣) ابو عبادة، سعيد، الدبلوماسية تاريخها ومؤسساتها وقوانينها، دار الشيماء للنشر (فلسطين- ٢٠٠٩م)، ص ٢١.

(٤) بورث، ديلا، بلاد ما بين النهرين الحضارة البابلية والاشورية، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة- ١٩٩٧م)، ص ٢٠٣.

إنَّ أقدم العلاقات بين شبه جزيرة العرب وبين أنحاء الشرق الأدنى ترجع الى حركة وفود المهاجرين العرب في أزمان موغلة في القدم، ولا تزال النظرية القائلة بأنّ شبه جزيرة العرب مهد الساميين تحتفظ بقوتها[١].

ورد مصطلح السفير في الأشعار العربية، فقد ذكره الشاعر جرير بن عطية الكلبي في إحدى قصائده بقوله[٢]:

إذا الحرب لم يرجع يصلحٍ سفيرها   ستعلم ما يغني حكيمُ ومنقع[٣]

وفي حديث علي بن أبي طالب ﷺ إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أنَّه قال لعثمان: (إنَّ الناس استسفروني بينك وبينهم)، أي: جعلوني سفيراً، وهو الرسول المصلح بين الناس[٤][٥].

---

(١) طـه باقر، مقدمـة فـي تـاريخ الحضـارات القديمـة، دار الـوراق للطباعـة والنشـر، (بغـداد-٢٠١١م)، ج٢، ٢١٦.

(٢) محمد بن حبيب ، شرح ديوان جرير ،ط٣، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ج٢ ، ص٨٩١.

(٣) حكيم ومنقع رجلان من بني ربيعة كان سفراء لقومهم تميزا بالحكمة والحنكة. ينظر : شرح ديوان جرير، ص ٢٢٧.

(٤) ابـن الأثيـر، مجـد الـدين ابـو السـعادات محمـد بـن محمـد بـن عبـد الكـريم الشـيباني، (ت: ٦٠٦هـ)، النهايـة فـي غريـب الحـديث والأثـر، تحقيـق: طـاهر أحمـد الـزاوي، محمـود الطنـاحي، المكتبة العلمية، (بيروت- ١٩٧٩م)،ج٢، ص ٣٧٢.

(٥) والسفير هو المبعوث الدبلوماسي الأعلى درجة في مراتب المبعوثين الدبلوماسيين، يرأس ويدير البعثة الدبلوماسية المسماة السفارة، ويعين من رئيس الدولة، ويعتمد رئيس دولة أخرى أجنبية، ويتولى تمثيل دولته وحماية الرعايا الوطنيين، وتنمية العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والعلمية، وقد عرف السفير في القانون الدولي الحديث بأنه: (مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها) .ينظر: أحمد سعيقان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، عربي انكليزي فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت- ٢٠٠٤م)، ص ٢٠٢.

ثالثاً: السفارة في المنظور الإسلامي

١-القرآن الكريم:

وردت كلمة السفارة في التنزيل العزيز بصيغ مختلفة مثل: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [١] وقوله ﷻ: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[٢]، وقوله جلّ في علاه : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٣].

وكان أصل أسفارهم يوماً يقيلون في موضع ويبيتون في موضع ولا يترددون لهذا، ويقال أيضاً أصل السفر بفتحتين: هو قطع المسافة يقال إذا خرج للإرتحال أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى، لأنَّ العرب لا يسمون مسافة العدوى سفراً ويقال بعض المصنفين أقل السفر يوم[٤]، وقد جاء في قول تبارك وتعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٣) سورة سبأ، آية ١٩.

(٤) المقري، أحمد بن محمد بن علي، (ت:٧٠هـ)، المصباح المنير، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتبة العلمية، (بيروت-١٩٨١م)، ج١، ص ٢٧٨.

(٥) سورة التوبة، آية ٤٢.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ، أي: أضاء وكل مضئ فهو مسفر [2]، وفي قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍكِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ السفر الملائكة بين الله تعالى وخلقه[3]، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أي مضيئة ومشرقة وهي وجوه المؤمنين من أهل الجنة[4]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والأسفار جمع سفر وهو الكتاب[5].

٢-في الحديث النبوي الشريف:

وردت لفظة السفرة مرة واحدة في الحديث النبوي الشريف حيث قال رسول الله ﷺ (مثلُ الماهر بالقرآن مثل السفرة)، أي الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، وهم الرسل وقيل الملائكة[6].

---

(١) سورة الكهف، آية ٦٢.

(٢) سورة المدثر، آية ٣٤.

(٣) سورة عبس، آية ١٥.

(٤) سورة عبس، آية ٣٨.

(٥) سورة الجمعة، الآية ٥.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار القلم، (بيروت- ١٩٨٧م)، كتاب تفسير القرآن رقم الحديث ٢٨٢٩؛ مسلم، ابن الحجاج بن مسلم، (ت:٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار أياء التراث العربي، (ت-١٩٧٢م)، كتاب الصلاة حديث رقم ١٣٢٩؛ ابي داود، سلمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، المكتبة الإسلامية للطباعة، استانبول (تركيا، د.ت)، كتاب الصلاة، رقم الحديث ١٢٤٢.

ومجمل القول فأن السفير هو الذي يسعى في الصلح بين الأقوام، ومن يسافر في حوائج قومه وكل رسول سفير وقد يسفر بالكتاب، وكما يكون الرجل سفير قومه ورسولهم الى الأقوام، فقد يكون سفيراً في قومه يسعى في صلاحهم ورسولاً إليهم فينذرهم بخطر داهم، لذا فإن السفارة نشاط ذو أهمية كبيرة يتطلب دراية وحنكة، لعلو الطلب وخطورة النتائج.

رابعاً: الوفادة في اللغة والاصطلاح:

أ) الوفادة لغة:

قيل وفد فلان على الأمير، أي: ورد رسولاً فهو وافد[١]، كما أنَّ الوفادة اسم أيضاً وأوفدته أنا أي: أرسلته، والوافد من الإبل ما سبق سائرها، والإيفاد على الشئ الإشراف عليه، والإيفاد أيضاً الإسراع[٢]، والوفد اسم للجمع، وجمع وافد، وفود[٣]، وكلمة الوفد تشمل الوفد والوافد ممكن يكلف بحمل رسالة مهمة مكتوبة كانت أو شفهية، والاسم وافد تقال للفرد ويجوز أن يقال للشخصين وأكثر وفد[٤].

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت:٣٩٣هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت- ١٩٨٧م)، ج٢، ص ٥٥٣.

(٢) الجوهري، تاج اللغة، ج٢، ص ٢٦٦.

(٣) ابن سيدة، ابو حسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٣٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٠م)، ج٩، ص ٤٤٠.

(٤) الرازي، محمد بن أبو بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان (بيروت- ١٩٨٦م)، ص ٧٣٠.

ووفْدٌ اسم للجمع وقيل جمع كصحب وصاب، وأوفاد، ووفّد ،كرُكّع ، ووفّاد[١]، ويقال هم على أوفاد أي على سفر[٢]، والوفد: القوم الوافدون والجمع وفود ووفود القوم وأوفدتهم أي يغادر وأوفَد الرجل على شئ إذا علا عليه إيفاداً وللقاء[٣].

ب) الوفود اصطلاحاً:

هم جماعة مختارة من الناس للتقدم في لقاء ذوي الشأن، وهم أيضاً القوم الذين يجتمعون ويردون البلاد، وكذلك الذين يقصدون الأمراء والملوك لطلب الحاجات من زيارة أو استرفاد وغير ذلك[٤]، والوفد: القوم يفدون على الرئيس والملك أي يأتون في أمر فتح أو تهيئة أو نحو ذلك[٥]، وكلمة الوفود تشمل الوفد والوافد ممن يكلف بمهمة معينة[٦]، وهم جماعة مختارون مكرمون وهم في الذروة من قومهم، لاتصافهم بصفات تميزهم عن غيرهم، وتؤهلهم للوفادة[٧].

ويعد الموفدون هم أهل السبق والتقدم على غيرهم بعملهم الذين يقومون به والعمل الذي يقومون به عمل هام، هو الوفادة على الملوك والأمراء فهم يمثلون غيرهم ممن

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص ٣١٦.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص ٣١٣.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص ٢٩١.

(٤) ضميرية، عثمان جمعة، السفارة والسفراء في الإسلام، سلسلة دعوة الحق العدد (١٩١)، (الأردن- ٢٠٠٠م)، ص ٣١.

(٥) البركتي، محمد عميم، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، (باكستان- ٢٠٠٣م)، ص ٢٣٨.

(٦) عثمان، جمعة، السفارة والسفراء في الإسلام، ص ٣٢.

(٧) الأسطل، علي رضوان، الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، ط١، مكتبة المنار الزرقاء، (الأردن- ١٩٨٤م)، ص ٢٣.

أوفدهم وأرسلهم، وهم بدون أدنى شك أهلاً لتحقيق الحاجات الهامة والأهداف السامية لأنهم اختصوا في تلك المهمة.

ج) الوفد في المنظور الإسلامي:

١- القرآن الكريم:

وردت كلمة وفد في التنزيل العزيز مرةً واحدة في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [١]، من هنا يتبين مكانة الوافد المرموقة وكرامته في الدنيا والآخرة، يقول ابن كثير: " والوفد هم القادمون ركباناً ومنهم الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وأما المكذبون للرسل المخالفون لهم فإنهم سيساقون عنفاً الى النار"[٢]، وجاء في الطبري في تفسير الآية المباركة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال:" والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق لم يرَ الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمّتها الزبر جد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[٣].

---

(١) سورة مريم ، الآية ٨٥-٨٦.

(٢) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- ٢٠١٠م)، ج٥، ص٢٣٢.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج١٠، ص ١٩٠.

٢-الوفد في الحديث الشريف:

ورد عن رسول الله ﷺ لما وفد عليه رسولا مسيلمة الكذاب وهما عبد الله بن النواة وابن آثال [١]قال لهما: (فما تقولان أنتما فيما يقول مسلمة؟ قالا: نقول كما قال، فقال رسول الله ﷺ: (لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقكما)[٢]، فجرت السنة أن لا تقتل الرسل والسفراء ومن سنته ﷺ أيضاً أن لا يحبس الرسول عنده إذا اختار دينه ولا يمنعه من اللحاق بقومه بل يرده إليهم بقوله: (إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرد)[٣]، ومما لا شك فيه أن الرسول محمد ﷺ أول من أوفد السفراء في الإسلام وأول من أستقبلهم فكان دليلاً على مشروعية السفارة وحق الإيفاد، وقد أكرم الرسول ﷺ استقبال تلك الوفود، بالرغم من أن بعض تلك الوفود لم تكن دخلت أو أعلنت إسلامها[٤].

---

(١) ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة .ينظر: الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١١،ص١٥.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، ج٢، ص ٣٥٠.

(٣) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين الجوزية، (ت:٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدى خير العباد، تح.شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنوط ، ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٩٦م)، ج٣، ص ١٢٦.

(٤) ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك (ت:٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، المكتبة العلمية، (بيروت- د.ت)، ج٢، ص ٧٨.

وفـي السـنة السادسـة للهجـرة بعـث الرسول(صـلى الله عليـه وسـلم) الـى الملـوك والزعمـاء فـي الإمبراطوريـة البيزنطيـة والساسانية والـى المقوقس حـاكم مصـر يدعوهم الى الإسلام وحفظت لنا كتب التاريخ نص الرسائل التي بعثها إليهم[١].

وبعد فتح مكة بدأت الوفود تتوافد الى مكة ،وفي العام التاسع من الهجرة وفد الى المدينة المنورة اكثر من سبعين وفداً، ومن هنا سمي العام التاسع من الهجرة النبوية بـ(عام الوفود) ،لأنَّ وفود العرب جاءت من أنحاء الجزيرة العربية الى رسول الله ﷺ معلنة إسلامها[٢].

فضلاً مما ذكر فقد وردت ألفاظ عديدة لها صلة وثيقة لمفهوم السفراء والموفدين ومنها:

١) **الرسول:** والرسول هو المرسل[٣]، يقال :أرسل ورسل ورسلاء، وتراسلوا أرسل بعضـهم الى بعض[٤]، واصل الرسول في اللغة هو الانبعاث والتؤدة ، ومنه الرسـول المنبعـث، ويطلـق الرسـول علـى الواحـد والمثنـى والجمـع، والمـذكر والمؤنث، ورسل الله يراد بها الملائكة والأنبياء عليهم السلام[٥].

---

(١) ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة–د.ت)، ج، ص ٢٥٢؛ ابن عبد البر، الحافظ يوسف النمري، الدرر في اختصار المعارف، (القاهرة– ١٤٠٣هـ)، ص٢٥٣.

(٢) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص٤٠٨.

(٣) الجياني، محمد بن عبد الله بن مالك (ت:٦٧٢هـ)، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى (مكة المكرمة– ١٩٨٤م)، ج١، ص٢٥٥.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ص ١٠٠٦.

(٥) عنـان، عبد الرحمن، السفارات ودورها فـي تدعيم العلاقات الدولية، (رسالة ماجستير في الشريعة والقانون)، جامعة الحاج خضر، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية (الجزائر– ٢٠٠٩م)، ص٤.

أما اصطلاحاً: فيطلق الرسول على من أمره المرسل بأداء الرسالة في عقد أو أمر آخر كتسليم المبيع الثمن، فهو يبلغ الرسالة فقط، وليس وكيلاً ولا يضيف العقد الى نفسه، وعرفه بعضهم فقال: الرسول شخص يرسل بين ملكين في أمور خاصة مثل عقد أو إبرام صلح أو إعلان هدنة أو فداء أسير، ويتكلم باسم من يرسله[١].

٢) **المبعوث:** البعث في اللغة هو : الإرسال، يبعثه بعثاً، (أرسله) وبعث له أرسله مع غيره[٢]، وورد ذكر البعث بمعنى الإرسال في القرآن الكريم، بقوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾ [٣] وبقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [٤].

والبعث اصطلاحاً: هو هيئة تُرسل في عمل معين وبصورة مؤقتة، والفرد مبعوث أيضاً، ومنها بعثة سياسية أو تجارية وغير ذلك، وهذا عمل مشابه لما يقوم به السفير أو الموفد[٥]، ووردت كلمة البعث في إشعار العرب، يقول عمرو بن ربيعة[٦]:

فبعثنا طبة محتالة(المرأة المحتالة)   تمزج الجد مراراً باللعب

---

(١) الجوهري، تاج اللغة، ج٥، ص ١٦٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج١، ص ٢٣٤.

(٣) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٤) سورة النساء، الآية ٣٥.

(٥) ابن منظرو، لسان العرب، ج٣، ص ٨٦.

(٦)عمرو بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرةالمخزومي،شاعر قريش في وقته ولد ٢٣هجرية ، توفي سنة ٩٣هجرية . ينظر: الذهبي ،سير أعلام النبلاء ، ج٤، ص٣٧٩. عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح ديوان عمرو بن ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، (مصر– ١٩٥٢م)، ص ٣٧٧.

ترفع الصوت إذا ألانت لها وتراخي عند سورات الغضب [1]

وذلك تأكيداً واضحاً على أهمية المبعوث وما يجب أن تتوفر به من مواصفات حتى وإن كانت مبعوثة هوى، فما حال السفير الذي يرعى مصالح قومه أو يدفع شر خصمه.

٣) البريد:

البريد في اللغة هو الإرسال أيضاً، في الحديث النبوي الشريف قال الرسول الكريم ﷺ: (إذا أبردتم إليّ بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الإسم)[2]، وقال بعض العرب : " الحُمى بريد الموت"[3]، اي رسالة الى الإنسان بقرب موته، والبريد اصطلاحاً: هم الذين يملون رسائل الملوك والقادة وكتبهم، فهم بذلك يقومون بعمل السفراء والموفدين والرسل والمبعوثين[4].

والذي ننتهي إليه بعد هذا العرض الموجز لمصطلحات السفارة والوفادة والرسالة والبعث والبريد وما اشتق منها، فإنها تستعمل بمعنى واحد وتؤدي غرضاً واحداً،وأنَّ الفروق بينهما طفيفة، كما أنَّها مصطلحات عربية أصيلة ليس فيها شيء من

---

(١)عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح ديوان عمرو بن ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، (مصر- ١٩٥٢م)، ص ٣٧٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني, ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ) , المطالب العالية لزوائد المسانيد الثمانية , تحقيق , سعد بن ناصر بن عبدالعزيز , دار العاصمة (السعودية , ١٤١٩) ،ج١١ ، ص ٦٨٥)

(٣) ابن رجب الحنبلي، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، (ت ٧٩٥ هـ) , مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي , تحقيق ابو مصعب طلعت , مطبعة الفاروق الحديثة ، (مصر، ٢٠٠٣م) , ج٢, ص ٣٨٥

(٤) عنان , السفارات ودورها في تدعيم العلاقات , ص٦.

العجمة، وهي تؤدي معنى الكلمة الدارجة في عصرنا، وهي كلمة (الدبلوماسية) التي دخلت لغتنا العربية حديثاً، تأثراً بالمصطلحات الأجنبية الفرنسية منها والانجليزية، ولم يكن العرب والمسلمون بحاجة الى هذه اللفظة الأعجمية لوجود لفظة عربية تعطي مدلولاً يغني عنها، ولذلك نجد بعض الباحثين والكتاب المعاصرين يتمسكون بالمصطلحات الأصيلة لوفائها بالغرض، فمنهم من استخدم مصطلح الرسول والرسالة أو السفارة والوفادة.

المبحث الثاني: دور السفراء العرب في مملكة الحيرة

تتفق المصادر التاريخية الاان تأسيس مملكة (الحيرة)انما كان عن طريق هجرة القبائل اليها وانه لم يعلوا لها شأن لابعد ان استوطنتها قبائل (التنوخيين ،والاخميين)فيما بعد ،كما تجمع تلك المصادر على ان القبائل العربية أنما نزحت اليها من البحرين حيث كان العرب منذ قديم الزمان يهاجرون الى تخوم شبه الجزيرة العربية حتى اذا وصلوا الى وادي الفرات اقاموا في ربوعها [١] .

وفيما يخص دور السفراء في مملكة الحيرة سنتناول ما يلي:

سفارة المثقّب العبدي الى مملكة الحيرة (ت:٣٦ق٠هـ/٥٨٧م)

المُثقّب العبدي: هو العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس من ربيعة، ويعد من شعراء البحرين في الجاهلية[٢]، واتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح، وكما مدح النعمان بن المنذر، وشعره فيه حكمة ورق[٣].

والجدير بالاهتمام إنَّ الشاعر المُثقّب العبدي لعب دوراً كبيراً وبارزاً عندما أرسلته قبيلة عبد القيس سفيراً لها في بلاط الحيرة، ليسترضي ملكها أولاً، ومن أجل إطلاق سراح قبيلته عبد القيس ثانياً[٤]، ومما لا شك فيه أنَّ القبائل العربية كانت قد

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١، ص٤٨.

(٢) المرزباني، أبو عبيد الله عمران بن موسى (ت: ٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وعيسى الحلبي، د ط، (القاهرة– ١٩٦٠م)، ص ٣٠٣.

(٣) الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠هـ)، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٨٠م)، ج٣، ص ٢٣٩.

(٤) الحسيني، خالد موسى عبد، الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الكوفة– ١٩٩٦م)، ص ٨٠.

عرفت فضل تلك السفارات والوفادات وعلّوْ شأنها ومقامها، وذلك لما كانت تحققه من الغايات التي تعجز في كثير من الأحيان سنابك الخيل(مقدم حافر الفرس) ورؤوس الرماح من تحقيقه، لذلك عدتها العرب من مآثرها ومفاخرها(١)، فهذا المثقب العبدي يفتخر بجدّهِ أبي محصن بن ثعلبة، لأنّ بسفارته أصلح بين بكر وتغْلب فقال:

أبي أصلح الحين بكراً وتغلباً وقد أرعَشت بكرٍ وخّفت حلومها

وقام بصلحٍ بين عوفٍ وعامرٍ وخُطةَ فصلٍ ما يُعابُ زعيمها(٢)

(١) الحسيني، الحياة الاجتماعية ، ص ٨١.

(٢) ابو عبيدة، معمر بن المثنى، (ت:٢٠٩هـ)، نقائض جرير والفرزدق، دار الكتاب العربي، (بيروت– د.ت)، ج١، ص ٧٨.

(سفارة النابغة الذبياني الى مملكة الحيرة)

النابغة الذبياني (ت:١٨ق٠هـ/٦٠٤م)

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن ذبيان، وسمي بالنابغة لقوله، قد نبغت لنا منهم شؤون، وكان النابغة مع النعمان بن المنذر مع أبيه وجده، وكان يفد إليهم دائماً وكانوا له مكرمين[١].

أقام النابغة الذبياني علاقة مميزة بملوك الحيرة وأكثر من مدحهم، فوفد النابغة على النعمان في إحدى سفاراته، فدخل عليه وسلم وحيّاه بتحية الملوك وجلس وهو يقول: أيها الملك أيفاخرك صاحب غسان؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولشمالك أجود من يمينه، ولأُمك خيراً من أبيه، ولغدك أسعد من يومه، فضحك النعمان، ثم قال: (من يلومني على حب النابغة)[٢]؟ فقضى حوائجه وانصرف داعياً له.

انقطعت علاقة النابغة بملوك الحيرة، وقيل : إنَّ النعمان بملوك الحيرة، وقيل :إنَّ النعمان بلغ عنه شيئاً فهدرَ دمه فسار الى ملوك غسان، فأقام فيهم ومدحهم، فغمّ ذلك النعمان بن المنذر وبلغه أن الذي قذف فيه النابغة باطل فبعث إليه رسولاً فقال له: إنك صرت الى قومٍ قتلوا جدّي فأقمت فيهم تمدحهم، وسأله أن يعود فعاد إليه.

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف (القاهرة– د– ت)، ج١، ص ١٦٢.

(٢) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، (القاهرة– ١٩٩٩م)، ص ١٩٩.

لما عادَ النابغة الى الحيرة كتب قصيدة اعتذار للنعمان قال فيها:

أتاني أبيت اللعنَ[١] أنّك لُمتني وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

فبتُّ كأن العائدات فرشنَ لي هراساً به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ[٢]

ثم قال النابغة يمدح النعمان ويقول[٣]:

ولا أرى فاعلاً في الناسِ ايُشبههُ وما أحاشي من الأقوامِ من أحدِ

إلاّ سليمان إذ قالَ الإلهُ لهُ: قُم في البَريّة فأحددها عنِ الغَندِ

وكان النابغة يفد الى سوق عكاظ[٤] ، فتضرب له قبة من أدم(الجلد) فتفد إليه الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، ومنهم الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء[٥]، وكان النابغة سفيراً لقبيلته بني ذبيان، فوفد الى عمرو بن الحارث الغساني ومدحه بقصيدة مشهورة، وسأله أن يطلق أسرى قبيلته فأطلقهم[٦] .

---

(١) أبيْت اللعن: كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية، تقول للملك: أبيت اللعن، معناه أبيْت أيها الملك أن تأتي ما تُلعن عليه، واللعن الأبعاد والطرد من الخير، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٨٨.

(٢) العائدات: الأمراض، هراساً: الدق العنيف، يقشب: خلط الطعام بالسم، ينظر: ابن سيدة، أبو حسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، خليل إبراهيم، دار إحياء التراث

(٣) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم، عباس عبد الساتر، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٩٦م)، ص ٢٣.

(٤) وسوف اذكره مفصلا في موضوع الوفادة الى الاسواق قبل الإسلام ص١٥٥.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن، (ت:٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السعافين . بكر عباس، دار صادر، (بيروت- ٢٠٠٨م)، ج١١، ص ٦.

(٦) ديوان النابغة، ص ٢٩.

(سفارة أكثم بن صيفي الى مملكة الحيرة)

أكثم بن صيفي(ت:٩هـ/٦٣٠م)

أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور[١]، وهو أحد المُعمّرين، إذ عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام[٢]، وقد وفد على الملك الحيري عمرو بن هند لتعزيته بوفاة أخيه، فقال له: " أيها الملك أن أهل الدار سفْرُ لا يحلون عقد الرحال(استعد للسفر) إلا في غيرها، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك، وأقام معك من سيطعن عنك ويدَعَك، وأعلم أن الدنيا ثلاثة أيام: فأمس عِظة وشاهدُ عدل، فجعل بنفسه وأبقى لك عليك حُكمَك، واليوم غنيمة وصَديق، أتاك ولم تأتهِ، طالت عليك غيبته، وستُسرع عنك رِحلته، وغداً لا تدري من أهله وسيأتيك إن وجَدَك، فما أحسن الشكر للمُنعم والتسليم للقادر، وقد مضت لنا أصول نحنُ فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها، وأعلم أنّ أعظم من المصيبة سوءُ الخلف منها، وخيرٌ من الخير معطيه، وشرٌ من الشرِ فاعلهُ"[٣].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج١، ص ٣٥١.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٦.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٨٧.

وكان للعرب قبل الإسلام إلى جانب الوفادات الخارجية أو الدولية، الوفادات الداخلية أيضاً، وهي في حدود جزيرتهم، إذ كان يفد زعماء القبائل العربية، على بلاط الحيرة لإغراض تهمّ مصالح قبائلهم(١).

إذ قيل أنه أصاب الملك الحيري النعمان أسرى من قبيلة تميم، فركب إليه وفودهم وسفرائهم وفيهم أكثم بن صيفي، فلما دخلوا على النعمان قال لهم: مرحباً بكم، سلوني ما شئتم إلا أسارى عندي، فطالب إليه القوم حوائجهم ,أبى أكثم أن يسأله(٢)، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: قد علم قومي أني من أكثرهم مالاً، وجئنا لأمر قد نهينا عنه، فقال النعمان: سل حاجتك، فحقق له النعمان ما وفد من أجله واهباً له الأسرى(٣).

وعلاوة على ذلك قيل أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قد لعب دوراً بارزاً وهاماً في إرجاع سبايا بكر بن وائل فأطلقهم المنذر، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيس الى المنذر في بكر(٤):

ومِنّا الذي أعطاه في الجمع ربّه　　على فاقةٍ وللملوك هباتُها

سبايا بني شيبان يوم أُوارةٍ　　على النار إذ تُجلى لهُ فتياتُها(١)

---

(١) الحسناوي، أمل عجيل إبراهيم، الإعلام عند العرب قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الكوفة-٢٠١٠م)، ص ١٤٦.

(٢) السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت:٢٤٨هـ)، المعمرون والوصايا، مطبعة السعادة ، (مصر، ١٩٠٥م)، ص ١٧.

(٣) السجستاني ، المعمرون والوصايا،ص٢١؛ الحسناوي، الأعلام عند العرب قبل الإسلام، ص ١٤٧.

(٤) إبراهيم، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٨٣.

إن المقصود بهم هنا السبايا الذين أسرهم الملك، المنذر من قبيلة بكر، وأمر كل بكري على وجه الأرض وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار[٢].

يبدو لنا إن أكثم بن صيفي كان ذي مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس، فضلاً عن امتلاكه للثروات الهائلة، علاوةً على فصاحة لسانه لذلك اختارته القبائل سفيراً لهم، عند ملوك الحيرة لمعرفتهم به، وتقديرهم إياه.

(سفارة حاتم الطائي الى مملكة الحيرة)

حاتم الطائي(ت:٤٦١ق٠هـ/٦٠٥م)

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد، من قبيلة طئ ويسمى بأبي سفانه، وهو من شعراء الجاهليين، ويُعد من أجواد العرب، وله في السخاء أخبار مشهورة، حتى جرى ذكره مجرى الأمثال، فقيل: (أجود من حاتم طيء)، وقد عُرف أيضاً بالشعر والشجاعة[٣]، وكان له دور بارز في إطلاق أسرى من بني عدي، وهو رهط حاتم الطائي، والذي أسرهم عمرو بن هند في يوم أوارة الثاني[٤]، وذلك عندما وصله خبر بأن حاتم الطائي قد هجاه في شعره، فبلغ الملك عمرو شعره، فغزى طئ، فأخذ أسرى

---

(١) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: ممد حسين، (مصر– ١٩٥٠م)، ص ٨٧.

(٢) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٢،ص ٥٥٢.

(٣) الاعلم الشنتمري ،ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الاندلسي ،(ت٤٧٦هـ)،أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ص١٢٦؛الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٧٣٠.

(٤) يوم أوارة الثاني: وهو من ايام العرب المشهورة، وحدثت عندما غزو بني تميم، وقد حلف ليقتلنّ منهم مائة، فسار يطلبهم حتى بلغ أُوارة. وقد أُنذروا به فتفرقوا؛ ينظر: شمس الدين، إبراهيم، مجموع أيام الحرب في الجاهلية والإسلام، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ص ٤٧.

من بني عدي (وهم رهط حاتم الطائي)، سبعين رجلاً وفيهم قيس بن جحدر بن خالة حاتم الطائي، وحاتم يومئذ بالحيرة، فلما قدم جعلت **المرأة** تأتيه بالصبي فتقول: يا حاتم أسّرَ أبو هذا، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار الى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع فوهبهم له، إلا قيس بن جحدر لأنَّه من رهط عارق[1]، فقال حاتم الطائي أبيات تكتب بماء الذهب جاء فيها:

فككتُ عدّياً كلها من إسارها   فأنعِم وشفّعني بقيس بن جحدرِ

أبوه أبي، والأمهاتُ أمهاتُنا   فأنعِم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فقال هو لك ياحاتم[2].

ومن الجدير بالذكر هو مدى قوة شخصية حاتم الطائي في التأثير على قرار الملك ،ومن ثم استطاع حاتم الطائي تحقيق مبتغاه من جهة وفصاحته اللغوية من جهة أخرى، هذا بالإضافة الى حلاوة شعره الذي أصبح واضحا للجميع، وبالرغم من المقالة الشعرية التي فيها استهجاء للملك الحيري، لكنه كان موضع تقدير عنده.

---

(١) رهط: رهط الرجل، قومه وقبيلته، وقيل الرهط مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٣٠٥.

(٢) ابو الفرج الاصبهاني ، الاغاني ، ج٢٢ ، ص٤٠١؛ إبراهيم محمد أبو الفضل وآخرون، ايام العرب في الجاهلية، ص٨٥؛ ابن الأثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي ، (بيروت، د.ت)، ص ٢٠٧؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٢٦٣.

(سفارة معبد بن زرارة الى مملكة الحيرة)

معبد بن زرارة (ت٥٣ق٠هـ/٥٧٢م)

وهو معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي، أبو القعقاع، فارس جاهلي، وهو أخو حاجب ابن زرارة رئيس بني تميم[١]، جُرِح وأسرهُ بنو عامر بن صعصعة في (حرحان)، وهي أرض (أو جبل)، قرب عكاظ، وراء عرفات، وكانت فيها معركتان في الجاهلية، أشهرهما الثانية بين بني عامر وبني تميم.

وكان معبد واسع الثروة، فطلب من أخيه حاجب أن يفديه من الأسر بمائتين من الأبل، ورضي العامريون بذلك، ولكن حاجباً قال: إن أبانا زرارة نهانا أن نزيد على مائة دية مضر، فعمدوا الى معبد فشدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف فلم يزل بها الى أن مات[٢].

ويذكر أنَّ السفراء والوفود كانوا يهابون غدر الملوك وبطشهم وقد عُرف ملك الحيرة (عمرو بن هند) بخشونة تعامله مع وفود العرب، فقد حمل معبد بن زرارة خوفه بين جوانحه حينما خاطر بالوفادة عليه فبعد يوم اوراة[٣]، ضيّق الملك (عمرو بن هند) على بني تميم، ومنع الميرة عنهم، فأجمع رأيهم على معبد بن زرارة، فقدم معبد الى الحيرة متنكراً فنزل على رجل من بني القليب بن عمرو بن تميم، وكان من

(١) ابن الأثير، الكامل ،ج٤، ص ٢٠٧؛ المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة (بيروت-١٩٩٢م)، ج٢٩، ص ٨٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٢٦٣.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ٢٦٣.

(٣) يوم أوارة: وهو يوم بين المنذر بن امرؤ القيس، وبين بكر بن وائل، ينظر: (شمس الدين، مجموع ايام العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٤٥).

صنائع الملك(وهي أحدى الفرق العسكرية من بني قيس وتميم)، وقد أوطن الحيرة وتنأ بها(قام بها)، فأطلعه معبد على أمرِهِ[١].

فخرج معبد حتى اعتراض الصحراء، فابتدره الفرسان حتى جاءوا به الى الملك، فقال له من أين أقبلت أيها الراكب؟ فقال: من بلد سماؤه غبراء، وأرضه وتربة مور، وماؤه غور، وأهله يتكفون بالغثاث، فالطفل مرموع واليافع مقصوع، فلا مسكة لفقير، ولا صمته لصفير، ولا حراك لكبير، فقال الملك: وأبيك أنك لتصف جهداً فأين بلدك؟ قال: بلد ألقى الشقاء على أهله جشمه، وأثار البلاءُ فيهم قتمة، فقال الملك: لقد وصفت شراً شمرا، وبلاء مصرا، فمن أولئك؟ قال، قوم كفروا النعمة وانتهكوا الحرمة، واستوجبوا النقمة، قال الملك: أجل فأيهم أنت؟ قال بسطة الملك قاهرة، ويدهُ ظاهرة، وعقابه يخشى، وعفوه، فقال الملك: يا معبد قد أتى لك ولقومك أن تتبعوا القصد الى الرشد، ثم أعطاهم كتاب أمان وأذن لهم في الامتياز[٢].

ويتضح لنا مما سبق ذكره إنَّ هذا السفير وهو (معبد) قد أثّر فعلاً في شخصية الملك الحيري عمرو بن هند، والذي وُصف بأنه الغدّار للسفراء والوفود، لكنه قد تأثر فعلاً بأسلوب معبد الفصيح المتكلم، وبالتالي استجابة الملك الى مطالبهم من حيث الأمان والامتيازات، فإنَّ للسفير أو الوافد أسلوب، وهذا الأمر يختلف من شخص لآخر بحسب حنكته وفطنته وفصاحة لسانه.

---

(١) العسكري، أبي هلال الحسن بن علي بن سعد بن سهل، (ت: ٣٩٥هـ)، جمهرة ألأمثال، تحقيق: محمد ابو الفضل وعبد المجيد قطامش، (مصر– ١٩٦٤)، ج٢، ص ٩٥-٩٦.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، دار صعب(بيروت–د.ت)، ص ١٧٨؛ ابن حزم، أبو ممد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت:٤٥٦هـ) جمهرة أنساب العرب، ط٣، دار الكتب العلمية،(بيروت–١٩٨٥م)، ج١، ص ٨٣.

(سفارة عروة الرحال الى مملكة الحيرة)

عروة الرحال:

وهو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب[(١)]، وهو جاهلي ومن جلساء الملوك، سمي الرحال وذلك لكونه كان كثير الوفادة عليهم[(٢)]، وكان من قبيلة هوازن حيث أجار لطيمة، للنعمان بن المنذر ملك الحيرة، واللطيمة[(٣)] العِير التي تحمل الطيب والبز[(٤)]، للتجارة، أي: أنَّ المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتُباع في سوق عكاظ، ويشتري له بثمن ذلك أدم[(٥)] من أدم الطائف، ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشراف العرب، فلما جهّز تلك اللطيمة كان عنده جماعة من العرب، وكان فيهم البرّاض[(٦)] وهو من كنانة، وعروة الرحال وهو من هوازن[(٧)]، فقال البراض: أنا أُجيزها

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٨٦؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٢٦.

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة– ١٩٥٥م)، ج٢، ص ٨٨.

(٣) اللطيمة: بفتح أوله، جماعة الإبل تحمل الطيب والبز وعروض التجار، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٨.

(٤) البز: الثياب أو متاع البيت من الثياب، وبائعه البزاز، وحرفته البزازة، ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في دار الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت– ٢٠٠٥م)، ج٢، ص ١٦٦.

(٥) أدم: وهو باطن الجلد الذي يلي اللحم، والأدمة في الإبل، البياض الشديد ويقال بعير أدم، وناقة أدماء، ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٢هـ)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفار، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٨٧م)، ج٥، ص ١٨٥٨.

(٦) البراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جدي بن ضمرة، ينظر: ابن مأكولا، ابو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت: ٤٧٥هـ)، إكمال الكمال، دار إحياء التراث العربي، (بيروت– ١٩٧٩م)، ج١، ص ٢٠٩.

(٧) نور الدين الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي، (ت: ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية= إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، دار المعرفة، (بيروت– ١٩٧٩م)، ج١، ص ٢٠٩.

على بني كنانة، فقال النعمان: إنَّما أريد رجلاً يجيزها على أهل نجد، فقال عروة الرحال: أنا أجيزها أبيت اللعن، فقال له البراض: من بني كنانه تجيزها ياعروة؟ قال: نعم وعلى الناس جميعاً[١]، فقال خذها: فرحل عروة بها، وتبع البراض أثره حتى إذا صار عروة بين ظهراني قومه بجانب فَدَك[٢]، نزلت العيرُ فأخرج البراض قداحاً يستقيم بها في قتل عروة، فمرَ عروة به وقال: ما الذي تصنع يا براض؟ قال: استخبر القداح في قتلي إياك، ثم وثب البرّاض بسيفه إليه فضربه ضربة خمد منها، واستاق العير، ولحق بالحرم[٣]، فكفّت عنه هوازن، وبسببه قامت حرب الفجار[٤] بين بني كنانة وقيس عيلان[٥].

يتضح لنا مما سبق أنَّ هناك حقداً من جانب البرّاض على عروة الرحال، لأنَّ الملك الحيري النعمان قد قرّبه إليه، وأجازه في حمل لطيمته تلك، مما سبب في قتله لعروة الرحال.

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم، (ت: ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، (بيروت– د.ت)، ج٢٢، ص ٦٢.

(٢) فدك: بفتح أوله وثانيه، معروفة بينها، وبين خيبر يومان، وحضها يقال له المشروخ، واكثر اهلها اشجع، وقرب الطرق من المدينة عليها من النقرة، مسيرة يوم على الجبل يقال له الحبالة والقذال، وهي كثيرة الفاكهة والعيون؛ ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، (ت: ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، مطبعة عالم الكتب، (بيروت– ١٩٨٣م)، ج٣، ص ١٠١٥.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٨٨.

(٤) وسوف اتناول هذه الحرب مفصلا في حروب العرب وايامهم ووفود الصلح فيها .

(٥) الزبيدي، مجد الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، (ت: ١٤١٠هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٨٠م)، ج١٠، ص ١١.

ومن الجدير بالاهتمام إنَّ عروة الرحال كان من السفراء المقربين الى ملوك المناذرة (الحيرة)، وكان هو ومن معه مقربين الى قبائلهم فهم ذو مكانة خاصة، لأن ملوك الحيرة لا يرفضون لهم طلباً في إطلاق سراح أسرى أو لحاجة في أنفسهم.

(سفارة لبيد بن ربيعة الى مملكة الحيرة)

لبيد بن ربيعة (٤١هـ-٦٦١م):

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي[١]، بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لجوده وسخائه، وقتلتهُ بنو أسد في الحرب كانت بينهم وبين قومهم وقومه[٢]، وهو شريف في الجاهلية والإسلام، وهو من المعمرين[٣]، ويُكنى لبيدٌ بأبي عَقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم[٤].

ولقد وفد لبيد بن ربيعة على النعمان ملك الحيرة في رهطٍ من بني جعفر بن كلاب، فطعن فيهم ربيع بن زياد[٥]، وذكر معايرهم وعيوبهم، ولم يزل به حتى صدّهُ

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٣م)، ج١،ص٢٦٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص٣٥٠.

(٢) المُبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٣، (القاهرة- ١٩٩٧م)، ص ٤٨.

(٣) السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٦٦.

(٥) الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب ابن هدم بن عوذ بن غالب العبسي، وهو من البرصان السادة والفرسان القادة. ينظر: ابو جعفر البغدادي ،محمد بن حبيب بن أمية بن

عنهم، فرجعوا الى رحالهم يتشاورون في أمره، فقال لبيد: وهو غلامٌ يحفظ رحلهم إذا غابوا: أنا صاحبه، والله لئن جمعتم بيني وبينه لا افضحنه، فقالوا له: اشتم هذه البقالة، لبقلة قدامهم تدعى التربة، فقال: هذه التربة لا تذكى ناراً، ولا توهل داراً، ولا تسر جاراً، عُودها ضئيل، وفرعها ذليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعىً، وأقصرها فراعاً، ,أشدها قلعاً، بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانعٌ، يعني: سائل فلما أصبحوا غدوا به معهم فوجدوا الربيع يأكل مع النعمان فذكرني جعفر حاجتهم، فاعترض فيها الربيع فقال لبيدٌ:

أكل يومٍ هامتي مقرعه　　　ياربّ هيجا هي خيرٌ من دعه

نحنُ بنو أم البنين الأربعة[1]　　　سيوفٌ جنٍ وجفانٌ مُتَرعه[2]

حينها انتقل بمديح النعمان مذكراً إياه مشاق رحلتهم قائلاً:

يا واهب المال الجزيل من سعة　　　عليك جاوزنا بلاداً مسبعة

فرفع النعمان يده من الطعام، وقال: خبثتَ عليَّ طعامي يا غلام، وقضى حوائج العامريين[3]، ومضى من وقته وصرفهم، ومضى الربيع بن زياد الى منزله من

عمرو ،(ت٢٤٥هـ)، المحبر ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند، ١٩٤٢م)، ص٢٩٩؛ الجاحظ، ابو عثمان بن بحر، (ت: ٢٥٥هـ)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام هارون، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد– د.ت)، ص ٣٥.

(١) أم البنين: ليلى بنت عامر وكانت تحت مالك بن جعفر فولدت له عامر بن مالك ملاعب الألسنة وطفيل فارس قوزل وربيعة أبا لبيد وهو ربيع المقترين ومعاوية معود الحكماء وولدت عبيدة الوضاح، فهؤلاء خمسة وقيل أن لبيداً قال أربعة لضرورة شعرية، ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٧٤.

(٢) العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص١٦١.

(٣) الأصفهاني، ج٤، ص ٢٤٢؛ العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص ١١٦–١١٧.

وقته، فبعث عليه النعمان بضعف ما كان يحبوه، وأمره بالانصراف الى أهله، فكتب عليه الربيع: إنَّي قد عرفت أنَّه قد وقع في صدرك ما قال لبيد، وأنَّي لست بارحاً حتى تبعث اليَّ من يجردني، فيعلم من حضرك من الناس أنَّي لست كما قال لبيد: فأرسل إليه: إنك لست صانعاً بانتفاعك مما قال لبيد شيئاً، ولا قادراً على رد ما زلَّت به الألسُن، فالحقُ بأهلك فلحق بأهله[١].

(سفارة عمرو بن كلثوم الى مملكة الحيرة)

عمرو بن كلثوم (ت:نحو ٦٠٠م)

هو عمرو بن كلثوم بن عتاب بن سعد بن زهير التغلبي[٢]، كان عمرو يفد على ملك الحيرة عمرو بن هند [٣] ،وينشده الشعر من دون مدح[٤]، وذلك لكون عمرو بن كلثوم لم يكن محتاجاً للمطايا، فقد نشأ في بيت من أسياد قبيلة تغلب، ومن الطبيعي أن يكون بنفسه فخوراً بمآثر أهله، وقد اجتمعت فيه صفات الفروسية

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ٢٤٤؛ ابن منظور، مختار الأغاني، ج٦، ص ٣٢١.

(٢) ابن سلام، محمد الجمحي، (ت: ٢٣١هـ)، طبقات الشعراء، تحقيق: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، (بيروت– ٢٠٠١م)، ص ٦٤.

(٣) هو عمرو بن المنذر بن امرؤ القيس، أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، وبها كان يعرف، يقال عمرو بن هند، ينظر: ابو البقاء، هبة الله محمد بن نما الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر، خريسات صالح موسى، مكتبة الرسالة الحديثة، (عمان– ١٩٨٤م)،، ص ١٢٧.

(٤) سحاب، فكتور، سوق عكاظ، دار المحترف السعودي للنشر والتوزيع، (جدة– ٢٠١١م)، ص ٥٣.

والخطابة والشجاعة إضافة الى الشعر فهو من الشعراء المشهورين في عصر ما قبل الإسلام، مما جعله يسود قومه ويصبح سفيرهم وهو ابن خمسة عشر عاماً[١].

وفي هذا الشأن أورد لنا ابن الأثير رواية ذكر فيها أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة جلس يوماً بين حاشيته وأخبرهم قائلاً: "هل تعلمون أنَّ أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي" [٢] [٣].

قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم التغلبي وابنها عمرو، حتى بعث ملك الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره وكان قد خطط مسبقاً للنكاية به وبأمه فقدم عليه وفداً ومعه أمه فأمر باستقبالهم فضربت الخيام بين الحيرة والفرات، وبعد ذلك جلس الملك وضيوفه في السرادق وقدم له الطعام فطلبت أم عمرو بن المنذر من ليلى بنت المهلهل أن تناولها شيئاً من الطعام فأجابتها بأن تقوم صاحبة الحاجة وتأخذه بيدها فألحت عيلها أن ترفعه لها بيدها لما أصبحت المسألة وكأنها مقصودة صاحت أم عمرو بن كلثوم: وأذُلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فتوجه الى سيف كان معلقاً في السرادق ثم ضرب رأس عمرو بن المنذر وقتله[٤]، ثم أخذ وفد آل تغلب بثأره وخرجوا قافلين الى ديارهم ،وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم.

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، (بيروت– ١٩٩١م)، ص ١٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٢.

(٣) أمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصود بن آكل المرار، وهي عمة امرؤ القيس، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٥٩.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٨.

بأي مشيئةٍ عمرو بن هندٍ　　　تطيعُ بنا الوشاةَ وتزدرينا

تهدَّدُنا وتوعدنا رُويداً　　　متى كنّا لأمّكَ مقتوِيْنَا[1]

ويتضح من هذه السفارة أن للعرب علو شأن ومنعه ورفعه ولا يرضون بالذُل والهوان حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم.

(سفارة طرفة بن العبد الى مملكة الحيرة)

طرفة بن العبد (ت٥٦٩م)

هو طرفة وقيل :عمرو، وقيل أيضاً :عبيد بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس البكري[2]، المكنى بأبي عمر المعروف بطرفة بن العبد، وهو شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى، من إقليم البحرين، وهو مصنف بين شعراء المعلقات[3].

وفدَ طرفة بن العبد على عمرو بن هند ملك الحيرة وعاشَ شطراً من حياته في بلاط المناذرة، وعلى الرغم من عيشه معهم إلا أنه هجاهم بأشعاره بأوصاف مقذعة(فاحشة) لأنّ ملك الحيرة أبا قابوس كان قد أخذ إبله[4].

كان عمرو بن هند قد كتب كتاباً أوهم طرفة بأنَّه أمر له بجوائز قيّمة الى عامله في البحرين وأشرك معه الشاعر الملتمس، فلما خرجا نحو البحرين قرأ الملتمس كتاب ابن هند فإذا فيه: أما بعد فإذا أتاك الملتمس وطرفة فاقطع يداهما

---

(١) أيمن ميدان ، ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٧٩.

(٢) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، ص٣.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ١٨٠.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ١٨١.

ورجليهما، وادفنهما أحياء، إلا أنَّ طرفة أبا أن يفتح كتابه وقال: لم يكن ليجرأ فسار حتى وصل البحرين فقتله عامل الملك[١].

(سفارة الحارث بن حلزة اليشكري الى مملكة الحيرة)

الحارث بن حلزة اليشكري (ت: ٥٨٠هـ)

هو أبو عبيدة الحارث بن حلزة بن مكروه، من أهل العراق، وينتهي نسبه الى يشكر بن بكر بن وائل[٢]، وقد شهد حرب البسوس[٣]، كان خبيراً بقرض الشعر ومذاهب الكلام، ومعلقته من المعلقات التي جمعت فيها طائفة من أيام العرب وأخبارها، ووعت ضروباً يقام لها ويقعد، وكان الحارث سيداً من سادات بكر بن وائل، شاعراً بارعاً يشهد له قومه بالفصاحة والبلاغة[٤]، وكان به برص مشوه لوجهه، مقبح لمنظره، وقد وفِدَ على الملك عمرو بن هند ، وهو من أشد ملوك العرب باساً وأسوأهم خُلُقاً، وأعظمهم جراءةً، ويلقّب بالمَحرّق لأنه أول من حرق خصومه بالنار، وكان لا ينظر الى أحد به سوء ترفعاً فجعل بينه وبين الحارث سبعة حجب، ليسمع

---

(١) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحميد النجار، ط٥، دار المعارف، (القاهرة– د.ت)، ج١، ص ٩٢.

(٢) ينظر: الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين، (ت: ٤١٦هـ)، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، (بيروت– ٢٠٠٢م)، ص ٢٦٧.

(٣) هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل جساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة ثأرا لخالته البسوس بنت منقذ بعد ان قتل كليب ناقة لجار البسوس سعد بن شمس وقد حدثت هذه الواقعة سنة ٤٩٤م، دامت هذه الحرب ٤٠ سنة .ينظر :الشمشاطي ، ابو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي ،(ت٣٧٧هـ)،الأنوار ومحاسن الأشعار، ص١١.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٠٤.

منه غير أن يراه[1]، فوقف الحارث خلف الحجب ثم ارتجل قصيدته الهمزية الرائعة التي جاء في مطلعها:

آذنتنا ببينها أسماءُ رُبّ ثاوٍ يُملُّ منهُ الثواءُ

آذنتنا ببينها ثم ولَت ليْتَ شعري متى اللِّقاءُ[2]

وأخذ يذكر أيام قومه وبأسهم، ويفخر بانتصاراتهم في غزواتهم، وغلبتهم على سائر القبائل، ويرفع وتيرة الاعتزاز بقومه، حتى يبلغ بهم أوج الغلبة والتفوق على سائر العرب، فلا ينجو من بطشهم عزيز بعزه، ولا ذليل بفراره، فالأعزة لا تقيهم منعتهم ولا حصونهم والأذلاء لا ينفعهم إسراعهم في الفرار، فقد عمّ الشر سائر الناس فلم يسلم منهم أحد[3].

وما زال يفتخر بقومه، ويذكر أيامهم التليدة وأيامهم المجيدة، حتى أذهل ببلاغته الملك وأمه هند، وكل من سمعه، فأمر الملك الخدم برفع الحجب، فما زال يرفعها حجاباً فحجاباً لحسن ما يسمع من شعره، حتى لم يبقَ بينهما حجاب، وهو يقول: (أدنوه أدنوه)، ثم أمر بطرّ الستر، وأقعده قريباً منه لإعجابه به على ما فيه من برص مشوه[4].

---

(١) الخطيب التبريزي، يحيى بن علي بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، (دمشق- د.ت)، ص ٢١٦.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢٠٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٢١.

(٤) القيرواني،الحسن بن رشيق الأزدي، (ت: ٤٥٦هـ)، العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، (بيروت- ١٩٧٣م)، ج١، ص ٤٤.

وقد صدق رسول الله ﷺ حيث قال: (إنّ من الشعر حُكماً ومن البيانِ سِحراً)[١]، لقد استطاع هذا الوفد بخطابه البليغ أن يكسب عطف وودّ الملك وتقديره، فيقدم قومه البكريين على منافسيهم التغلبيين قوم عمرو بن كلثوم، الذي سبقه بقصيدته الرائعة أيضاً. والتي مطلعها:

ألا هبّي بصحنكِ فاصبحينا   ولا تبقي خمورَ الأندرينا

مشعشعةٍ كأنّ الحصن فيها   إذا ما الماءُ خالطها سخينا[٢]

والتي فخر بقومه ورَفع من شأنهم، ولكن قصيدة ابن حلزة اليشكري فاقت قصيدة ابن كلثوم التغلبي، فقدمه الملك ورفعَ شأن قبيلته كل ذلك بفن وبلاغة الخطاب، وفصاحة الخطيب وحنكته، على الرغم من البرص الذي شوّه وجهه.

ولقد علقت قصيدته على أستار الكعبة بين المعلقات[٣] وعُدّت من أبلغ ثلاث قصائد تفخر بها العرب قال أبو عبيدة: " أجود الشعراء قصيدة واحدة جيّدة طويلة، ثلاث نفَر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد[٤].

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، (بيروت– ٢٠٠١م)، رقم ٢٤٢٤، ص ١٠٦.

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، مكتبة الخانجي ، (القاهرة، ، ١٩٩٧م)، ج٣، ص ١٧٦.

(٣) المعلقات: هي أشهر ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وأطولها نفساً، وأبعدها أثرا، اختلف الدارسون في سبب تسميتها، قيل، إنها سميت معلقات لأنها كتبت بماء الذهب، وعُلقت على أستار الكعبة، فسميت بذلك الاسم، ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ٩.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج١، ص ٣٢٥.

المبحث الثالث: سفراء ووجهاء العرب الى كسرى للمفاخرة

الفخر بالأحساب والأنساب طبعٌ في نفوس العرب لا ينفك عنهم، ما دامت أرواحهم في أجسادهم، والدليل على ذلك قول الرسول الكريم ﷺ (أربعٌ من الجاهلية لا يُترَكنّ، الفخرُ في الأحساب والطعنُ في الأنساب....)[1].

١-وفادة النعمان بن المنذر على كسرى وتفضيله العرب على سائر الأمم:

وفدَ النعمان بن المنذر على (كسرى ابرويز) وعنده وفود الصين والهند والفرس والروم وغيرهم، ولم يستثني ملوكهم وبلادهم، فافتخرَ النعمان بالعرب على جميع الأمم، ولم يستثني فارس ولا غيرها، فغضب كسرى وأخذته عزة الملك، ونال من العرب وضعفهم وقلة حيلتهم، وتشتت جمعهم كما سخِرَ من مأكلهم ومشربهم، ومن طباعهم وأخلاقهم[2]، قال النعمان: "إنّ عندي جواباً في كل ما نطق به ... فإن أمنني من غضبه نطقت به "[3]، فأذن له كسرى بالكلام، فبدأ النعمان بالثناء على الملك وأمته حتى يأمن غضبه ويسمع له فقال:" أصلح الله الملك... أما أمتك فليست تنازع في الفضل ، لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها... وما أكرمها الله به من ولاية أبائك وولايتك "[4].

ثم أخذ يفصل في تفصيل أمة العرب على ما سواها من الأمم، فذكر عزها ومنعتها، وشجاعتها وكرمها وأحسابها وأنسابها، ووفائها وحسن وجوهها، كما افتخر

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣٧، ص ٥٣٨.

(٢) سبط ابن الجوزي، شمس الدين، أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله ، (ت: ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، ط١، دار الرسالة العالمية، (دمشق- ٢٠١٣م)، ج٢، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٧٦.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٧٦.

بلغتها وفصاحة منطقها فقال: " فأما عزّها ومنعتها فحصونهم ظهور خيلهم، وجُنّتهم رماحهم، وسيوفهم، وغيرهم من الأمم عِزهم الطين والحجارة وجزائر البخور "[١].

لقد وصف ابرز الصفات التي يمتاز بها العرب عن سائر الأمم، ومن أهمها الشجاعة والفروسية، فلا ينفكون عن ركوب الخيل يداومون إمتطائها ولا يريحون، ويتقلدون سلاحهم لا يفترون، خلاف الأمم الأخرى التي إبتنت القلاع والحصون وبها يلوذون[٢].

ثم وقف على الأنساب وما يمتاز به العرب من حفظهم لأنسابهم وفخرهم بأحسابهم خلاف بقية الأمم الذين لا يكاد يعرف أحدهم سوى أبيه، فقال النعمان: " وأما أنسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت أنسابها، حتى سُئِل واحدٌ عما وراء أبيه لم ينسبه، ولم يعرفه، وما في العرب إلا من يسمي آباءه أباً أباً، وجداً جداً، فلا يدخل رجل في غير قومه ولا يدعى الى غير أبيه"[٣].

وهذه بحد ذاتها محمدة لا تنكر للعرب في الإنتساب للآباء والأجداد، فيها يحفظون أصولهم ويكرمون أحسابهم، ويعرفون مجد أسلافهم، فلا تطمس الأنساب، ولا تضيع الأحساب وفي هذا لا تضاهي أمتنا العربية أمةٌ من الأمم وبكل فخر واعتزاز.

ثم أخذ النعمان يذكر كرم العربي وسخائهم وما يمتازون به العرب عن غيرهم من الأمم في البذل والعطاء، وحسن القرى، وإكرام الضيف، ولو كان الضيف غريباً عابر سبيل، أو كان طارقاً يطرق بليل، أو يفد بنهار، وإن كان لا يعرفه المضيّف، فينحر

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٠٤.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ٧٨.

له الجزور[١]، أو يذبح له المنيحة[٢]، ولو كان لا يملك غيرها، طمعاً بالثناء الحسن والذكر الجميل فيقول:

" وأما سخاؤها، فإنّ الرجل يكون عنده البكر أو الناب، عليها بُلْغتّه من العيش، فيطرقه الطارق، فيعقرها له ويرضي أن يخرج من دنياه كلها بحَسن الأحدوثة، وجميل الذكر[٣]، وليس في الأمم من يتسم بهذه الخصلة الحميدة التي أقرها الإسلام وعززها، فإكرام الضيف أصل في حياة المسلم الذي يبذل لضيفه الغالي والنفيس، دون جزاء ، وجاء في محكم التنزيل آيات كثيرة عن إكرام الضيف، وإطعام الطعام، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [٤].

وفي السنة النبوية المطهرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليكرم ضيفه)[٥]، ثم أخذ النعمان يفخر باللغة العربية في روعة بيانها وفصاحتها، وامتيازها على سائر لغات الأمم، ببلاغة منطقها، وسحر شعرها، وحكمة نثرها، فقال: " وأما فصاحتها فإنّ الله أعطاها في نظمها ونثرها ما لم

---

(١) هي تسمية تطلق على مايذح من الابل ، ويعني بها في هذا الموضع الابل السمينة . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٣٤.

(٢)وهي تسمية تطلق على الناقة او كل ذات لبن يجعل احد الناس للاخر وبرها ولبنها وولدها .ينظر : ابن منظور،لسان العرب، ج٢،ص٦٠٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٧٢.

(٤) سورة هود، آية ٦٩.

(٥) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت:٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول لله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار الفكر للنشر، (بيروت– ١٩٨٧م)، ج٩، ص ٣٠٩، (باب إكرام الضيف).

يعطه غيرها من الأمم"[١]، وكيف لا يفخر بها وقد اختارها الله ليجعلها مادة لكلامه وقرآنه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[٢].

ثم أخذ يفخر بالخيل التي يركبونها، ويبين أصالتها ووفاءها لصاحبها، ولم يفتهُ أن يعتز بنساء العرب التي تتسم بالعفة والشرف فهي أطهر نساء الأمم، فحرائرها لا تعرف السفاح، وسائر أولادهم ولدوا من نكاح، فلا يسموا الى صفاتهن أيٌّ من نساء الأمم فيقول: " ثم إن خيولهم أفضل الخيول ونساءهم أعف النساء"[٣].

ولقد ضرب الله جل في علاه المثل في بوفاء الخيل العربية في سورة " العاديات" وجعلها حجة على الإنسان الجحود الكنود، وكما عرفت نساء العرب في الجاهلية قبل الإسلام: "إن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها"[٤]، أي : أنَّ نساء العرب كانت تأنف من العيش مما تأخذه لقاء لبن أثدائها[٥]، وهو ما يسمونه بالمرضعات.

ولما بايع النبي ﷺ النساء على التوحيد والأمانة، والعفة والتحصين من الفاحشة، عملاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ [٦]﴾، فوقفت هند بنت

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن ، ج٨، ص ٩٨.

(٢) سورة يوسف، آية ٢.

(٣) أبو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن حيان، (ت: ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل (أحمد)، علي موض، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٩٩٣م)، ج٢، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص ١٢٢.

(٥) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن عباس، (ت: ٤٠٠هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق: أحمد أمين، أحمد صقر، مطبعة التأليف والترجمة (القاهرة– ١٩٥٣م)، ص ٢٥٠.

(٦) سورة الممتحنة، آية ١٢.

عتبة وقالت: " يا رسول الله وهل تزني إمرأة حرة؟ قال ﷺ: ((لا والله ما تزني الحرة))[1].

وأخذ النعمان في بيان ديانة العرب العريقة الموغلة في القدم، من زمن إبراهيم عليه السلام، الذي سنّ لهم دين الحنيفية السمحاء، وابتنى لهم البيت العتيق، يحجون إليه، ويحرّمون مواقيته وحدوده وليس لأمة من الأمم بيت كبيتهم، ولا نسك كنسكهم، يقدسون البلد الحرام، والأشهر الحرام، فلا غزو فيه ولا قتال، يأمن الخائف من الدّرك، والمحدث من القصاص والهلك[2]، فيقول: " وأما دينها، فإنّ لها بيتاً محجوباً، وشهراً حراماً وبلداً محرماً، ينسكون فيه نساكهم، ويذبحون ذبائحهم ويلقى الرجل قاتل أبيه، أو ابنه أو أخيه فلا يتعرضون له في الشهر الحرام"[3].

لقد فاخر النعمان بدين إبراهيم والبيت الحرام، الذي تقدسه العرب قبل الإسلام وبعده، ومدى إحترامهم لحرمته، وتقديسهم الشعائر التي توارثوها عن آباءهم، ورغم أن طلب الثأر يجري في عروقهم إلا أنهم يلتزمون السلم والأمن في الأشهر الحرم.

ثم يذكر النعمان الوفاء في العهود، وإنجاز الوعود، فلا تعرف الدنيا قوماً أكثر تمسكاً بعهودهم، وأوفى لذممهم ووعودهم مثل العرب، وكم نشبت حروب بينهم بسبب خفر ذمة أحدهم، فمن استجار بأحدهم لا يصله مكروه ما دام المجير حياً، ولا يُسّلم جاره ما لم ينقطع نفَسَه فيقول: " وأما وفاؤها فإنَّ أحدهم إذا عقد عقدة لا يحلّها إلا خروج نفَسه، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض، فيكون رهناً بدينه وذمته، فلا تخفر ذمته، وإنَّ أحدهم ليبلغه إنَّ شخصاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره،

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٨، ص ٩٨-٩٩.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص ٨٩-٩٠.

(٣) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم شهاب الدين (ت: ٧٢٢هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة- ١٤٢٢هـ)، ص ١٢٣.

فيصاب، فلا يرضى حتى يغني هذه القبيلة التي أصابته، أو تغنى قبيلته، لما أُخفر من ذمامة وجواره"[1].

والمعهود عن العرب حفظهم العهود وحماية الجار، ويبالغون في ذلك، وكم نشبت حروب بسبب إهانة جار أو ظلمه، وقد استمرت الحرب عقوداً من السنين من أجل ناقة الجار[2]، وربما بالغ بعضهم بحماية الجار وحق الجوار، حتى أخذ يجير كل من استجار بقبر أبيه[3].

ثم يرد على الملك كسرى انتفاضة العرب بوأد البنات وقتلها خشية الفقر والفاقة، فيبين له النعمان أنَّ وأدهم البنات ليس إلا غيرة منهم وأنفة من العار الذي قد يمسهم، فيدفن أحدهم ابنته وهي عزيزة عليه، درأ الحرج التزويج أو عار السفاح فيقول: " وأما قتلهم الإناث من أولادهم، فليس للفاقة بل أنفة من العار وغيرةً من الأزواج"[4].

وكان سادة العرب يخشى أحدهم العار الذي قد يناله من ابنته، ويكره أن يزوجها حتى لا يقال ابنة فلان تحت فلان، وقد وثّق الله (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز صورة حرجهم من ولادة البنات فقال جلّ في علاه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢، ص ٤٨١-٤٨٢.

(٢) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب،ج٢، ص ١٢٤.

(٣) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، (: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، مطبعة مصطفى محمد، (مصر- ١٣٥٥هـ)، ج٢، ص٦٧.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ٤-٥؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص ٦٧-٦٨

ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٥٩)﴾[١].

لقد استطاع النعمان أن يوصل رسالة وكأنها وثيقة تاريخية تفصح عن أخلاق العرب وطبائعهم وملامح بيئتهم الدينية والاجتماعية، التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، كما ردّ من خلالها على كل تهمة أو نقيصة وجهت لقومه العرب، في مواقف لا يتسنى لأحد من الوفود سواه بأن يسهب بمثل ما أسهب به من الخطاب، وكل ذلك كان انتصاراً لقومه ورفعاً لمكانتهم بين الأمم، حتى أدهش كسرى ونال إعجابه، وألجأه الى القول: " إنّك لموضع الرئاسة في أهل مملكتك وفيما هو أفضل"[٢]، فأسبغ عليه من الثناء الحسن، وأجزل له من العطاء الوفير، وودعه معززاً مكرماً الى الحيرة، حاضرة ملكه ومقر إقامته.

(سفارة أكثم بن صيفي على كسرى)

بعث الملك الحيري النعمان (أكثم بن صيفي) كونه رجلاً فصيحاً سفيراً له، ووافداً الى كسرى يمثله، فعندما وصل الى كسرى رحّب به، وأعطاه الفرصة بالكلام، فقام أكثم متكلماً بلسانٍ فصيح ومنطقاً حكيم، فقال: " إن أفضل الأشياء أعاليها,، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لُجاجة[٣]، والحزم مركب صعب، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، وإصلاح فساد الرعية خير من

---

(١) سورة النحل، آية ٥٨-٥٩.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢، ص ٤٨٣.

(٣) اللجاج واللجاجة، والملاجة: التمادي في الخصومة، وقيل: هو الاستمرار على المعارضة في الخصام، واللجاج: هو التمادي في الأمر ول تبين الخطأ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٣١١.

إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كأن الغاص بالماء، وشرّ البلاد بلاد لا أمير لها، وشرّ الملوك من خافه البريء، المرء يعجز لا المحالة، وأفضل الأولاد البررة[١].

ثم قال خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة، وأحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل، حسبُك من شرّ سماعه، الصمت حكم وقليل فاعلهُ، البلاغة الإيجاز.

ثم ذكر كلاماً بليغاً فاق الخيال، أعجب كسرى وأدهشه ذلك الخطاب حتى قال له: " ويحك يا أكثم! ما أحكمك وأوثق كلامك، لولا وضعك كلامك في غير موضعه، فقال أكثم الصدق ينبئ لا الوعيد، ثم قال كسرى: لو لم يكن العرب غيرك لكفى، فقال أكثم: رُبّ قول أنفذ من صول[٢].

لقد صاغ عبارات موجزة أضحت من بعده مثلاً سائراً فقوله: "أفضل الأشياء أعاليها"، حكمة بالغة توافق إجابة النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ وأرضاه، حينما سأله عن أفضل الرقاب فيقول: (أنفسها عند أهلها، وأغلاها ثمناً)[٣]، أما قوله: (أعلى الرجال ملوكها)، فليس فوق الملك من يأمره وينهاه، ويتصرف به كيفما شاء، فهو الآمر الناهي، الذي إذا قال فعل، وإذا وعد أنجز.

ثم ركز على خصلة من خصال "الصدق" فقال: " وأفضل الخطباء أصدقها"، والعرب في جاهليتها يعتزون بالصدق ويتحرجون من الكذب، ويشهد لذلك موقف أبي سفيان بن رب بين يدي ملك الروم، حينما أخذ يسأله عن النبي المبعوث من قومه

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٩٧.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج١، ص ٩٧-٩٨.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، رقم ٢١٣٣١، ج٣٥، ص ٢٦٠.

حديثاً، وكان أبو سفيان اشد الناس عداوةً لرسول الله ﷺفأبت العربية الأصيلة أن يتهم رسول الله بنقيضة رغم إرادته الانتفاض، فقال: " والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته"(١).

ويبدو أن الملك الحيري لا يبعث شخصاً يمثله إلا من تتوفر فيه الفصاحة والبلاغة، وكيفية التحدث مع الملوك والسادات، وخبرة الحياة قد أكسبت أكثم بن صيفي تلك الصفات الحميدة.

(سفارة حاجب بن زرارة على كسرى لخطب الوِد ورغبة الجوار)

هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الدارمي التميمي(٢)، ويُعد من سادات العرب في الجاهلية وكان زعيماً لقبيلة تميم قي عدة مواطن(٣)، وفَدَ حاجب بن زرارة على كسرى، بعدما مُنع قومه بني تميم من ريف العراق، لقد حصرهم في صحرائهم ومنعهم بسطوته وجبروته دخول الأرض الخصبة من العراق، وهي أرضهم فهلكت مواشيهم لفقر مراعيهم، ومحل بواديهم.

فاستأذن حاجب كسرى فأوصل إليه فسأله: أسيد العرب أنت؟ فقال: لا، قال سيد مضر: قال: لا، قال فسيد بني أبيك أنت؟، قال: لا(٤)، أراد كسرى التعرف على الوفد قبل لقاءه فنفسه تأبى أن يقف بين يديه ويخاطبه إلا سادة القوم، وكان حاجب يخفي في نفسه مفاجأة، لعلها تقع موقع القبول لدى الملك، ثم أذن له، فلما دخل

---

(١) البخاري، أبو عبد الله إسماعيل، (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير للنشر، (بيروت– ١٩٨٧م)، ج٣، ص ١٠٧٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٥٦.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٥٣.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٦.

عليه قال له: " مَن أنت؟ قال: سيد العرب، فقال كسرى متعجباً: أليس قد أوصلت إليك أسيد العرب، فقلت: لا، حتى اقتصرت بكَ على بني أبيك فقلت: لا؟، وهنا أفصح حاجب بن زرارة عن مفاجأتهِ السارة للملك قائلاً: " أيها الملك، لم أكن سيداً حتى دخلت عليك، فلما دخلت عليك صرت سيد العرب" ، فأعجب كسرى بهذا الإطراء الذي تقدم به هذا الوفد فقال: "املأوا فاه دُرّاً"[(١)].

وفي هذا الحوار تبدو فطنة حاجب بن زرارة ولباقته، ومدى ذكائه في مستهل خطابه، لكسب ودّ كسرى، حيث سلك مسلكاً طريفاً ومشوقاً، جعل الملك يستطلع ماهية الوافد، ويتشوق لمعرفة شخصيته، فلما استنطقه كشف عن عقلٍ حصيف وأدبٌ لطيف، دعاه للاندهاش والإعجاب ثم للمكافئة الجزلة والمجزية[(٢)].

ولما عرض حاجب بن زرارة حاجة قومه وطلبهم جوار كسرى في ريف العراق صمت كسرى برهة، فقال: "إنكم معاشر العرب غُدْرٌ فإن آذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني[(٣)]، فأجاب حاجب بقوله: " إني ضامن لك أن لا يفعلوا"، وهذا قوسي أرهنك إياه، فقدم حاجب قوسه الخشبي، فلما جاء به ضَحِكَ من في مجلس كسرى ساخرين، فقال لهم كسرى: لا تضحكوا فإنّ للعرب وفاءً، وأُخذت منه القوس رهينة، فقبضها منه، وأذن لبني تميم بدخول ريف العرق، فاستقروا ولم

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٧.

(٢) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن ممد بن منصور التميمي، (ت: ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، (بيروت– ١٩٨٨م)، ج٢، ص ١٥٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٨.

يفسدوا شيئاً، ولما مات اجب جاء ابنه عطارد بن حاجب[1]، الى كسرى، وأخذ منه القوس، فضربت الأمثال بقوس حاجب، وكانوا بنو زرارة يفتخرون به[2].

(سفارة الحارث بن عباد البكري الى كسرى) (نحو ٥٠ ق.هـ – ٥٧٠م)

هو الحارث بن عُباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري[3]، المكنى أبو المنذر، والملقب بفارس النعامة، أحد سادات العرب وحكمائها وشجعانها[4]، وهو من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين وكان من ضمن الوفد الذي أرسلهم النعمان مفاخرين، فعندما استخف بهم كسرى وانتقض منهم بكلمة، علق بها على خطبهم فقال: "أنفسٌ عزيزة وآلةٌ ضعيفة"[5].

شعر الحارث والقوم معه باستضعاف كسرى لهم، والتقليل من شأنهم فقام الحارث معتدأ بنفسه ومفتخراً بفروسيته فقال: " أيها الملك إن الفارس إذا حمل على الكتيبة يقدم على الموت، فهي حياة استدبرها، ومنية استقبله، ومتى استَعَرت نار

---

(١) ومات حاجب بن زرارة، فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه، فردها عليه وكساه حلة، فلما وفد عطارد بن حاجب الى النبي محمدﷺ وهو يومها رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي ﷺ فلم يقبلها فباعها من يهودي بأربعة آلاف درهم فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته، ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٨–٢٨٩

(٢) ابن سعيد، أبو الحسن بن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصر عبد الرحمن، مكتبة الأقصى (عمان– ١٩٨٢م)، ج١، ص ٤٥٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٥٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم وهب، منشورات وزارة الثقافة السورية (دمشق– ١٩٨٨م)، ج٢، ص ٣٨.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٢٨٦.

الحرب واشتدّ لظاها، جعلتُ مقادها رُمي، وبَرقّها سفي، ورَعدها زئيري، ولم أُقصّر عن خوض ضحضاحها[1]، حتى أنغمس في غمرات لحُجبها، فأترك حُماتها جزاراً للسباع، وكل نَسْر قشعم"[2].

لقد قدم الحارث نموذجاً للفارس العربي، المعتد بمهاراته القتالية وشجاعته البطولية، وقدرته على صرع خصمه مهما كانت قوته، وشدة بأسه، فهو يخوض الحروب الضروس، ليجعلها مُقادة لرمحه، يصرفها كيفما يشاء على هواه، كما جعل من لمعان سيفه بريقاً يضيء غمارها، ومن صوته رعداً يجلجل في أرجائها، فأعجب كسرى بفروسيته، واستعظم مبالغته في الاعتداد بنفسه، فالتفت الى صبه من أعضاء الوفد وسألهم: " أهكذا هو"[3]، فأجابوه جميعهم وكأنهم توافقوا على الإجابة، فقالوا: " فِعالَه أنطق من لسانه"[4]، فعجب كسرى من هذا التوافق في تزكية صاحبهم وتصديق كلامه، فقال: " ما رأيتُ كاليوم وفداً أحشد ولا شهوداً أرفد"[5].

---

(١) الضحضاح: هو الماء الى الكعبين أو الى أنصاف السّوق، أو هو ما غَرق فيه ولا له غُمر، والضحضاح الكثير، بُلغة هُذيل لا يعرفها غيرهم، قاله خالد بن كلثوم، يقال عنده إبل ضحضاح، قال: الأصمعي: غنم ضحضاح، وإبل ضحضاح كثيرة، وقال الأصمعي هي المنتشرة على وجه الأرض، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص ١٣٣.

(٢) القشعم: المسن من الرجال والنسور والرّخمُ لطول عُمره، ينظر: الزبيدي، تاج العروس ، ج١٧، ص ٤٤١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٨٤.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٨٤–١٨٥.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٤٠.

(سفارة عمرو بن الشريد السلمي على كسرى) (ت نحو ٥٢١م)

هو عمرو بن الشريد بن رياح بن يقضة بن عصية بن خفاف السلمي[١]، من بني سليم، ابن منصور، من قيس، وكان يلقب بأبي الخنساء، وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد التي أدركت الإسلام[٢]، وهو من الوفود التي تفاخرت بالعرب عند كسرى، فلما جاء دوره قام خطيباً فقال: " أيها الملك، نعم بالك، ودام في السرور حالك، إن عاقبة الكلام متدبرة، وأشكال الأمور معتبرة، وفي كثير ثقله، وفي قليل بلغه، وفي الملوك سورة العز، وهذا منطق له ما يعده، شرف فيه من شرف، وحُمل فيه من حُمل، لم نأتِ لضيمك، ولم نفد لسخط، ولم تتعرض لرفدك، إن في أموالنا منتقداً، وعلى عزنا معتمداً، إن أورينا ناراً أثقبنا، وإن أوده دهر بنا أعتدنا، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون، ولمن رامك كافحون، حتى يمد الصدر ويستطاب الخبر"[٣].

قال كسرى: " ما يقوم قصد بإفراطك، ولا مدحك بذمك، قال عمرو: كفى بقليل قصدي هادياً، وبأيسر إفراطي مخبراً، ولم يلم من عرفت نفسه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ، قال كسرى: ما كل ما يعرف المرء ينطق به، إجلس.

وفي هذه الوفادة يبين عمر بن الشريد عزة ومنعة العرب كمن سبقه من الوفد ويبين أنهم لم يأتوا عليه طالبين عطاء أو منتشرين رفداً، وإن العرب فيهم من الشجاعة والأقدام ما يستطيعون أن يحفظوا جوار كسرى، فأعجب كسرى بمنطقه، وأظهر له سروره وأجلسه.

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٠١.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج٢، ١٥٤.

(٣) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٥٩.

(سفارة خالد بن جعفر الكلابي الى كسرى) (ت نحو ٥٦٨م)

هو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[١]، وكان ضمن الوفد الذي أُرسل الى كسرى ملك الفرس، وعندما جاء دوره في الكلام قام خالد بن جعفر الكلابي فقال: " أحضر الله الملك إسعاداً، وأَرشده إرشاداً، إن لكل منطق فرصه، ولكل جابه غصة، وعي المنطق أشد من وعي السكوت، وعثار القول أنكى من عثار الوعث، وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى، وغصّة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة، وتركي ما اعلم من نفسي، ويعلم من سمعني أنني له مُطيق، أحب إليّ من تكلفي ما أتخوف، ويتخوّف مني، وقد أوفدنا غليك النعمان، وهو لك من خير الأعوان، ونِعْم حامل المعروف، والإحسان، أنفسنا بالطاقة لك باخعة، ورقابنا بالنصيحة خاضعة، وأيدينا لك بالوفاء رهينة"[٢]، فقال كسرى: " نطقت بعقل، وسموت بفضل، وعَلَوتَ بنُبل"[٣].

ومن الجدير بالاهتمام إن خالد بن جعفر الكلابي يُعد من أبرز ندماء الملك الحيري النعمان بن المنذر[٤]، ويتضح لنا من هذه السفارة أن خالد يبدو أكثر تأثيراً من غيره على كسرى وذلك لما تعامل به من حسن اللفظ والمنطق، وسلامة التعبير، لذلك صلح لتلك المهمة الصعبة، إلا وهي مهمة السفارة والوفادة.

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ١١٩.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٩٨؛ غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور، (بغداد- ١٩٣٦م)، ص ٧٩.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٩٩.

(٤) السمعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الفكر، (بيروت- ١٩٧٣م)، ج٢، ص٩٩.

(سفارة علقمة بن علاثة العامري على كسرى) (ت نحو ٥٦٤م)

علقمة بن علاثة الكلابي العامري[١]، وكان من أشراف بني ربيعة بن عامر، وكان من المؤلفة قلوبهم[٢]، وكان سيداً في قومه، حليماً عاقلاً، ولم يكن في ذاك الكرم، أدرك الإسلام، ولكن تذكر الروايات أنه ارتد عن الإسلام ولحق بالروم، ثم لحق في صفوف المسلمين مرةً أخرى[٣].

جاء دوره فقام خطيباً على كسرى فقال: " أنهجت لك سُبُل الرشاد، وخضعت لك رقاب العباد، إنّ للأقاويل مناهج، وللآراء موالج، وللعويص مخارج، وخير القول أصدقه، وأفضل الطلب أنجحه، إنّا وإن كانت المحبة أحضرتنا، والوفادة قرّبتنا، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك، بل لو قست كُلّ رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا، لوجدت له في آبائه دنيا أنداداً وأكفاء، كلهم الى الفضل منسوب، بالشرف والسؤدد موصوف، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف، يحمي حماه، ويروي نداماه، ويذود أعداه، لا تخمد ناره، ولا يحترز منه جاره، أيها الملك، من يبل العرب يعرف فضلهم، فاصطنع العرب، فإنهم الجبال الراسية عزاً، والبحور الزواخر طمياً، والنجوم الزواهر شرفاً، والحصى عدداً، فان تعرف لهم فضلهم يعزّوك وإن تستصرخهم لا يخذلوك"[٤]، قال كسرى: وخشي أن ياتي منه كلام يحمله على السخط عليه: " حسبك، أبلغت وأحسنت"[٥].

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٤٧.
(٢) السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٢٨٩.
(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٥٨.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٤.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٥.

(سفارة قيس بن مسعود الشيباني على كسرى) (ت ١٠ ق.هـ -٦١٢م)

هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين[١]، من بني ذهل بن شيبان، وهو من شعراء العرب في الجاهلية[٢]، وهو من ضمن الوفد الذي وفدوا على كسرى، فلما جاء دور قيس بن مسعود قام فقال: " أطاب الله بك المراشد، وجنّبك المصائب، ووقاك مكروه الشصائب(المصائب)، ما أحقنا - إذ أتيناك- بإسماعك ما لا يخنق صدرك، ولا يزرع لنا قداً في قلبك، لم نقدم ايها الملك لمساماة، ولم ننتسب لمعاداة، ولكن لتعمل أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم، إنا في المنطق غير محجمين، وفي الناس غير مقصورين، إن جورينا فغير مسبوقين، وإن سومينا فغير مغلوبين"[٣]، قال كسرى: " غير أنَّكم إذا عاهدتم غير وافين"، فقال قيس: " ليس كل الناس سواء، فكيف رأيت حاجب بن زرارة، كيف يعد وينجز "[٤].

أراد كسر أن يجعل أمة العرب تغدر في العهود، ويجيب قيس بن مسعود بكل إخلاص وتفاني لأمة العرب التي لم يثبت أي مخلوق أنَّها أمَّةُ غدر بل هي أمة إذا عاهدت أصبح عهدها دستوراً، فيجيب الملك ويذكّره بعهد حاجب بن زرارة عندما رهن قوسه، وهذه الحادثة المشهورة التي ذكرناها في سفارة حاجب بن زرارة فاختيار هؤلاء الوفود لم يأتي من فراغ ولكن اختار العرب لهذه المهمة (الرجل المناسب في المكان المناسب).

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٠٨.

(٢) الزركلي ، الأعلام، ج٥، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، (بيروت- ٢٠٠٩م)، ج١، ص ٦١.

(٤) العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٢.

(سفارة عامر بن الطفيل العامري على كسرى) (ت ٩هـ- ٦٣٠م)

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري[١]، من بني عامر بن صمصمة، فارس قومه فتّاك العرب، وشعرائهم وسادتهم في الجاهلية، ولد ونشأ وترعْرع في نجد وكان كريماً سخياً، وأدرك الإسلام وهو شيخاً كبيراً لم يُسلم[٢]، وهو أحد الوفود الذين أُرسلوا الى كسرى للمفاخرة بالعرب وأنسابهم وأحسابهم ولما جاء دوره قام فقال: " كثر فنون المنطق، وليس القول أعمى من حندس الظلماء، وإنما الفخر في الفعال، والعز في النجدة، والسؤدد مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقَدرنا، وأبصرك بفضلنا، وبالحرى إن أدالت الأيام، وثابت الأحلام، تحدث لنا أموراً لها أعلام"[٣]، قال كسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر، على أمر يذكر؟

قال: مالي علم بأكثر مما خَبرني به مخير، قال كسر: متى تكاهنت يا ابن الطفيل؟، قال: لست بكاهن، ولكني بالسيف والرمح طاعن، قال كسرى: فإن أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما انت صانع؟، حيث تذكر المصادر أن عامر بن الطفيل كان كريم العين، قال عامر: ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي، وما أذهب عيني عيث ولكن مطاوعة العيث[٤]، والعيث المراد به الفساد.

ومن الجدير بالذكر والملفت للنظر في هذه السفارة هو سؤال كسرى لعامر بن الطفيل بقوله متى تكاهنت؟ فيجيب عامر بأنَّه ليس كاهن ،وإنَّما هو محارب بالرمح طاعن، وكان ابن الطفيل كما ذكرنا آنفاً ذا عين واحدة سليمة، والأخرى تالفة، فسأله

---

(١) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٥،ص ٥٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٥٢.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٢٩٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٨٩.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج١ ، ص٢٨٩.

كسرى: إن أتاك طاعن من جهة عينك العوراء؟ محاولاً الإساءة الى ابن الطفيل، بلمسة علّته التي يتوقع منها ضعفه، فيرد عليه بكل براعة وحكمة وحسن تدبير، مظهراً ارتفاعه فوق آلامه وضعفه وانتصاره على علتهِ، وأنه مهاب من خلفه أكثر من أمامه، وأنَّه إنما فقد عينه في مجال مجدٍ وشرف، فهي وسام يشهد له من خلال صولاته البطولية.

(سفارة عمر بن معد يكرب الزبيدي على كسرى) (ت ٦٤٢م)

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زُبيد، أبو ثور الزبيدي[١]، وهو من قبيلة مذحج، وكان عمرو من أشجع فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية، كما أنه أدرك الإسلام[٢]، وكان عمرو ضمن الوفد الذي أرسله الملك الحيري النعمان بن المنذر الى كسرى، وبعد أن تكلم مشاهير العرب الأعلام أمام كسرى بكلام بليغ بعبارات شديدة اللهجة إن صحّ التعبير، جاء دور عمرو بن معد فأراد أن يلطف الجو بحكم لطيفة، ومعانٍ طريفة، فقارب وسدد من غير ضعفٍ ولا انكسار، فقال: "إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجعة[٣] الارتياد، وغفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفضك، واكتظم باردتنا بحلمك، وألن

---

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت- ١٩٨٧م)، ج٤، ص ٩٨.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٣٧.

(٣) النجعة عند العرب: المذهب في طلب الكلأ في موضعه، ومساقط الغيث، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٣٤٧.

لنا كنفك يسلس لك قيادنا، فإنا أُناس لم يوقس صفاتنا[١]، قِراع مناقير من أراد لنا قضماً، ولكن مَنَعنا حمانا من كل من رامَ لنا هضماً"[٢].

نستنتج من خطاب عمرو بن معد أن جعل القلب واللسان قوام الإنسان، ولا خير فيمن حرم ثبات القلب وفصاحة اللسان، فالعاقل من كان لسانه من وراء قلبه، والجاهل الأحمق من كان قلبه من وراء لسانه، ثم التمس من الملك الصفح عن الزلل، والعفو عن الخطل، لكنه لم يخضع لهيبة الملك ولم يهن أمام امتعاض الملك ممن تجرأ أمامه من الوفود، فلا شك أن الملك قد تأثر كثيراً بهذا الوفد، لما وجَدَ عندهم من حسن الخطابة، والحكمة والأخلاق النبيلة، فقد أحسنوا في نقل صورة جميلة عن العرب، ومن ثم استطاعوا أن يغيروا نظرة كسرى عليهم بنحو أفضل من خلال تلك الوجوه دخلت قصرة كسفراء مبعوثين له.

(سفارة الحارث بن ظالم المري على كسرى) (ت نحو ٦٠٠م)

هو الحارث بن ظالم بن غيظ بن عبس السلمي المري[٣]، عُرفت عنه الشدة والفتك بأعدائه، يكنى أبا الأعور، شَهِد بدراً[٤]، ويعد من أشهر خطباء العرب، وفد على كسرى وتكلم عندما جاء دوره بكلام الأنداد، وخطابه خطاب الأتراب وكأنه يخاطب إعرابياً من قومه، فقال: " آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق المُلق، ومن

---

(١) الصفاة، صخرة ملساء، يقال في المثل: ماتَنْدي صفاتُه، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص٩٠.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٢٨٦؛ الدليمي، دام كامل ساجر، عمرو بن معد يكرب الزبيدي، دراسة في سيرته وأثره السياسي والعسكري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، (جامعة بغداد– ٢٠٠٤م)، ص ٤٣–٤٤.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٥٥.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص ٤٠١.

خطل الرأي خفّةُ الملك المسلَّط، فإن أعلمناك إنّ مواجهتنا لك عن إئتلاف، وإنقيادنا لك عن إنصاف، ما أنت بقبول ذلك منا بخليق، ولا الاعتماد عليه بحقيق، ولكن الوفاء بالعهود، وإحكام العقود، والأمرُ بينا وبينك، مُعتدل، ما لم يأتِ من قلبك ميلُ"(١).

فنَزل كلام الحارث وكأنه صاعقة على كسرى، فانتفض مغضباً وقال له: من أنت؟، قال: " الحارث بن ظالم"، قال كسرى: إن في اسم أبيك دليلاً على قلة وفائك"، فانتبه الحارث لما أثار غضب الملك، وأراد أن يذكره بأخلاق الملوك العظام، وأن يبعث فيه الترفع عن السفه والحمق، فقال مستدركاً حرارة الموقف: " الحلم مع القدرة، فلتُشبه أفعالك مجلسك"، فأعجب كسرى بسرعة بديهته، وفصاحة منطقه وحدة طبعه، فقال كسرى: "هذا فتى القوم"(٢).

ثم تكلم آخرون أرادوا أن يخففوا من حدة التوتر، التي سادت المجلس، ودعوا للملك بطول البقاء، ودوام العز والرخاء، واعتذروا عن أخوانهم الذين خشّن بعض خطابهم قلب الملك، وأوغر صدره، لكنهم ضمّنوا ثنايا اعتذارهم رسالة إعلامية واضحة تُجّلي أخلاق العرب وخصالهم، وتبين سماتهم وخصائصهم، فهم أفصح الناس لساناً، وأثبتهم جناناً، ولا يتسنى لأحد أن يجاريهم في سباق، أو يساميهم في ارتقاء، ثم تعهدوا له بإخلاص النوايا، وحفظ الجوار، وجنابة الولاء ولعهده الوفاء، ولمن رامه بالعداء(٣)، وانتهى المجلس العامر بالوفود بإعلان الملك الرضا عن وفد العرب، وصفحه عن الهنات التي تخللت كلامهم، والزلات التي نَبَت بها ألسنتهم فقال مخاطباً لهم: " قد فهمت ما نطق به خطباؤكم، وتفنن فيه متكلموكم، وإني لأَكره أن

---

(١) سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان، ج٢، ص ٤٨٢.

(٢) ابن عبد ربه، لعقد الفريد، ج١، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٢٠٣.

أجبه وفودي وأحنق صدورهم، وقد قبلت ما كان منطقكم من صواب، وصفحت عما كان فيه من خللٍ، فانصرفوا الى ملكهم، وألزموا طاعته، وأحسنوا مؤازرته[١].

ثم أجزل لهم الجوائز، وحملهم التحف وسرحهم الى ديارهم حامدين شاكرين مرفوعين الرؤوس.

(سفارة النعمان بن المنذر على كسرى ومقتله)

قيل: إنَّ أسباب وقعة ذي قار[٢] سنة(٦٠٩م)، هو ما حصل بين كسرى ابرويز والنعمان بن المنذر، والجدير بالذكر إن مقتل النعمان بن المنذر كان سببه هو سفارة أحد أعوانه ويدعى عدي بن زيد الذي تربى النعمان بحجره، وهو الذي كان له الفضل في تتويجه ملكاً من دون سائر إخوانه، ونتيجةً للحقد والكراهية التي قام بها رجال بلاط النعمان ضد عدي ابن زيد أرسل إليه، وهو عند كسرى يستزيره فاستجاب لأمر النعمان، فوفد عليه فلما أتاه لم ينظر عليه حتى حبسه ومنع أن يدخل عليه أحد وجعل يقول أشعاراً[٣]، وكان كلما قال شعراً بلغ النعمان وسمعه وندم

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢، ص ٤٨٤.

(٢) وقعة ذي قار أو يوم ذي قار: هو يوم هزمت به العرب العجم قبل مبعث النبي محمدﷺ، حيث وقع فيه القتال بين العرب من الجزيرة العربية وبين الفرس وانتصر فيه العرب، ويختلف المؤرخون في مكان هذه المعركة فمنهم من قال وقعت في مدينة طريف شمال الحجاز، ويذهب آخرون الى وقوعها في جنوب العراق، ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٤٧؛ اليعقوبي، ج١، ص ٢٢٥؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار النفائس، (بيروت– ٢٠٠٩م)، ص ٤٠٥.

(٣) **ليت شعري من الهمام يأتيك ... يخبر الأنباء عطف السؤال**
أين عنا أخطارنا المال والأنفس ... إذا ناهدوا ليوم المحال
ونضالي في جنبك والناس ... يرمون وكلنا غـــير والِ

على حبسه إياه، فيرسل إليه من يُمنّيه ويعّه إلا أن الغوائل كان يبغونه، حتى سمع كسرى به فأرسل رسولاً الى النعمان يحمل كتاباً بإطلاق سراحه، وكان بمعية الرسول أخاً لعدي وحين وصلا الى قصر النعمان دخلا على عدي قبل الدخول الى النعمان وهما يبشرانه بالخروج[١]،

فطلب منهم إعطائه الكتاب قبل الخروج منه وأخبرهم أنَّهم إذا خرجوا منه دون الكتاب سيقتل فرفضا إعطائه الكتاب إلا بعد اللقاء بالنعمان، وحينما سمع أعداء عدي بالخبر دخلا على النعمان قبل رسول كسرى وأخبره الأمر وخوفوه من إطلاق سراح عدي فأرسلهم إليه فقتلوه، ثم دفنوه فدخل بعد ذلك رسول كسرى على النعمان بالكتاب فقال: سمعاً وطاعة وبعث معهم إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية وقال له: " إذا أصبحت فادخل عليه فخذه، فلما أصبح ذهب الرسول الى سجن عدي فأخبره الحرس بإنه مات منذ أيام فرجع الى النعمان وأخبره بأنه رآه بالأمس فقال له النعمان: يبعثك الملك لي فتدخل عليه قبلي فهدده وزاده مالاً وجائزة وإكراماً حتى لا يفشي بالسر للملك وأخبره أن يقول للملك بإنه مات قبل وصوله الى النعمان ففعل ذلك[٢].

وذات يوم خرج النعمان الى الصيد فالتقى ابناً لعدي بن زيد فأكرمه وقربه واعتذر إليه من أمر أبيه، وجهزه وأرسله الى كسرى للعمل في بلاطه بدلاً من أبيه، فوافق كسرى، لأنَّ أباه كان من نصحاء كسرى ومن المقربين، فكان هو الذي يملي ما كتب به إلى العرب ، فأصبح مكان عمه وسرّح عمه الى عمل آخر، وسأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه[٣]، وكان لملوك فارس صفة للنساء مكتوبة عندهم وكان

ليت أني أخذت بكـــــفي ولم ألقِ ميمتته الأقتالِ

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٩٩.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٢٦.

(٣) النويري، نهاية الإرب، ج١٤، ص ٤٣١.

يبعثون في طلب من تكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب وقال له زيد أنا أعرف أنَّه عند النعمان من بنات وبنات عم ممن يحملْن تلك الصفة، وأخبره أن العرب وكذلك النعمان يتكرمون بأنفسهم من العجم فاكتب الى النعمان بذلك، وأنا أحمل كتابك الى النعمان فابعثني وأبعث معي رجل من حرسك يفقه العربية حتى أبلغ ما تحبه، فبعث معه رجلاً جلداً فخرج مع زيد وكان زيد يكرمه، حتى وصلا الى الحيرة، ودخلا على النعمان وأخبره بخبر الملك في مصاهرته لأهله، وأولاده وأراد إكرامك فبعثني إليك، وجاءوا بصفة النسوة اللائي يطلبهن كسرى، فقرأها فشق عليه ذلك فأجابهم قائلاً: " أما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم، قال الرسول لزيد: ما العين؟ قال: البقر، فأنزلهما يومين ثم كتب لكسرى معهما أن الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده[1].

فلما رجع ومعه الرسول دخلا على كسرى وقال زيد للرسول الذي جاء معه: " صدق الملك الذي سمعت منه فقال: أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا"[2]، فغضب كسرى غضباً شديداً وتركه أشهر، ثم كتب إليه أن اقبل، وبعد ذلك علم النعمان أن أمره قد انتهى فحمل سلاحه باحثاً عن ناصر له من القبائل العربية، فسار الى قبيلة طي ووفد عليهم طالباً منهم الدعم والوقوف معه وأن يمنعوه من كسرى فأبوا ذلك وقالوا: لو لا صهرك لقتلناك، فإنه لا حاجة لنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا على ذلك[3].

---

(١) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت: ٤٥٨هـ)، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (مصر- ١٩٦١م)، ج١، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٧٦.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ج٢، ص ٨٢.

ظل النعمان يجول ولا أحد يقبل مساعدته لمعرفتهم بعدم استطاعتهم مواجهة الفرس، حتى نزل ذي قار في بني شيبان، فلقي هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل الشيباني، وكان سيداً منيعاً، وعلم أنه سيمنعه، فأودعه ماله واهله وفيه أربعمائة درع وقيل ثمانمائة[١]، وتوجه النعمان الى كسرى فلقي زيداً فقال له: " أنج نُعيم ان استطعت النجاء"، فقال: " أنت فعلت هذا؟ فقال له: لئن انفلت لأفعلنّ بك ما فعلت بأبيك فقال له: فقد والله (خيّت لك أخيّة لا يقطعه المهر الأرن"[٢]، فلما بلغ كسرى وصول النعمان وأنه واقف على بابه بعث إليه وقيده فأرسله الى خانقين حتى وقع الطاعون فيها فمات هناك في السجن[٣].

واستعمل كسرى إياس بن قبيصة[٤] على الحيرة ثم أمر كسرى بأن جمع ما خلفه النعمان ويرسل إليه فبعث إياس الى هانيء بن مسعود الشيباني يطلب منه ما استودعه النعمان فأبى هانئ أن يسلم ما عنده ولما سمع كسرى بذلك غضب عليهم وكان عنده النعمان بن زرعة التغلبي فقال لكسرى نكابةً بهم_ أمهلهم حتى يقيظوا بذي قار فتأخذهم كيف شئت فأمرهم حتى يقيظوا بذي قار فتأخذهم فقدمت بكر بن

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٧٨-٧٩.

(٢) ويقصه بها أنه حاك له أمراً عظيماً لا يقدر عليه أحد، ينظر: اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن واضح العباسي، (ت: ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، دار صادر، (بيروت- ٢٠١٠م).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٥٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٧٨.

(٤) إياس بن قبيصة الطائي: من أشراف طيء وفصحائها وشجعانها، في الجاهلية، تولى الحيرة بعد وفاة النعمان، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٣٣؛ البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٨٧م)، ص ٣٣٩.

وائل فنزلت صنو ذي قار وهي من ذي قار على مسيرة ليلة[١]، وحدثت أيضا سفارة بينهما فقد أرسل كسرى النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحمل معه ثلاث خصال، فلما دخل على القوم نزل النعمان بن زرعة على هانئ بن مسعود، فأخبره أنه رسول كسرى يمل معه ثلاث خيارات يختار واحدة منها وهي: أما أن تعطوا ما بأيديكم فيحكم الملك ما يشاء، وأما أن تعروا الديار (تتركوا الديار)، وأما أن تأذنوا بحرب، وكان القوم يتمنون أمرهم برجل منهم يدعى حنظلة بن ثعلبة بن يسار العجلي فاختاروه مندوباً عنهم بالإجابة فقال لهم: لا أرى إلا القتال فتقاتلا في ذي قار فهز الفرس ومن معهم[٢]، وهو اليوم الذي قال عنه رسول الله محمد :ﷺ (هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا)[٣].

(سفارة الحارث بن كلدة الثقفي الى كسرى) (ت ١٣هـ- ٦٣٤م)

هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي[٤]، وفي خضم تلك السفارات والوفادات التي حملت في طياتها عدة مهام وعلى جميع الأصعدة سواء السياسية منها، أو الثقافية أو الاجتماعية، وكذلك الاقتصادية، فسفارة الحارث بن كلدة الثقفي كانت رمزاً للحس القومي العربي الفطري، الذي امتلكه هذا الحكيم.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٧٦-٧٧؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ ، ص ١٧٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٥٥٩.

(٣) البخاري، أبو عبد الله إسماعيل(ت: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، دار المعارف العثمانية (حيدر آباد- د.ت)، ج٢، ص ٢٥٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص ٢٦٧؛ النويري، نهاية الإرب، ج١٥، ص ٤٣١.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٦٨.

فقد ذكر لنا ابن أبي أصيبعة[١]، رواية تحمل حساً قومياً فريداً من نوعه عن طبيب العرب الشهير الحارث بن كلدة الثقفي، في سفارته على الفرس، فلما دخل على كسرى وافده طبيب عربي سأله مستهزئاً: " ما تصنع الرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها؟"، فقال الحارث: " أيها الملك إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الى من يصلح جهلها، ويقيم عوجها، ويسوس ابدانها ويعدل أمشاجها......" ثم حدثه عن أخلاق العرب ومذاهبهم وسجاياهم، فقال: " لها أنفس سخية، وقلوب جرية، وعقول صحية مرضية ، وأحساب نقية، يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم العائر...... فطعموا الطعام في الجدب وضاربوا الهام في الحرب، لا يرام عزهم ولا يضام جارهم ولا يستباح حريمهم، ولا يذل أكرمهم، ولا يقرون بفضل للأنام، إلا للملك الهام، الذي لا يقاس به أحد، ولا يوازيه سوقه ولا ملك".

حتى استوي كسرى وأمر الحارث بالجلوس فقال: " كيف بصرك بالطب؟ قال: ناهيك، قال: فما اصل الطب؟، قال ضبط الشفتين والرفق باليدين، قال: أصبت، فما الداء الدويّ؟، قال الحارث: إدخال الطعام على الطعام، هو الذي أفنى البرية، وقتل السباع في البريّة، قال كسرى: أصبت، فما الجمرة التي تلهب منها الأدواء؟، قال: هي التخمة، أن بقيت في الجوف قتلت، وإن تحللت أسقمت، قال: فما تقول في إخراج الدم؟، قال الحارث: في نقصان الهلال، وفي يوم صحو ولا غيم فيه، والنفس طيبة والسرور حاضر......."[٢]، فعرض الحارث له مسائل في الطب كثيرة، فقال كسرى: " لله درّك من أعرابي، لقد أعطيت علماً وخصصت فطنةً وفهماً"[٣].

(١) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، (ت: ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة،(بيروت- ١٩٦٥م)، ص ١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٨، ص ٨٥.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٣.

وأحسن صلته ثم أمر كسرى وجوه مملكته بتدوين ما نطق به من علم، وهو بمثابة نظاماً صحياً متكاملاً وأحوج ما نحتاجه في يومنا هذا، فهؤلاء العرب بعلمهم وعملهم قادوا العالم في عصور الظلام فكانت شمس العرب تسطع على العجم والغرب.

الفصل الثالث

سفراء ووفود قريش ودورهم في شبة الجزيرة العربية

المبحث الأول : وفود قريش إلى اليمن

المبحث الثاني : دور سفراء ووفود قريش في عقد الأحلاف بين الدول والقبائل

المبحث الثالث : الوفادة إلى الأسواق قبل الإسلام

الفصل الثالث: سفراء ووفود قريش ودورهم في شبة الجزيرة العربية

المبحث الأول: وفود قريش إلى اليمن (٥٠٠-٥٢٤م)

تذكر الروايات التاريخية أن أول اتصال لقريش مع اليمن كان على يد هاشم بن عبد مناف جد رسولنا الكريم محمدﷺ الذي حصل على الإيلاف[١]، من إقبال اليمن، وبذلك قامت قريش بالاتجار إلى اليمن بعد أن كان أهل اليمن ينقلون البضائع التجارية، وقد رافق العلاقات التجارية علاقات سياسية واجتماعية، فقد كان لعبد المطلب علاقات مع ذي نَفَر[٢] حاكم اليمن[٣].

---

(١) سنذكرها مفصلاً في سفارات الإيلاف.

(٢) ذي نفر: هو من أشراف أهل اليمن ويعتبر من الحكام المحليين، دعا قومه من أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه وخرابه فأجابه من أجاب الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه، فأتى به أسيرا فقال لأبرهة، أيها الملك لات قتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراًن فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، ينظر: ابن حبيب، ابي جعفر، محمد بن حبيب (ت: ٢٤٥هـ)، المحبر، تحقيق: إيلزه لنحتن شتيتر، دار الآفاق الجديدة (بيروت- د.ت)، ص ١٦٣.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (القاهرة- ١٩٥٥م)، ج١، ص١٠٥؛ ابن حبيب المحبر، ص ١٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ١٧١-١٧٢.

(وفـــادة قـــريش علـــى ســـيف بـــن ذي يـــزن بعـــد إنتصـــاره علـــى الحبشة)(ت: ٥٧٤م)

لما ظفر سيف بن ذي يزن[١] ،بالحبشة وانتصر عليهم نصراً مؤزراً، وذلك بعد مولد النبي ﷺ، أتت وفود العرب وأشرافها وشعرائها، تهنئه وتمدحاه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، وكان الوفد بزعامة عبد المطلب بن هاشم وأمية ابن عبد شمس، وخويلد بن أسد بن عبد العزى، وأبي رفعة جد أمية ابن صلت، فقام الوفد بتهنئة سيف بن ذي يزن على نر على الأحباش الذين كانوا قد احتلوا اليمن وحاولوا احتلا الجاز وفشلوا[٢].

فدخلوا إليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء، المعروفة بغمدان[٣]، ومضمخ بالعنبر، وسواد المسك على مفرقه، وسيفه بين يديه وعلى يمينه ويساره الملوك، وأبناء الملوك، حيث يقف عبد المطلب بين يدي الملك، ويختار الكلمات المناسبة لمقام الملك، ويعرب عن المناسبة التي قدم بها الوفد، ومقصده من الوفادة بفصاحة قلّ نظيرها فيقول: " إن الله جل جلاله قد أحلّك أيها الملك محلاً رفيعاً،

---

(١) هو سيف بن ذي يزن بن ذي، أصبح بن مالك بن زيد، (٥١٦-٥٧٤م)، وهو أشهر وآخر ملوك مملكة حمير اليمنية وقد اشتهر وذاع صيته بسبب أنه حرر اليمن من يد الأحباش، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ١٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٢-١٣٥.

(٣) غمدان: قصر بين صنعاء وطيوه بناه ليشرح بن يحصب، بني على أربعة أوجه وجه أبيض، ووجه أحمر، ووجه اصفر، ووجه أخضر، وبني في داخله قصراً على سبعة أسقف بين كل سقفين فيها أربعون ذراعاً..... وصير الى كل ركن من أركانه تمثال لأسد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢١٠-٢١١.

صعباً منيعاً باذخاً شامخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته[١]، وعزت جرثومته، ونبل أصله وبسق[٢] فرعه، في أكرم معدن وأطيب موضع وموطن، فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخضب ، وملكها الذي به تنقاد ،وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه تلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفهُ،ولن يخمل من انت سلفه"[٣].

ثم يبدأ عبد المطلب بالكشف عن هوية الوفد، فينتسب الى حرم الله، الذي تعظمه العرب وتقدسه وتحترم أهله وجيرانه، كما يبين الغرض من الوفادة، فيقول: " نحن ايها الملك أهل رم الله وذمته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أنهجك، لكشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة ولا وفد المرزئة"[٤][٥].

ومن الجدير بالاهتمام يتجلى لنا في هذه الكلمة التي استهلّ بها عبد المطلب حديثه مع الملك، سمو العبارة وجزالة الفكرة، والبلاغة والفصاحة في الخطاب، وسن التقسيم، وعزة النفس وتمام المروءة، لقد كان عبد المطلب يتكلم باسم وفد قريش، فأوصل الى الملك رسالة تحمل في طياتها شرف قومه، ورفعة مكانتهم عند العرب، فهم أهل حرم الله، وسدنة بيته كما ضمّن رسالته مقصدهم من الزيارة فهم وفد التهنئة

---

(١) والأرومة: الأصل: أصل الشجرة، واستعملت للحسب يقال هو طيب الأرومة، كريم الأصل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ١٥.

(٢) بسق: بسق الشئ يبسق بُسوقاً: أي تم طوله، كما جاء في محكم التنزيل: ((والنخل باسقات لها طلعٌ نضيد))، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٢٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٩١.

(٤) المرزئة: والرزية، المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا، ويقال رزأته رزية، أي اصابته مصيبة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٨٦.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٩١.

والمباركة بالنصر والظفر، ليس لهم حاجة عند الملك ولا مطمع،معظم شأن الوفد عند الملك وأعجب بالمتكلم، فسأله عن شخصه وعن حسبه، فقال: " من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف"(١).

فقال الملك: ابن أختنا(٢)، فقال عبد المطلب: نعم، فقال: أدنوه مني(٣)، فأدنوه منه حتى قبل عليه ورحل به وبالوفد بحرارة وكرامة(٤)، ثم نهض أبو زمعة جد أمية

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٩١.

(٢) لأن أم عبد المطلب: سلمى بنت عمرو بن زيد بد خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ من حمير، لذلك قال ابن أختنا، ينظر: مؤرج السدوسي، ابو فيد مؤرج بن عمر والشيباني، (ت: ١٩٥هـ)، حذف من نسب قريش، تحقيق: صلاح الدين المنجد،مكتبة دار العروبة، (بيروت– ١٩٧٦م)، ص٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢٦؛ الزبيري، أبو عبد الله المصعب، (ت: ٢٣٦هـ)، نسب قريش، تصحيح: أ.ليفي بروفنسال، ط٢، مصر (القاهرة– ١٩٧٦م)، ص ١٧؛ ابن حزم، جمهرة العرب، ج١، ص ١٤.

(٣) ابن حديدة ، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديد (ت: ٧٨٣ه)، المصباح المضئ في كتاب النبي الأمي ورسله الى ملوك الأرض، من عربي وأعجمي، تحقيق: محمد عظيم الدين، ط٢، (بيروت– د.ت)، ج٢، ص ١٧٥؛ ابن كثير، أبو الفدا، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر، (الرياض– ١٩٩٩م)، ج٧، ص ٢٥٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٨؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي حبيب، (ت: ٤٢٩ه)، أعلام النبوة، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، (بيروت ١٩٨٧م)، ص ٢٣٤– ٢٣٦؛ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الحنفي، الروض الأنف، تحقيق: مجدي الثوري، ط١١، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٤١٨هـ–١٠٨٧م)، ج١، ص ١٨٦؛ الكلاعي، ابن الربيع سليمان بن يوسف الأندلسي، (ت: ٦٣٤هـ)، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، تحقيق: محمد كمال الدين، عز الدين علي، عالم الكتب (بيروت– ١٩٩٧م)، ج١، ص ٨٥؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)،=

ابن الصلت مرتجزاً[١]:

ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزن **في لجةِ البر أحوالاً وأحـــوالاً**

حتى أتي ببني الأحرار يحملهم **تخالطهم في سودا الليلِ أجبالاً**

فأشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً **في رأس غمدان داراً منك محلالاً**

للهِ درّهم من عصبــةٍ خـــرجوا ما إن رأينا لهم في الناس أمثالاً

ثم أطلّ بالمسك إذ سالت نعامتهم **وأسبلَ في بُرديك اليومَ إسبالاً**

تلك المكارمُ لا قعبانَ من لَبنٍ **شـيباً بمـاءٍ فعـادا بعــــدَ أبوالاً**

وهنا يختلف الجو العام للوفد، فقد تبين أن هناك صلة وشيجة بين الملك وبين عبد المطلب وقرابة رحم تجمعهما، فما كان من الملك إلا أن أناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم، وقال متبسطاً منشرحاً: " مرحباً وأهلاً، وناقةً ورحلاً، ومناخاً سهلاً، ومَلِكاً سمحاً[٢]، يعطي عطاءً جزلاً" [٣]فذهب كلام الملك أمثالاً .

=كفاية الطلب اللبيب في خصائص الحبيب، المسمى (الخصائص الكبرى)، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٩٨٥م)، ج١، ص ١٣٩.

(١) ابن عبد ربة ،العقد الفريد ،ج١، ص٢٩٠؛الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٤٨.

(٢) ربحلاً: الربحل التام الليث، هو الطويل، وقيل جارية سبحلة ربحلة أي ضخمة، وقيل الرجل الربحل: أي عظيم الشأن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٩٩.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر، عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت– ١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٧٨.

ثم قال :" قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم، ولكم القربى ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم"[(١)].

وتتجلى البلاغة والفصاحة في إجابات الملك لوفد قريش، وليس ذلك غريباً منه فهو عربي، من أرومة(الاصل) عربية أصيلة، بضاعتهم البلاغة في القول، ورأس مالهم الفصاحة، في الخطاب، فقد اختار الكلمات بعناية فائقة، فاتسمت فكرته بالجزالة، وعباراته بالرصانة، واستعملا صوراً منتزعة من بيئته العربية وطبيعته البدوية، حيث وظف الناقة والرحل والمستناخ السهل، في التعبير عن الترحاب الجم بالوفد الكريم، كما اعتمد في خطابه السجع، وأكثر من مزاوجة العبارات حتى شاعت كلماته في قبائل العرب أمثالاً سائرة وحِكماً خالدة، تتناقلها الألسن جيلاً جيل.

(بشارة عبد المطلب بنبوة الرسول محمد ﷺ)

عندما ذهبت وفود قريش بزعامة عبد المطلب جدّ الرسول الكريم ﷺ الى سيف بن ذي يزن للتهنئة بالانتصار الذي حققه على الأحباش أقاموا شهراً كاملاً في ضيافة الملك سيف بن ذي يزن[(٢)].

وتحدثنا الروايات التاريخية إنه في هذه الوفادة بُشّرَ عبد المطلب بأمر بالغ الأهمية من سيف بن ذي يزن الذي كان عنده شيء من خزائن العلم[(٣)]، فحدثه ببشارة بعث النبوة في بيت عبد المطلب فذكروا أن سيف بن ذي يزن خلا بعبد المطلب وأفضى له سراً فبشره بالنبي محمد ﷺ قائلاً: " إذ ولد بتهامة غلام به علامة

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، (ت٧٧٤هـ)،البداية والنهاية، تحقيق: لجنة بإشراف دار النشر، مكتبة المعارف، ط٢، (بيروت- ١٩٩٠م)، ج٣، ص٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٨٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ٥٨-٦٠.

بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، الى يوم القيامة، هذا حينهُ الذي يولد فيه أوقد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعزّ بهم أولياؤه، ويذل بهم أعدائه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، ويكسر الأوثان ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله...... والبيت ذي الحجب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب....."[١].

وبعد هذا العرض من بشائر النبوة يندهش عبد المطلب بما تحقق في مخيله من دلائل فقال لسيف بن ذي يزن: " ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوجته كريمة من كرائم قومه"[٢]، وهنا يقصد آمنة بنت وهب كريمة الحسب والنسب، فأكمل حديثه قائلاً: " فجاءت بغلام سميته محمداً، فمات أبوه وماتت أمه وكفلته أنا وعمه"[٣]، فنصحه بأن يخاف عليه من غدر اليهود، وحذره بأن لا يفضي سره للوفد ممن معه، حتى يحدث الله أمراً كان مقضياً.

ومع أن هذه الرواية تقدم لنا مادةً تاريخية عن الوفادة لكن يجب علينا كباحثين أن نقف عندها موقف الفاحص المتأمل لنكون حذرين مما علق بهذه الرواية من زيادات، ويكون الباحث حذراً من إعطاء رأي مطلق بما جاء فيها، وذلك لأن المصادر التاريخية لم تعلمنا عن ديانة سيف بن ذي يزن، لنعلم من خلالها من أين

---

(١) الأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ)، دلائل النبوة، مكتبة النهضة، (بغداد- ١٩٧٧م)، ص ٥٩.

(٢) الماوردي، أعلام النبوة، ج١، ص ٣٦-٣٧.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص ١٨٧-١٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ٣٢٨-٣٣٠.

له هذا العلم فهي رواية تبشر بالنبوة مطلقة وهذا أما نسميه رجماً بالغيب، ولا يمكن قبوله، ومن جهة أخرى يمكن أن نقول أن الله سبحانه وتعالى أنطق سيف بن ذي يزن بهذه البشارة لكي يكونوا (بنو هاشم) آخذين الحيطة والحذر من غدر اليهود بالنبي محمد ﷺ ".

(وفادة عبد المطلب على ابرهة الحبشي) (٥٣ق٠هـ/٥٧١م)

بعد أن بنا أبرهة الحبشي كنيسة القُليس[١]في بلاد اليمن، أراد صرف حجاج العرب إليها، إلا إنه فشل في ذلك، فقرر أن يهدم الكعبة المشرفة، فأعد الجيوش والفيلة وتوجه الى مكة، فلما نزل أبرهة الحبشي بالغمس[٢]، بعث أحد قواده ويدعى اسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك من مذحج على خيل حتى دخل مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش و غيرهم ثم أصاب مائتي من الإبل كانت لعبد المطلب بن هاشم[٣]، وهو يومئذ سيد قريش فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم بقتاله، ثم عرفوا أنَّهم لا طاقة لهم به، فتركوا أمر قتاله[٤]، ثم أردف بعد ذلك حناطة الحميري الى مكة مبعوثاً من أبرهة الحبشي للسؤال عن سيد مكة،

---

(١) هي الكنيسة التي بناها ابرهة الاشرم بمدينة صنعاء في اليمن ليحج اليها الناس بدل الكعبة .ينظر:ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١،ص٤٣.

(٢) الغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف، مات فيه أبو رغال وقبره يرجم لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٦٠.

(٣) ابن إسحاق ،محمد بن إسحاق بن يسار،(ت١٥١هـ)،سيرة ابن اسحاق =السير والمغازي، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب،(الرباط ، د.ت)، ج١، ص٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٦٠.

(٤) ابن سعد، محمد بن وضيع البصري، (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت– د.ت)، ج١، ص ٩١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٤

وكبيرها لإخباره برسالة أبرهة الحبشي في سبب مجيئه بحلته وغايته تهديم الكعبة،لا لقتال أهلها، فإن هم رضوا وقبلوا فلا حاجة لقتالهم، فلما دخل مكة سأل عن سيد قريش وشريفها حتى جيء به الى عبد المطلب بن هاشم فأخبره بمقالة أبرهة ثم أخبره برغبة أبرهة بلقاءه فأخبره عبد المطلب بأنهم لا طاقة لهم بالحرب وقال: " والله ما نريد قتاله ومالنا طاقة على قتاله"[١].

على الرغم من أنّ أهل مكة لم يتعرضوا لجيش أبرهة إلا أن هذا لا يعني أنّه لم يجد مقاومة، فقد خرج لقتاله رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من قبائل العرب الى حربه والدفاع عن الكعبة وقاتلوا أبرهة، ثم تعرض له نفيل بن حبيب الخثعمي وبعض قبائل العرب لكن الخثعمي وذو نفر وقعوا أسرى بيد جيش أبرهة[٢].

وهنا انطلقت سفارة عبد المطلب بن هاشم حتى وصل الى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقاً فسأله: " هل لك من غنى فيما نزل فينا فأجابه به قائلاً: وما غناء رجلاً أسيرا بيدي ملك ينظر أن يقتله غدواً أو عشياً"[٣]، وكان في محبسه ثم قال له سأرشدك الى صديق لي يدعى (أنيساً) سائس لفيل أبرهة فسأوصيه بك ليكلم لك الملك ويعظم حقك فبعث ذي نفر أنيس، وأخبره بقصة عبد المطلب حتى فعل ما طلب منه واستأذن الملك قائلاً: " أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة، (ويقصد بئر زمزم)، وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، فأئذن له، عليك فيكلمك في حاجة"[٤] فأذن له أبرهة، وكان عبد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ١٧٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١، ص ١٧٢-١٧٣.

المطلب فيه من الوسامة والجمال ما جعل الملك يكرمه ونزل من سرير ملكه فجلس على بساطه معه الى جانبه(١).

ومن الجدير بالذكر أن عبد المطلب كان رجلاً وسيماً شريفاً في قومه مطاعاً، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته كما كانت له علاقات واسعة مع الأحباش، فهو الذي عقد الحلف لقريش مع النجاشي قبل الإسلام(٢).

فذكر لأبرهة سبب سفارته إليه، فأخبره أن يرد عليه الإبل، وهي مائتي بعير أصابها أبرهة من إبل عبد المطلب فأجاب أبرهة قائلاً:" تعلمني في مائتي بعير وتترك ما هو أهم من ذلك بيتاً هو دينك ودين آباءك وقد جئت لأهدمه"(٣)، فأجاب عبد المطلب إجابة رجل مؤمن: " إني أنا رب الإبل وأنَّ للبيت رباً سيمنعه منك"(٤)، وفي لفظ للبيت رباً سيحميه(٥)، فردّ على عبد المطلب إبله(٦)، وعلى الأغلب أنَّ عبد المطلب طالب أبرهة بالإبل بعد أن عجز عن إقناعه على الرجوع عن هدم البيت، ومن البديهي أن لا يتخلى أهل مكة بسهولة عن أهم مقدساتهم وأهم أسباب ازدهار مكة من الناحية الاقتصادية، وربما كان العامل التجاري هو أحد الأسباب التي دفعت أبرهة لأن يتوجه لمكة للسيطرة على طرق التجارة في الجزيرة العربية.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٦٢.

(٣) ابن حبان، محمد بن ابن حيان التميمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ)، الثقات، دار الفكر، (بيروت- ١٩٧٥م)، ج١، ص ٢٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ١٧٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٠٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٥-١٣٦.

وفي رواية أخرى انَّه سار عبد المطلب في وفد ضمّ وجهاء مكة لمفاوضة أبرهة على الرجوع وعدم هدم الكعبة، وضمّ الوفد عمرو بن نفاثة سيد كنانة، وخويلد بن وائله الهذلي سيد هُذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع ولا يهدم البيت فأبى ولم يرجع عن قراره(١).

وعندما تهيأ أبرهة لدخول مكة أرسل الله عليهم طيراً من البحر تحمل حجارة لا تصيب أحداً منهم إلا هلك وخرجوا هاربين من مكة، وفي تلك الأثناء كان عبد المطلب ومن معه في رؤوس الجبال يتحرزون من غزوة أبرهة بالفيلة(٢)،

وزادت هذه الحادثة من مكانة مكة الدينية والتجارية، وزاد أهلها انصرافاً عن التفكير في شيء غير الاحتفاظ بتلك المكانة ومحاربة من يحاول الاعتداء عليها(٣)، ولعظم هذه الحادثة فقد أرّخ أهل مكة بها وذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٤)﴾،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ١٢٥.

(٢) محمد بن إسحاق، السيرة النبوية، ج١، ص ٣٨-٣٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٣٤-١٣٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٦١.

(٣) الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت: ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهش، (مكة المكرمة- ٢٠٠٣م)، ج١، ص ٢٢٦؛ هيكل، محمد حسنين، حياة محمد، ط٤، دار المعارف، (القاهرة- د.ت)، ص ١٢٠.

(٤) سورة الفيل، الآية (١-٥).

المبحث الثاني: دور سفراء ووفود قريش في عقد الاحلاف بين الدول والقبائل

(سفارات ووفود الأحلاف)

أولاً: الحلف في اللغة والاصطلاح:

الحلف لغةً:

مأخوذ من الحلف الواحدة حلفةً، ويقال محلوفة بالله، وحالف فلان فلاناً فهو حليفة وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالإيمان، أن يفي كل لكل[1]، وقيل: الحِلف بالكسر العهد، يكون بين القوم وقد حالفه، أي: عاهده، وتحالفوا أي: تعاهدوا[2]، والحلف جوار والجوار والإجارة[3]، وعن الحلف نقل ابن حبيب قول رسول الله ﷺ:" لا حلف في الإسلام وما كان في الجاهلية فلا يزده الإسلام إلا شدة "[4]، هذا لا يعني أن الإسلام قد نهى عن التحالفات، بل نهى عنها لغرض القتال بين القبائل والغارات، وإما ما كان منه في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت: ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، دار ومكتبة الهلال، (بيروت- د.ت)، ج٣، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص ٧٥.

(٣) ابن سيدة، علي بن إسماعيل، (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- ١٩٩٦م)، ج٤، ص٧٠.

(٤) مسلم ،صحيح مسلم ،ج٧،ص١٨٣؛ ابن حبيب، محمد بن حبيب، بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، (ت: ٢٤٥هـ)، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،(الهند- ١٩٩٤م)، ص ٢٦١.

وما جرى مجراه، وفيه قال رسول الله ﷺ : (وأيما حلف كان في الجاهلية فذلك الذي بوركت القبائل بعقده)[1].

ثانياً: الحلف في الإصطلاح:

أما الحلف في الإصلاح فهو يعني المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق[2]، والحلف العهد، وقد وردت عند العرب قبل الإسلام وبعده، عدة ألفاظ ومرادفات تعني المعاهدة منها، الإيلاف، الأمان، الذمة، الحبل، الجوار، الوصل، الميثاق[3]، ونجد في تاريخ العرب قبل الإسلام لفظة (الحليفان) على تحالف قبيلتان أو (الأحلاف) تعبيراً عن حلف عقد بين قبيلتين أو أكثر، وقد قصد بها أحلاف عديد ولا تقتصر التحالفات على القبائل بل تعقد بين الحكومات[4]، ويعقد الحلف باتفاق الطرفين شفاهاً ويعلن للناس فيكون ساري المفعول وينطبق الحال في حالة إلغائه[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب،ج٩، ص ٥٣.

(٢) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت–١٩٩٧م)، ج١، ص ٤٠٧.

(٣) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص ٧١.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص ٣٧٢–٣٧٥.

(٥) البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (مصر– ١٩٥٩م)، ج١، ص ٧١–٧٢.

(سفراء ووفود الإيلاف)

ثالثاً: الأحلاف بين الدول:

الإيلاف: يعني العهد والذمام[١]، وإنه الإجارة[٢]، وقد ذكرت المصادر التاريخية الإيلاف بأشكال ومعاني عدة منها ما جاء عند ابن هشام على أنَّها مشتقة من الألف، وقال: إنَّ العرب تقول الفت الشيء ألفا، والفته إيلافاً، في معنى واحد والإيلاف أيضا: أن تؤلف الشيء الى الشيء فيألفه ويلزمه[٣]، ويرى ابن حبيب بأنّ الإيلاف يعني أمان الناس عند ورودهم بأرض غيرهم بغير حلف، وكذلك جاء عنده بمعنى الدأب[٤]، غير أنَّ البلاذري ذكر بأنَّ الإيلاف يعني العصم[٥]، أما السهيلي فقال: إنَّه الحبال والعهود[٦].

ورد ذكر الإيلاف في القرآن الكريم في قوله عزّ وجل: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٧].

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحدث والأثر، ج١، ص ٦٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٦.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٣.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٦٦.

(٦) السهيلي، الروض الآنف، ج١، ص ١٦٢.

(٧) سورة قريش، الآية (١-٤).

وقد اختلف أصحاب التفسير في قراءة هذه الكلمة فمنهم من قراها (لالاف) ومنهم من قراها بهمزتين متخففتين بكسر الأولى وتسكين الثانية على وزن (العيلاف)[1].

ويرى الطبري[2]، إنَّ الصواب في القراءة: لأيلاف قريش إيلافهم بثبات الياء فيهما بعد الهمزة من الفت الشيء أولفه إيلافاً لإجماع الحجة من القراءة عليه، وللعرب في ذلك لغتان: آلفت، وألفت: وتعني: آلفت المؤالفة[3]، وقيل في معاني الإيلاف: الإجارة فيؤلف يجير ،وذلك سمي أبناء عبد مناف (بالمجبرين)[4]، وذكر ابن حبي أن سبب نزول هذه الآية أنَّ قريشاً كانت قد تعودت رحلتين أحداهما في الشتاء تذهب الى اليمن والأخرى في الصيف، تذهب الى الشام، فمكثوا بذلك حتى اشتد عليهم الجهد وأخصب تباله[5]، وجرش[6]، وأهل ساحل البحر من اليمن، فحمل

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن، (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، (المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، (دمشق – ١٩٦٩م)، تفسير سورة قريش، ص ٢٤١ وما بعدها.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت– ٢٠٠٠م)، ج٣٠، ١٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٣٠، ص ٣٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٥٢؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله بن عمر، (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار المعرفة والنشر، (بيروت– د.ت)، ج٣، ص ٢٣٥.

(٥) بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، ينظر: الحموي، معجم البلدان،ج٢، ص٩.

(٦) مدينة عظيمة وولاية واسعة في اليمن من جهة مكة، ينظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، ج٢، ص ٣٧٦.

أهل الساحل في البحر وحمل أهل البر على الإبل، فأرفأ[١]، أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب[٢]، وأمتاز أهل مكة ما شاءوا وكفاهم الله الرحلتين التي كانوا يرحلون الى اليمن والشام[٣].

يعد هاشم بن عبد مناف[٤]، أول من خرج من قريش خارج مكة، وإليه يرجع عقد الإيلاف، وذلك لأنَّ قريشاً كانوا تجاراً، وكانت تجارتهم لا تعدوا مكة، وكانت الأعاجم تقدم عليهم بالسلع فيشترون منهم، ثم يتبايعونه من حولهم من العرب، فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام[٥]، وروى الثعالبي قائلاً[٦]: " أول من خرج الى الشام، ووفد الى الملوك وأبعدَ السفر، ومرّ بالأعداء، وأخذ منهم الإيلاف، الذي ذكره الله تعالى هاشم بن عبد مناف"، وروى الزمخشري عن ابن عباس قائلاً[٧]: " والله لقد علمت قريش أنَّ أول من أخذ الإيلاف وأجاز لهم

---

(١) بمعنى اقترب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٨٧.

(٢) موضع رمي الجمار في منى، وأيضاً موضع فيما مكة ومنى، وهو أقرب الى منى وهو بطحاء مكة، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٦٢.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٢١٩.

(٤) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، اسمه عمرو ويقال له عمرو العلى، سمي هاشماً لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٢؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٩٨.

(٥) ابن حبيب، المنمق ، ص ٤٢.

(٦) أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت: ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: خالد عبد الني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت– ٢٠٠٥م)، ج١، ص ١١٥.

(٧) الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٩٩٦م)، ج١، ص ٤٩.

العيرات لهاشم، والله ما شدّت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر، ولا أناخت بعيراً لحضر إلا بهاشم، وكانت قريش تجاراً لا تعدوا تجارتهم مكة".

وكان السبب في ذلك أن قريشاً إشتدّ عليهم الجهد فأصابت قريشاً سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم الى الشام فنزل بقيصر فأمر بخبز كثير فحمله في الغرائر (أوعية من الصوف والشعر) على الإبل، حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز وتلك الإبل، ثم طبخها والقي تلك القدور على ذلك الخبز فأطعم أهل مكة وأشبعهم فقال في ذلك الشعراء[1]:

يا ايها الرجل المحول رحله هلا حللت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو حللت لديهمم نجوك من جوعٍ ومن أقرافِ

عمرو العلا هشَم الثريد لقومه ورجال مكةً مسنتون عجافِ

نسبوا إليه الرحلتين كلاهما سِفر الشتاء ورحلة الأصيافِ

الآخذون العهد في آفاقها والراحلون لرحلة الإيلافِ

وقد بلغ ذلك قيصراً فدعا به، فلما رآه كلّمه وأعجب به، وكان يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانة منه قال له هاشم: " أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجارتهم، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز، وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم فكتب له

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٥٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٥١-٢٥٢؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٤٢.

كتاباً بأمان من أتى منهم، فاقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرّ بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً"[١].

فهذا العهد هو أول عهد تحريري استطاع بموجبه هاشم من الخروج بالتجارة وفق معاهدات موثقة لم تقتصر المعاهدات التجارية على هاشم وحده، بل شملت أخوته الثلاثة وهم (المطلب، وعبد شمس، ونوفل)، فقد كان لهؤلاء الأخوة دور هام في عقد الأحلاف[٢] من خلال سفاراتهم ووفاداتهم على الملوك وهي كما يلي:

١-خرج المطلب بن عبد مناف بسفارة الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تَجر إليهم من قريشُ، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مرّ به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم، وكان المطلب أكبر ولَد عبد مناف، وكان يسمى الفيض وهلك بردمان[٣] في طريق عودته من اليمن[٤].

٢-خرج عبد شمس بن عبد مناف بسفارة الى ملك الحبشة وكان أكبر من أخيه هاشم، فأخذَ من ملك الحبشة كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش، ثم أخذ

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ٢١٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٢٦٤؛ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب، محمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر، (الرياض- ١٩٧٥م)، ج٢، ص ٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) موضع باليمن، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٩.

(٤) ابن حبيب ، المنمق، ص٤٤.

الإيلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة، وفيها هلك وقبره في الحجون[1].

٣-خرج أصغر الأخوة نوفل بن عبد مناف الى العراق فأخذ عهد من كسرى لتجار قريش ثم أقبل يأخذ الإيلاف، ممن مر به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع الى العراق فمات بسُرّ من رأى بأرض العراق[2].

وتذكر المصادر التاريخية الأخوة الأربعة (هاشم- والمطلب- وعبد شمس- ونوفل) وتقول: (هؤلاء أول من رفع الله بهم قريشاً، فلم ترَ العرب مثلهم قط، ولا اسمح ولا أحلم،...... كانوا نجوماً من النجوم)[3].

لم يقتصر الإيلاف على حكومات الشام واليمن والعراق بل شمل أيضا عقد المحالفات على رؤساء القبائل القاطنة على الطرق التجارية، فما كان في استطاعة قريش إرسال عيرها الى بلاد الشام أو العراق أو اليمن، بغير رضاء وموافقة سادات القبائل التي تمر قوافل قريش بأرضها، ورضاء هؤلاء السادات بالنسبة لقريش هو أهم من رضاء حكومات بلاد الشام والعراق وغيرها وعن هذه التحالفات قال الجاحظ[4]: "وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن نحو العبادلة باليمن

---

(١) الحجون، موضع بأعلى مكة، وقيل هو الجبل المشرف على مكة، ينظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، (ت: ٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجبل، (بيروت- ١٩٩٢م)، ج١، ص ٣٨٣.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٤-٤٥.

(٣) السهيلي، الروض الآنف، ج١، ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٥٧٣ ابن حبيب، المصدر السابق، ص٤٥.

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عثمان (ت: ٢٣٠هـ)، الرسائل، تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، (بيروت- ٢٠١٠م)، ص ٤١٣.

واليكسوم من بلاد الحبشة، ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم ربحاً فيما يربح وساق لهم إبلاً مع إبله، فكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك...... وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت أحوالهم وطاب عيشهم".

وروى الثعالبي بأنَّ أخذ الإيلاف من رؤساء القبائل يرجع لخصلتين أولهما: أنّ ذؤبان(لصوصهم) العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم، والخصلة الثانية: أنَّ أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا الشهر الحرام قدراً وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له"[1].

ويقول الشوكاني[2] في الإيلاف: " أصبحت قريش بعد عقد الإيلاف تخرج تجارتها فلا تتعرض قوافلهم للإغارة من أحد، وكان لوجود الكعبة المشرفة في مكة دور في حصانة القوافل القريشية وعدم التعرض لها اعتقاداً منهم، أي :أهل الجزيرة أنَّ أهل مكة أهل بيت الله عزّ وجل".

ومن الجدير بالذكر هو اهتمام قريش بعلاقاتها الخارجية حتى جعلت إحدى وظائف مكة هي السفارة، ووظيفتها الاتصال بالقبائل والدول المجاورة والتفاوض في المنافرات بين القبائل وكانت السفارة لبني عدي وكان عمر بن الخطاب ﷺ عنه سفيراً لقريش قبل الإسلام[3].

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص ١١٥.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من عالم التفسير، تحقيق: يوسف الفوش، دار المعرفة، (بيروت- ٢٠٠٤م)، ص ٢٠١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص ٣١٤.

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺأنه خرج في وفد تجاري قبل البعثة النبوية الى العراق فلما دنا في أرياف خرج عليهم قوم فقطعوا عليهم الطريق وسرقوا قافلتهم، فذهب الى المدائن ودخل على ملكها وشكى إليه ما حدث فقال له: لا تبرح البلد، فقال عمر: فلم نلبث إلا قليلاً حتى دخلنا عليه فإذا باللصوص مكتوفي الأيدي وأمتعتنا موضوعة، ثم اشترى تجارتنا بربح وافر، وأقمنا حتى أصلحنا أمورنا وخرجنا فإذا باللصوص في المكان الذي قطعوا فيه عليه مكبلين(١).

ومن الجدير بالاهتمام، ومن خلال هذه الانجازات يمكن القول بأن الإيلاف أعظم إنجاز تجاري أوجدته قريش، إذ جعل للقريشيين مكانتهم المرموقة بين تلك القبائل المحيطة بهم والساكنة على طريقتهم، وبهذا انتشرت تجارتهم في كل الاتجاهات فإلى العراق والشام واليمن والحبشة، وجعلوا العرب تجار عالميين يشاركون في المواسم التجارية التي تقام خارج مكة، وأعطى لقريش مكانة متميزة لدى الحكام الذي تعاقدوا معهم فمنحوهم معاملة خاصة وحماية في أراضيهم، وتكامل هذا العامل مع العامل الثاني وهو ما عقد مع سادات ورؤساء القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم، إذ لولا هذه السفارات والوفود، والعقود والعهود التي تمت معهم لبقية التجارة في قريش محصورة في إطارها الداخلي.

رابعاً: الأحلاف مع القبائل

نجحت قريش في عقد الأحلاف الاقتصادية مع مجموعة من القبائل العربية، من أجل إنجاح نشاطها الاقتصادي، وقد اتخذت الأحلاف مسميات متعددة، ومن أهم تلك الأحلاف القبلية ما يلي:

---

(١) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص٥٢.

١-الأحابيش :

الأحـابيش لفظـةٌ مشـتقة مـن حـبش وتعنـي جـنس مـن السـودان وهـم الأحـبش والحبشـات[١]، وهم ليسوا من قبيلـة واحدة بل هم مجموعـة بطـون اجتمعوا وكوّنـوا تكتل قبلي أطلق عليه اسم الأحـابيش، تكون هذا التكتل عند ابن هشام من قبيلـة بنــي الحــارث بــن عبــد منــاة بــن كنانــة، والهــون بــن خزيمــة بــن مدركــة، وبنــو المصـطلق مـن خزاعـة[٢]، وهـم عنـد اليعقـوبي خزاعـة وعضـل وديـش والقـارة وهـم بطـون من الهـون بن خزيمـة بن مدركـة بن اليـاس وبنو الحـارث بن عبد مناة بن كنانـة[٣].

اكتسب الأحـابيش اسمهم هذا بعد أن اجتمعوا وتحـالفوا عنـد جبـل أسـفل مكـة يقال لـه حبشـي فسموا بذلك ونزلوا فـي أطراف مكـة مـع قريش الظـواهر[٤]، وروى ابن حبيب في موضـع آخر بأنهم سموا بالأحباش لتحالفهم بحبشي وهو من مكة على عشرة أميال من ناحية الرمضـة[٥].

وقـد روى ابـن حبيـب عـن سـبب الحلـف قـائلاً: "لمـا غلـب قصــي علـى مكـة وغلبت قريش وكثرت وتفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد، قلت قريش وخافت بكر... فبعث بنو الحـارث الـى المصـطلق والحيا فأجابوهم فأقبلت الهون

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٥٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٢.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ١٩٩.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٢٩.

(٥) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٣١.

يقودها شيظن بن عمرو وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم..... فتحالفوا بالله القائلين إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسي حبشي"(١).

وأضاف اليعقوبي قائلاً(٢): " وكان تحالف الأحابيش على الركن: يقوم رجل من قريش وآخر من الأحابيش فيضعان ايديهما على الركن فيحلفان بالله وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقد وعلى التعاون وعلى من كادوهم من الناس جميعاً، ما بلّ بحر صوفه وما قام حرى وثبير، وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة، فسمي حلف الأحابيش".

وفي رواية أخرى لابن حبيب عن سبب الحلف مفادها(٣): " إنّ رجلاً من بني الحارث عبد مناة بن كنانة هبط مكة فباع سلعة له ثم أوى الى دار من دور بني مخزوم فاستسقى فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال: هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ فقالت: تركتنا بنو بكر نعاماً..... فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يا بني الحارث ذلت قريش لبني بكر، فإن عندكم نصر فنصر، فقالوا: ادعوا إخوانكم بني المصطلق، والحيا بن سعد بن عمرو، فركبوا إليهم فجاؤا بهم وسمعت بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم ذلك بعد خروج بني أسد من تهامة".

من خلال ما تقدم يبدو أن الأحابيش قد ارتبطوا مع قريش بهذا الحلف لمصالح مشتركة متعددة، كان كلاً من الطرفان بحاجة إليها، فالمكيون يحتاجون

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٣٠.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٦.
(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٥٤.

الى من يكون معهم للحفاظ على تجارتهم وطرق مواصلاتهم ومنع اللصوص وقطاع الطرق من النيل منها وكذلك تقوية وجودهم وكيانهم السياسي بين القبائل الطامعة في المركز الديني والاقتصادي لمكة، من ناحية ثانية أن الأحابيش تسكن مكة وما حولها، فهي أقرب الى الموقع الدفاعي عن مركز التجارة لمكة[١]، وعن مصالحهم التجارية لذلك عندما قتلت بنو بكر رجلاً من أحياء مكة وهمّت بإخراجهم من الحرم تدخلت الأحابيش الى جانب قريش التي طالبت بني بكر بأن يدفع إليهم القاتل، وأبت بكر فكان القتال بين بكر من جهة والأحابيش وقريش من جهة أخرى حتى هزمت بني بكر[٢].

واستمرت المعارك بين الطرفين حتى توصلوا الى صلح[٣]، أما الأحابيش فهم من بطون عربية مختلفة اضطرتهم الظروف الاقتصادية بشكل خاص الى الالتقاء وتكوين تشكيل قبلي جديد بحاجة الى دعم اقتصادي يعزز قوتهم العسكرية القتالية توحدهم على تحقيق ما يصبون إليه، وقد عزز ما ورد أعلاه الجانب الديني، فالأحابيش من قبائل كنانة وخزاعة وخزيمة[٤]، وكانت خزاعة مع قريش حمساً لنزولها في مكة ومجاورتها قريش[٥]، تلك الرابطة التي وان كانت تبدو مظهراً دينياً إلا أن مضمونها اقتصادي يتعلق بالملبس والمأكل اي ما يأكله وما يلبسه الحجاج في الموسم، باعتبار إن موسم الحج أهم موسم تجاري عند

---

(١) كرون باتريشا، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة: آمال محمد الروبي، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة– ٢٠٠٥م)، ص ٢٩٠.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٤.

(٣) ابن حبيب، المنمق، الصفحات، ١٣٢، ١٣٧، ٢٠٠، ٢٠١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٥٩.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٩.

العرب وبما أن المأكل والملبس يحتاج الى تجارة، وعليه فلا بد من حماية القوافل التجارية، لذلك استعانت بالأحابيش الذي ضمّ تكتلهم عدد كبير من القبائل الساكنة على طول الطرق التجارية.

٢-بنو سليم:

تعد هذه القبيلة من قبائل قيس عيلان يُنسبون الى سليم بن منصور بن عكرمة[١]، استوطنت هذه القبيلة الحجاز قبيل الإسلام، وتمتد منازلهم من وادي القرى الى خيبر الى شرقي يثرب الى الجبلين[٢]، الى الحرة[٣]، ومن قراهم ما وقع بين مكة ويثرب[٤]، وقد حددها الحربي بالمنطقة الممتدة ما بين نجد والحجاز مما منحها مجاورة الطريق الموصل الى المدينة من الخليج، فضلاً عن موقعها عن طريق التجارة الغربي الممتد بين اليمن والشام، كذلك وقوعها على الطريق الذي كان يربط الحجاز بالعراق والذي عُرف فيما بعد بطريق الحج[٥].

لقد كان لموقع قبيلة بني سليم على جنبات الطرق التجارية نحو الشمال من الأسباب المهمة التي دفعت قريش الى إقامة تحالف معهم أشراف مكة، وكبارها ممن لهم علاقات اقتصادية بهذه القبيلة، ونحن في هذا الصدد روى ابن حبيب أن

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٣.

(٢) يراد به جبلا آجا وسلمى، ينظر: ابن عبد الحق، مراصد اطلاع، ج١، ص ٣١١.

(٣) الحرة، وهي كثيرة في بلاد العرب، وهي كل أرض فيها حجارة سوداء ورمل، ينظر: ابن عبد الحق، مراصد اطلاع، ج١، ص ٣٨٨.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٥.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير، (ت: ٢٨٥هـ)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض- ١٩٦٩م)، ص ٣٢٢-٣٥١.

أول حلف دخل مكة ما تحالف به حارثة بن الأوقص السلمي[1]، وكان من أمره أنَّ حارثة كان رجلاً متعبداً وكان له بيتاً فيه صنم لهم (بني سليم)، فقيل له: أنَّ بيتاً بمكة يتعبد له وأهله وكل من جاء من العرب قال: فهو أولى من البيت: لأخرجنّ إليه، قالوا: إنَّك لا تستطيع أن تقيم به إلا أن تحالف أهلها فخرج حتى قدم مكة مع أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبناءً على هذا الحلف استعملت قريش ابنه حكيم محتسباً على سفهائها[2]، كما تحالفت هذه القبيلة مع بني هاشم واستخدمت قريش عدداً من رجالها كأدلاء للقوافل التجارية وكان عتبة بن غزوان[3] ،أحد العاملين كدليل لتلك القوافل[4]، وانتظمت العلاقات التجارية بين الجانبين عن طريق اتفاقات اقتصادية للعمل سويةً بين أغنياء قريش ورجال بني سليم، لاستغلال مناجم المعادن الواقعة في ديار بني سليم، يتضح ذلك من خلال عقد المبايعة على القرية في حرة بني سليم التي تمت بين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وبين مرداس وكليب من

---

(١) ينسب الى بني سليم، حفيدته صفية والدة هند بنت عتبة بن ربيعة بن شمس والدة معاوية بن أبي سفيان، ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت– ١٤١٥هـ)، ج٥٩، ص ٦٠.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٣٦–٢٣٧.

(٣) هو عتبة بن غزوان بن منصور، ويقال: أهيب بن نسيب بن مالك المازني، يرجع نسبه الى معد بن عدنان، يكنى ابا عبد الله حليف بني نوفل بن عبد مناف، وهو أول من اختطّ البصرة، ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٩٩٧م)، ج١، ص ١٦٦– ١٦٧.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٨٦.

بني سليم، إذ لم يكن عندهما ما ينفقانه عليها فجعلا لحرب ثلثها على أن ينفق أمية عليها[١].

٣-حلف بني ثقيف:

اختلف النسابون العرب في أصل ثقيف فقيل ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، واسم ثقيف قيس، يقال أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وقيل هم من أياد بن نِزار بن مضر[٢]، استوطنت هذه القبيلة الطائف[٣].

والطائف هو وادي وج وهو بلاد ثقيف، وسميت طائفا بحائطها المبني حولها المحدق بها[٤] ،وتحف بالطائف وديان كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار، وحولها عيون وآبار كثيرة كانت ذات مزارع ونخيل وأعناب وسائر الفواكه، لذلك رغبت قريش في محالفتها، لأنَّ مكة في وادِ غير ذي زرع والطائف منطقة زراعية، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها[٥].

وكان سبب حلف ثقيف في قريش أنَّ قريشاً حين كثرت رغبت في (وادي وج) الطائف فقالت لثقيف : نشرككم في الحرم وأشركونا في وج فقالت :ثقيف كيف

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ٣٢١.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (ت: ٨٢١هـ)، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة- ١٩٥٩م)، ص ١٨٦.

(٣) مدينة تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة، على ربوة عالية يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر خمسة آلاف قدم، على ظهر جبل غزوان، ينظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٤.

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٤،ص٩.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٧-٧٨؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد، (ت: ٣٥٠هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت- ١٩٩٢م)، ص ٣٩.

نشرككم في وادي نزله أبونا وحفره بيده في الصخر، فردت عليهم ثقيف وأنتم لم تجعلوا الحرم وإنما جعله إبراهيم ﷺ، فقالت قريش: لا تدخلوا حرمنا علينا ولا ندخل عليكم وجكم، فلما خشوا الحرب وخشيت ثقيف من خزاعة وبني بكر بن عبد مناة حالفت قريشاً ودعت أخوتها من دوس[1].

فلما حالفت قريش ثقيفاً قالت قريش لثقيف نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشراكة في الدار فقالت ثقيف: بل دوس تحالفكم، فركب عبد ياليل بن متعب ومسعود بن عمرو وهما من ثقيف، ثم من الأحلاف في نفر حتى أتوا دوساً فقالوا لهم: أن قريشاً طلبت منا أن ندخلهم في وج وإن يدخلونا في الحرم فأبينا ذلك عليهم ثم حالفناهم فرغبوا الى مما عندكم فأدخلوهم وليدخلوكم فحالفت دوس قريشاً[2]،

والذين حالفوا في قريش من دوس هم بنو سلامان بن مفرج وبنو منهب وبنو مالك وعامة نبيش[3].

يتضح من هذا العقد أن الإتفاق بين قريش وثقيف كان على دفع نصيب معين من الغلّة أو من ثمرة العمل وهو ما يعرف بالمزارعة[4]، وكان أهل الحجاز يكرون أرضهم، يكرونها بالثلث والربع والخمس واقل وأكثر مما تخرج الأرض[5].

---

(١) قبيلة من الأزد اليمنية، ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٤، ص ١١٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) ابن حبيب ، المنمق، ص ٢٣٥.

(٤) هي المعاملة على الأرض ببعض مما يخرج منها، ينظر: النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون (ت: ٣٦٣هـ) دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت رسول الله، تحقيق: آصف بن علي فيضي، دار المعارف، (بيروت- ١٩٦٣م)، ج٢، ص٧٢.

(٥) أبو حنيفة النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص ٧٢-٧٣.

٤ -الحمس:

لقد وردت عدة آراء في معنى كلمة الحمس، فقيل أنهم سموا بالحمس لتشددهم في دينهم، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون[١]، وقيل سموا بذلك لإلجائهم بالحمساء وهي الكعبة[٢]، أما عن بداية نشوء فكرة الحمس قال ابن حبيب[٣]: " كانت قريش ابتدعت أمر الحمس رأياً رأوه وأرادوه بينهم فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة، وولاة البيت وقطان[٤] مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا منزلتنا، ولا تعرف له العرب ما تعرف لنا"، ويرى الأزرقي أن الحمس كان[٥]" معروفاً عند قريش قبل الإسلام وقبل عهد قصي، إلا أنه منحصر في قريش"، ولكن لا يعرف تاريخها هل كانت قبل عام الفيل أم بعده[٦].

وقد اختلفت الروايات عند أهل السير والمغازي فيمن دخل الحمس مع قريش، فابن سعد قال الحمس هم[٧]: " قريش وخزاعة وكنانة، ومن ولدته قريش من سائر العرب"، وقبائل الحمس عند ابن حبيب[٨]، " قريش وكنانة وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة كلهم الأبكر بن عبد مناف، ومن ولدت قريش من أفناء العرب".

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٣، ص ١٥٤.

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يوسف (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار العلم، (بيروت– د.ت)، ج٢، ص ٢٠٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٧.

(٤) قطن، المكان أقام به توطنه، ينظر: الجوهري، مختار الصحاح، ج٦، ص ٢١٨٢.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٧٧.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٥٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٢.

(٨) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٨– ٢٢٦.

قال الأزرقي[١]: " فالحمس قريش، وكل من ولدته من العرب، وكنانة وخزاعة والأوس والخزرج وجشم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأزد شنوئة وجزم وبنو ذكوان من بني سليم، وعمرو الألات، وثقيف وغطفان والغوث وعدوان وقضاعة".

وكان من مبادئ الحمس أنهم تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وهم يعلمون ويقرون أنها من المشاعر ودين إبراهيم عليه السلام ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا أن نعظم غيرها كما نعظمها، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عنهم ما يحرم عليهم[٢]، ولكن قريشاً بعد إن انتزعت سادة مكة وولاية البيت من خزاعة، زادت في الحمس وأدخلت فيه أموراً لم تكن قبل ذلك، فحددوا ما مسموح من المأكل والملبس فقالوا: " ما ينبغي للحمس أن يأقطوا ولا يسلأوا السمن[٣]،

وهم حرم ولا يدخلوا بيوتاً من شعر ولا يستظلوا أن استظلوا إلا في بيوت الأدم[٤]، ما كانوا رماً ثم رفعوا في ذلك فقالوا: ما ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل في الحرم، إذا جاءوا حجاجاً أو عمّاراً، ولا أن يطوفوا بالبيت إذا جاءوا أو طوافهم إلا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة،

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٨٠

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٧.

(٣) الأقط: شئ يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يترك حتى يمصل، وسلأت السمن واستلأته، إذا أطبخ وعولج، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٥٤.

(٤) الأخبية: التي تصنع من الجلد، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٥٤.

فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه(١).

ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا، فكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقي، فحملوا على ذلك العرب"(٢)، فدانت به فوقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك فكان أهل الحل يأتون حجاجاً أو عماراً فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التي جاءوا بها وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثياباً من ثياب الحمس أما عارية وأما بإجازة فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة(٣).

وبناءاً على ما تقدم نجد إن تشريع قريش لمبدأ الحمس جاء من إدراكهم لصعوبة عيشهم في واد غير ذي زرع ولا شئ عندهم سوى البيت وتجارتهم التي تقتاتون منها، ودليلنا على ذلك ما رواه الجاحظ بقوله(٤): " وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحميس وتشددوا في الدين فتركوا الغزو ولم تبق لهم مكسبة سوى التجارة"، وذكر الثعالبي إن قريشاً(٥): " كانت لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم بسوق عكاظ وذي المجاز(٦)، في الأشهر الحرم، ولا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها،

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٨.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) ابن حبيب ، المنمق ، ص ١٢٩.

(٤) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ص ١١٠-١١١.

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ١١٥.

(٦) فأما عكاظ فهو أكبر أسواق العرب في الجاهلية، وكانوا يقيمونها باعلى نجد في ذي القعدة وينزلها قريش، وسائر العرب وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم، ومهاد، وأما ذي المجاز فتقع بالقرب من عكاظ، وكانت تعقد منذ بداية الحج الى النهاية، و(سوف استوفي تلك الأسواق في الوفادة الى الأسواق فيما بعد)، ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٣١.

للتحمس في دينهم والحب لرمهم والألف لبيتهم، ولقيامهم جميع من دخل مكة بما يصلحهم".

نستنتج من هذا الحلف القبلي أنَّ قريشاً خطت تلك الخطوة لتصريف بضائعها وتنشيط سوق مكة أيام الحج، ففرضت على العرب قاطبةً أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم وان يخلعوا ثياب الحل ويستبدلونها بثياب الحرم أما شراءاً إما إجازة وأما هبة، فهذه الشروط حققت لقريش منافع اقتصادية، فعلى الحجاج من غير الحمس أن يبتاعوا ثياباً من تجار قريش والذي يؤدي بدوره الى زيادة التوجه للحج، إلا أنه قد لا تسد حاجة الأعداد الكبيرة من الحجاج، فضلاً عن أنَّ هناك ممن يظن أنَّ طعام الرفادة يضع لمن لا يستطيع الإنفاق، لذل فإنهم يضطرون الى شراء الطعام من تجار قريش.

٥-خزاعة:

قبيلة خزاعة من القبائل المختلف في أصلها فعند ابن حزم هي من العدنانيين وعن نسبها قال(١): " هو بنو خزاعة بن لحي بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن عدنان"، بينما جعلهم القلقشندي من القحطانيين بقوله(٢): " هم أبناء عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء هذا أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها"، جاءت هذه القبيلة من اليمن الى مكة بعد تهدم وانهيار سد مأرب، ونزلوا حول مكة وعرفوا فيما بعد باسم خزاعة لأنهم تخلفوا وانقطعوا عن قومهم، وقيل إن هذه القبيلة

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٠.

(٢) القلقشندي، نهاية الإرب، ص ٢٢٨.

نزلت بتهامة وقيل نزلت بمر الظهران[١]، تولت هذه القبيلة ولاية البيت بعد أن خرجت قبيلة جرهم من الحرم الذي طغوا وفسقوا بالحرم[٢].

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الحرام ومكة لمدة طويلة وكان آخرهم حُليل بن حُبشية بن سلول الخزاعي[٣]، عمد قصي بن كلاب على استنقاذ مكة وولاية البيت من خزاعة بعد حرب شديدة[٤]، إلاّ أن العلاقات بين قريش وخزاعة قد استمرت لأن خزاعة عندما خرجت من الحرم وحلّت قريش مكانها فإنها لم تبعد كثيراً وبقيت بالقرب من مكة وحولها[٥].

يضاف الى ذلك فإن قصي بن كلاب لم يرغب بأن تستمر الصلات عدائية، فعمد الى تحسين العلاقات من خلال المصاهرة، فتزوج قصي بن حبي بنت حُليل بن حُبشية سيد خزاعة آنذاك[٦]، وهذا أدى الى نوع من ترابط المصالح بين قريش وخزاعة.

وخزاعة من جانبها وجدت إن من مصلحتها مجاراة قريش وعدم معاداتها ولاسيما بعد أن استقامت الأوضاع لقريش في مكة، وعلا شأنها بين القبائل العربية، لذلك قال نفر من خزاعة فيما بينهم والله ما رأينا في هذا الوادي أحسن وجهاً ولا أتمّ ولا أعظم حلماً من عبد المطلب وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله، وقد ولدناه كما

---

(١) وادٍ قرب مكة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٦٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٥-٩٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ١٩٠-١٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧١.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٩٥-١٠١.

(٤) الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص ١٠٧.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٩.

(٦) الزبيدي، نسب قريش، ص ١٤.

ولده بنو النجار فلو إنا بذلنا له نصرتنا وحلفناه فأجمع رأيهم على ذلك، وعن ذلك قال عبد المطلب[١]:

يا طول ليلي لأحزاني وأشغالي   هل من رسول الى النجار أخوالي
قد كنت فيكم ما أخشى ظلامة ذي   ظلم عزيزاً منيعاً ناعمَ البالِ
فغاب مطلب في قعر مظلمة   وقام نوفل كي يعدو على مالي
أن أرى رجلاً عاتب عمومته   وغاب أخواله عنه بلا والِ
فاستنفروا ومنعوا ضيم ابن أختكم   ولا تخذلوه فما أنتم بخُذّالِ.

من هذا النص ومن هذه القصيدة السابقة يتضح لنا أن عبد المطلب قد اغتصب له مال وأن أخواله نصروه لإعادة المال عليه، وخزاعة قالت أنهم أخواله أيضاً، فلابد من نصره لرد حقوقه المالية ونفعه والانتفاع به وبقومه، إذن كان وراء كل ذلك منفعة اقتصادية[٢]، وبالإضافة الى السفارة والوفادة، لذلك أتاه وجوه خزاعة فقالوا له: " يا أبا الحارث إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك ونحن وبعد وأنت متجاورون في الدار فهلمّ فلنحالفك فأجابهم فأقبل بديل أبو رقاء بن بديل العدوي، وسفيان بن عمرو، وأبو بشر القميري، وهاجر بن عمير بن عبد العزى القميري، وهاجر بن عبد مناف بن خاطر، وعبد العزى بن قطن المصطلقي، وخلف بن اسعد الملحي، وعمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري، في وفادة من قومهم فدخلوا دار الندوة فكتبوا بينهم كتاباً[٣]، وأقبل عبد المطلب في وفادة في سبعة نفر من قومه بني المطلب، والأرقم بن نظلة بن هاشم وكان من رجال قريش، والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم، ولم يحضره

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٤.

(٢) عبد الكريم، خليل، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية، ط٢، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت– ١٩٩٧م)، ص ٥٢–٥٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٥٧٠.

أحد من بني عبد شمس ولا نوفل[١]، وعلقوا الكتاب في الكعبة، وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره[٢].

وقد نص الكتاب برواية ابن حبيب[٣]: " هذا ما تالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمر من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا ما شرقت الشمس على ثبير[٤]، وما نّ بفلاة بعير، وما قام الأخشبان[٥]، وما عبر بمكة إنسان، حلف ابد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً وظلم الليل مداً، عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو، فصاروا يداً دون بني النظير فعلى عبد المطلب وولده على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب وجعلوا الله على ذلك كفيلاً"[٦].

---

(١) السهيلي، الروض الآنف، ج١، ص ٢٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٢٥٤.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٧–٨٨.

(٤) هو من أعظم جبال مكة، ينظر: ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج١، ص ٢٩٢.

(٥) هما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارةً الى منى، وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان، ويقال بل هما أبو قيس والجبل الأحمر المشرف هنالك، ويقال هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى، ويقال هما أبو قبيس والجبل المشرف على الصفا، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٢٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج١، ص ٤٢.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٢٨٩.

وورد النص عند البلاذري بصورته التي رواها ابن حبيب ولكن بشئ من الإضافة والتي جاء فيها[1]: " وإن عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النظر من كنانة، ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون".

بعد أن كتبت هذه المعاهدة علقت في الكعبة، وذلك لإعطاء قدسية للحلف وللتعبير عن الإلتزام، وعن هذه المعاهدة قال عبد المطلب[2]:

سأوصي زبيراً أن توافت منيتي — بإمساك ما بيني وبين عمرو

وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه — ولا يلحدنّ فيه بظلمٍ ولا عذرِ

فأوصى عبد المطلب ابنه الزبير إلى أبي طالب وأوصى أبو طالب إلى العباس[3]، ومما يصدق حلف هاشم وخزاعة قول الشيبان بن جابر السلمي الخزاعي حين أقبل إلى المقوم بن عبد المطلب يحالفه فقال[4]:

أحالفكم حلفاً شديداً عقوده — كحلف بني عمرو أباك بن هاشم

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٨٠-٨١.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٨.

(٣) ابن حبيب ، المنمق، ص ٨٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٧٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٩٧؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٩٠.

٦-حلف الفضول:

اختلفت الروايات التاريخية في سبب تسمية هذا الحلف بالفضول، ففي رواية ابن حبيب قال[١]: " لأنه خرج من حلف المطيبين وحلف (لعقة الدم)، فكان فضلاً بينهما، وقد حكى أنه سمي (حلف الفضول) ،لأنَّ قريشاً لما سمعت بما تحالفوا عليه قالوا: هذه والله الفضول وخرجوا من مكانهم حتى تحالفوا، فانطلقوا الى العاص بن وائل[٢] قالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه، فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحداً أحداً بمكة إلا أخذوه له"، وقال في موضع آخر، سمي حلف الفضول[٣]: "لأنهم تحالفوا ألاّ يتركوا أحد فضلاً، بظلمه أحداً إلا أخذوه منه"، وقيل: إنَّما سمي الحلف بحلف الفضول ،لأنَّه كانت قد سبقت قريش الى مثل هذا الحلف، فتحالف منهم ثلاثة رجال ومن تبعهم هم " الفضل بن قضاعة، والفضل بن شاشة، وفضيل بن بضاعة" فلما تحالفت قريش بما يشبه الحلف هؤلاء الجرهميين سمي بحلف الفضول، وقيل سميت قريش حلفهم الفضول[٤] لما فيه من الشرف والفضل[٥].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٥٤.

(٢)أبو عمرو العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي يلتقي نسبه مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في كعب بن لؤي ،كان من المعدين للإسلام، وهو والد الصحابيين عمرو بن العاص وهشام بن العاص توفي سنة ٨٥ق.هـ، ينظر: البلاذري ، احمد بن يحيى ،(ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف ،دار الفكر ،(بيروت،١٩٩٦م)،ج١٠،ص٢٧٦.

(٣) ابن حبيب ، المنمق، ص ٢٧٩.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣- اختلفت المصادر التاريخية في أسماء هؤلاء الجرهميين فأسمائهم عند الثعالبي (الفضل بن شراعة، والفضل بن قضاعة، والفضل بن بضاعة)، ينظر: ثمار القلوب، ج١، ص ١٣٨؛ وأسمائهم عن ابن الأثير (الفضيل بن وداعة القطوري). ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٠.

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ١٣٩.

عقد هذا الحلف عند منصرف قريش من حرب الفجار[١]، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن عشرين سنة وبينه وبين الفيل عشرون سنة، فقالوا كان الحلف في ذي القعدة[٢]، وقيل في موضع آخر كان قبل أن يوحى الى رسول الله ﷺ بخمس سنين[٣]، والقبائل التي تحالفت حسب رواية ابن هشام بين بنو هاشم وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة"[٤]، زاد عليهم ابن حبيب (بنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي وبنو عبد الدار"، وكانت شيوخ من قريش من بني هاشم وزهرة، وتيم يقولون: لم يكن بيننا حلف قط حتى كان هذا الحلف[٥].

يعد الزبير بن عبد المطلب بن هاشم أول من تكلم فيه ودعا إليه، وذلك أنَّ الرجل من العرب أو غيرها من العجم ممن كان يقدم بالتجارة، ربما ظلم بمكة، وكان الذي جر ذلك أن رجلاً من بني زبيد[٦] قدم بسلعة فباعها العاص بن وائل السهمي فظلمه ثمنها فناشده الزبيدي في حقه فلم يعطه فأتى الزبيدي الأحلاف: بنو عبد الدار، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم، بنو عدي فأبوا أن يعينوه وزجروه، فلما رأى

---

(١) حدثت هذه الحرب وعمر الرسول ﷺ أربع عشر عام أو خمس عشر، سميت هذه الحرب بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم، ومن قاتل في الأشهر الحرم قيل أنه قد فجر ولم يقاتل رسول الله فيها، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٤٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٦.

(٣) ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٠٩.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٩.

(٦) واسمه أبي منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٧٩.

الزبيدي الشر وافي على أبي قبيس قبل طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح(١):

يا للرجال لمظلوم بضاعته   ببطن مكة نائي الأهل والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته   ولا حرام لثوبي لابس الغدر

قال أيضاً(٢):

يا آل فهر لمظلوم بضاعته......... ببطن مكة نائي الأهل والنفر

ومحرم شعث لم يقض عمرته........بآل فهر وبين الجر والحجر

هل مخفر من بني سهم بخفرته......أم ذاهب في ضلال مال معتمر

فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا منزل فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتميم في دار عبد الله بن جدعان(٣)، وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بلّ بر صوفه، وفي التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقال الزبير بن عبد المطلب فيه شعراً(٤):

حلفت لنعقدنّ حلفاً عليهم   وإن كان جميعاً أهل دار

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٥٢، ١٨٦، ١٨٧.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٥٢-٥٣.

(٣) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التميمي القرشي، يكنى أبا زهير، يضرب به المثل في كرمه حتى قيل ان جفنة ابن جدعان يأكل منها القائم والراكب لعظمها، ينظر: الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٢، ص ٢٥٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٤، ص٣٣.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٩.

نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار

فتحالفوا بينهم إلا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ مظلمته ممن ظلمه شريف أو وضيع، منا أو من غيرنا، وقد حضى هذا الحلف بالرضا والقبول من رسول الله ﷺ.

إذ كان من حضره ودخل فيه وعنه قال: " لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أني نقضته وإنّ لي حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت[1].

تذكر الروايات التاريخية أهمية هذا الحلف من الناحية الاقتصادية أن رجلاً من ثمالة[2] قدم الى مكة فباع سلعة له من أُبي بن خلف بن وهب الجمحي فمطله حقه فأتى الى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا له: إذهب إليه فأخبره إنك أتيتنا فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا فأتاه فقال له: إنَّي قد أتيت حلف الفضول فأمروني أن ارجع إليك فأخبرك أني قد أتيتهم وقد رجعت إليك فما تقول؟ فاخرج أُبي حقه فأعطاه إليه[3]، وفي رواية أخرى أن رجلاً تاجراً من بني خثعم[4] ،قدم الى مكة فعلقت ابنة له من قبل نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فاشتكى الى حلف

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٨.

(٢) ثمالة: بطن من بطون الأزد اليمنية، يرجع نسبهم الى عوف بن أسلم بن نصر بن أزد، ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٥، ص ١٥٠.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٥٤.

(٤) خثعم: هم من القبائل القحطانية، ينسبون الى خثعم بن أغار بن آراش بن عمرو الغوث، أقاموا في منازلهم من جبال السراة وما والاها، أو قاربها، ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٣٢٦.

الفضـول فذهبوا إليـه فقالوا: أخـرج ابنـة هذا الرجل فأخرجها وأعطوها أباها[١]، فهذه الروايتين تدل على أن حلف الفضول يعد بمثابة القوة الدفاعية عن مكة لمن دخلها من خارجها من التجار، وعليه فإن هذه القوة ستساعد على استقطاب أكبر عدد ممكن من التجار الى مكة وبالتالي سيزداد النشاط التجاري بفعل الأمان الذي حققه حلف الفضول.

٧-حلف المطيبين:

حدث هذا الحلف نتيجة الخلاف بين عبد مناف وبني عبد الدار، ابني قصي بن كلاب، وكان سببه الخلاف الناشب بين الأحفاد حول الإرث الاقتصادي لقصي بن كلاب الذي يعد أول رجل أصاب ملكاً وأطاع له قومه، وأول باني لمجد اقتصاد مكة، بعد إن استنقذ مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب شديدة[٢]، لقد عمل قصي بن كلاب جاهداً على إيجاد وظائف في مكة، فابتنى دار الندوة ففيها كانت تكوّن أمور قريش فيما ينوبهم وفيما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة[٣].

وعن هذه الدار قال الأزرقي[٤]: " وهي دار قصي بن كلاب بمكة.....فكان قصي لا يقضي أمراً إلا فيها ولا تخرج تجارة إلا منها"، وكانت جميعها بيده هي

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٥٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٠.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٠٩-١١٠؛ وينظر: الثعالبي، ثمار القلوب، ج٢، ص ١٦٥.

الحجابة[١]، والسقاية[٢] والرفادة[٣]، واللواء[٤].

فلما كبُر قصي ورقّ جعل هذه الوظائف الخمس لعبد الدار وكان أكبر ولده، وكان ضعيفاً مسناً فخصه بذلك ليلحقه بأخوته[٥]، غير أن الأزرقي قد ذكر بأنه قسّم أمور مكة بين ابنيه عبد الدار وعبد مناف، فكانت لعبد الدار الحجابة والندوة واللواء بينما أصبحت لعبد مناف السقاية والرفادة[٦]، فيما قال اليعقوبي: أن قصي بن كلاب

---

(١) وتسمى السدانة : وهي رعاية البيت والقيام على إعداده للزائرين، فكان القائم بها يمتلك مفاتيح الكعبة، لا يدخل إلا بإذنه، ينظر: الفراهيدي، العين، ج٧، ص٢٢٨؛ السهيلي، الروض الآنف، ج٢، ص٣٣.

(٢) هي إحدى الوظائف الدينية يتولى صاحبها سقاية الحجيج، بمكة المكرمة، ينظر: ابن الأثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٨٢.

(٣) هي خراجاً تخرجه قريش من أموالها لضيافة الحاج، وقد ورد عن قصي بن كلاب أنه قال لقومه: " يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجمعوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج، حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خراجاً تخرجه قريش في كل موسم فيدفعونه الى قصي، ينظر: ابن حبيب، المنمق، ص ٣٣؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٩٥؛ السهيلي، الروض الآنف، ج٢، ص٥٥.

(٤) مايعقد في طرف الرمح ويلوى عليه وسمي لواء لانه يلوى لكبره فلا ينشر الا عند الحاجة . ينظر: ابن الأثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٢٧٩.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢، اختلفت المصادر التاريخية في أول من أوجد الرفادة والسقاية ، فالأزرقي نسبها الى ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لي الخزاعي، الذي تقاسم مع أبناء إسماعيل عليه السلام على إدارتها، ينظر: الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٩٥-١٠٠؛ فيما قال المسعودي: " كان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية للحاج، وكان أول من سقى الماء بمكة عذباً، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، س ١٣٤.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١١٠.

قسم الوظائف بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار، والرفادة لعبد العزى، فيما لم يشر الى الحجابة[1]، غير أنَّ البلاذري يؤيد ابن حبيب في روايته ويقول[2]: " كان قصي شديد الحب لعبد الدار مضعوفاً فجعل له بعده دار الندوة، والحجابة واللواء والرفادة والسقاية".

والجدير بالاهتمام أنَّ أبناء قصي احترموا رغبة أبيهم بما آثر به عبد الدار عليهم، فلم ينازعوه مكانه طول حياته، على الرغم من أنَّهم يتقدمون عليه بالشرف[3]، وذكر إنه ربما المقصود بالشرف الغنى والنفوذ[4].

إلا أنَّ الصراع بين أحفاد قصي من أجل توزيع هذه الوظائف واستئثار بني عبد الدار بها دون سائر أحفاد قصي، وقد روى ابن حبيب عن هذا الصراع قائلاً[5]: " لما بنيت الكعبة جزأوها أربعة أجزاء فصار لبني عبد مناف ما بين الحجر الأسود الى ركن الحجر، فناء البيت أجمع، وصار لأسد وبني عبد الدار وزهرة الحجر كله، وصار لمخزوم وتميم دبر البيت، وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني الى الركن الأسود، فلما بنوه وفرغوا منه تنافسوا في من يرفعه، فقالت بنو منافا هو حيزنا وقالت قريشا ليس الركن مما اقتسمنا وأرادوا فيه الشر، حتى حكموا أول من يطلع عليهم من قريش من باب السيل، فطلع عليهم رسول الله ﷺ فحكموه فأخذ ردائه فوضعه ثم رفع الحجر بيده وقال لكل ربع: (خذوه بطرف من أطراف الثوب)، فرفعوه جميعاً، ثم دخل رسول الله ﷺ تحت الحجر فبناه بيده، فلما فرغوا من البنيان وعمروا

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٠٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٥٩.

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٠٧.

(٤) الثعالبي، ثمار القلوب، ج١، ص ١٣٩.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٣-٢٧٤.

البيت والسقاية، قالت بنو عبد مناف بيد إخواننا عبد الدار الرفادة، واللواء والندوة والحجابة وليس بأيدينا إلا السقاية، فقالوا لهم: لا نعطيكم ما ورثناه عن أبينا وجدنا"،

وكان مع بني عبد مناف (بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن مالك بن النضر)، وكان مع بني عبد الدار (بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جمح بن عمرو، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو عدي بن كعب)، فبنو عبد مناف يقال لهم المطيبون، وبني عبد الدار وحلفائهم يقال لهم الأحلاف، وهؤلاء سموا لعقة الدم لأنهم نحروا جزوراً، فغمسوا أيديهم في دمها، ولعق رجل من بني عدي يقال له الأسود بن حارثة لعقة من الدم، ولعقوا منه فسموا لعقة الدم[١]، وبعد ذلك أعدّ الطرفين العدة للقتال وعبيت كل قبيلة لقبيلة فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم، وبنو عبد الدار لبني أسد، وبني مخزوم لبني تيم، وبنو جمح لبني زهرة، وبنو عدي بن كعب لبني الحارث بن فهر[٢]، غير أن الحرب لم تضع أوزارها، إذ أنهم تداعوا للصلح بفضل سفراء الإصلاح، على أن تعطي بنو عبد مناف السقاية وبنو أسد الرفادة وتركت الحجابة والندوة و اللواء لبني عبد الدار، ثم جرى بين القوم الشر حتى كادوا يقتتلون فصارت الحجابة واللواء لبني عبد الدار، وصارت الندوة لبني عبد مناف[٣].

وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك، فقال رسول الله ﷺ: (ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزيده إلا شدة)[٤]، ولتحقيق

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٠٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٣.

(٣) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٥١.

التوازن بين حفدة قصي عمدت أم حكيم بن عبد المطلب فأخذت جفنة عظيمة فملأتها خلوقاً ثم اقبلت بها تحملها حتى وضعتها في الحجر، فقالت: " من تطيب من هذه الجفنة فهو منا، فقامت أسد فتطيبت وقامت الحارث بن فهر فتطيبت، وتطيبت زهرة بن كلاب وتيم بن مرة، فهذه خمس قبائل يسمون المطيبين، (عبد مناف، وأسد بن عبد العزى، وزهرة والحارث بن فهر وتيم بن مرة)، وتعمد بنو سهم فنحروا جزوراً ثم غمسوا أيديهم في دمها وقالوا من غمس يده فيه فهو منا، فقسمت جمح وسهم وعبد الدار ومخزوم، وعدي بن كعب ثم دخلوا البيت وتحالفوا بالله أن لا يسلم أحد منا أحداً فسمّوا الأحلاف وهم خمس قبائل: (عبد الدار وسهم وجمح ومخزوم وعدي بن كعب)[١].

وهكذا ازداد حجم القوافل التجارية وتنوعت السلع كل ذلك بفضل الأمان الذي أحرزه المكيون من خلال أحلافهم الدولية والقبلية(أي مع القبائل) ومن خلال سفاراتهم، فحقَ الله سبحانه وتعالى أن يمن على قريش بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٢].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٤؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٥٠.

(٢) سورة القصص، من الآية (٥٧).

المبحث الثالث: الوفادة الى الأسواق قبل الإسلام

تمثل الأسواق العربية ركيزة التجارة الداخلية، فكان العرب يفدون الى الأسواق من البلدان المختلفة[١]، حيث يجتمعون فيها للبيع والشراء وتبادل السلع، وتظل هذه الأسواق مفتوحة على طول العام[٢]، وكان سوق دومة الجندل[٣]، أول الأسواق التي تقام في الموسم، حيث تفد إليه قوافل العرب في بداية ربيع الأول فيقيمون السوق بالبيع والشراء، وكان على السوق قبيلة بني كلب يستقبلون الوافدين الى السوق ويشرفون عليه[٤].

لم تكن الأسواق ساحة للبيع والشراء فحسب، بل قصدها طالب الأمن والفداء، ووفد إليها الخائفون وطالبي الاستجارة، والرجال الحاملين الأموال لفداء الأسرى، أو تُحمل الدية والدماء، كما قصدها الساعون الى المصالحة بين القبائل، ووفد إليها الأمراء ورسل الملوك لأخذ مالهم على بعض القبائل من أتاوات سنوية، فكان موعدهم في أيام المواسم التجارية[٥]، فكانت أسواقهم تقام في معظم شهور السنة تقريباً، وتحضرها اغلب قبائل العرب من بعد منهم أوٌ قرُب متنقلين من بعضها الى بعض بما عندهم من المآثر والمفاخر[٦].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٦٤٢.

(٢) عرفة، محمود، العرب قبل الإسلام، ص ٢٤٨.

(٣) حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة .ينظر:ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٢،ص٤٨٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صنعة الأنشا، دار الكتب المصرية، (القاهرة– ١٩٢٢م)، ج١، ص ٤١١.

(٥) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية، المكتبة الهاشمية، (دمشق– د.ت)، ص ٢٠٥.

(٦) القلقشندي، نهاية اللإرب، ص ٤٦٤.

ارتبطت الوفود التجارية التي تفد الى الأسواق بموسم الحج، فأقام العرب الأسواق في الأشهر الحرم، وذلك لضمان مرور التجارة بأمان فلا يتعرض لها أحد[١]، حتى أن قريش وغيرها من العرب تقول: " لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذا المجاز إلا وأنتم محرمين للحج"[٢].

ومن الأسواق ما هو متخصص بسلعة واحدة، ومنها ما يشمل سلعاً متعددة، ومنها ما هو محلي أو عام، وقد يوجد في المدينة الواحدة أكثر من سوق كالبتراء، إذ كانت تحتوي على ثلاثة أسواق، وتخصصت أسواق أخرى ببيع سلع معينة فهناك سوق للماشية، وسوق للعطارة، وسوق للفخار [٣] وغيرها، وأقيمت تلك الأسواق لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية، وعقدوها في أماكن متعددة بحماية قبائل مختلفة في مواقيت متفاوتة يؤمها العرب تجاراً وأدباء وشعراء فغدت بمثابة مهرجانات موسمية[٤].

وبالرغم من إنها مكان للتجارة والمقايضة[٥]، ولكنها كانت ميداناً فسيحاً لتبادل الآراء وعرض الأفكار والتشاور في مشكلات الأمور والمفاخرات والمناظرات والمحاورات وناديا واسعاً لإلقاء روائع الشعر والمباهاة بالفصاحة والمفاخرة بالبلاغة،

---

(١) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٤، ص ١٤.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٢٨٥.

(٣) طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٥.

(٤) طقوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص٩٦.

(٥) الخطيب، محمد، الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية، (منشورات دار علاء الدين، (سوريا- ٢٠٠٤م)، ص ١٠٦.

فكان النقاد والشعراء والرواة يجتمعون في الأسواق، فينقد النقاد قصائد الشعراء الذين يتخيرون الألفاظ العذبة والأساليب الجميلة قصداً الى الوضوح والإفهام والامتناع[١].

ومن ورائهم الرواة اللذين يذيعون هذا الأدب المختار وينشرونه في القبائل ويرونه في كل مكان للسامعين[٢]، فكانت الأسواق مجالس للتحدث بأيامهم وحروبهم ونوادي يتبارى فيها خطباؤهم وشعراؤهم[٣]، حتى أصبحت الأسواق وسيلة اتصال أدبي ولغوي بين القبائل العربية ولعلها مثلت بظواهرها هذه مكاناً رائداً ومؤثراً للسفراء والوفود العرب.

كانت رحلة الوفود الى الأسواق تبدأ من سوق دومة الجندل، ثم ينتقلون الى سوق هجر في البحرين في شهر ربيع الآخر، ثم يشدون الرحال الى سوق عمان فيقيمون فيها الأسواق، ثم ينتقلون الى إرم وقرى الشمر من أرض اليمن وينزلون في عدن ليشترون منها اللطائم، وأنواع الطيب ثم يرتحلون الى حضرموت، ثم صنعاء، فتقوم الأسواق بها ويجلبون منها الخزر والأدم والبرود[٤]، ثم تشد القوافل التجارية رحالها الى سوق عكاظ، ثم ينتقلون الى سوق مجنة فيقيمون فيه عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم ينتقلون الى سوق ذي المجاز يقيمون فيه الى الحج، فإذا رجعوا الى قومهم ذكروا لهم ما سمعوا ورأوا[٥].

---

(١) خفاجي، محمد عبد المنعم وعبد العزيز شرف، التغير الإعلامي للأدب العربي، دار الجيل، (بيروت– ١٩٩٦م)، ص ١٨٢–١٨٣.

(٢) خفاجي ، التغير الإعلامي للدب العربي ، ص ١٨٣.

(٣) العاملي، أحمد رضا، مولد اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت– ١٩٦م)، ص ٥٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤١١.

(٥) القزويني، ابو عبد الله بن زكريا، (ت: ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت– د.ت)، ص ٨٥.

ويبرز سوق عكاظ مثالاً للأسواق الأخرى، لأن وفرت الأحداث والمرويات عنه في المصادر العربية تجعله أكثر وضوحاً من بقية الأسواق، ويتيح أفضل فرصة لدراسة أسواق العرب وأثرها في تطور الحياة المشتركة بين العرب من خلاله(١).

أولاً: سوق عكاظ:

سمي سوق عكاظ بهذا الاسم لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً، بالمفاخرة، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر، وقيل تعكظ فُلان أي: اشتدّ سفره، ولم تكن سوق عكاظ مكاناً تقصده قبائل الجوار فقط، بل قصدته وفود العرب من الشام والعراق واليمن والبلاد المجاورة، فكانت تضيق بمن حضر ويكسب التجار فيها ما لا يكسبه في مكان آخر(٢)، ويظهر أنها كانت مكاناً للتجمع، قال أبو ذؤيب في ذلك(٣):

إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوفُ

وتقع عكاظ في وادٍ فيه نخيل بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال(٤)، وبين الأسواق لم يكن أعظم من عكاظ(٥)، إذ كانت تنزل فيه قريش وهوازن

---

(١) طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٨.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٤٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٠، ص ٢٣٨، سحاب، فكتور، سوق عكاظ، دار المحترف السعودي للنشر والتوزيع، (جدة- ٢٠١١م)، ص ٣٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ٣٤٠.

(٤) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت: ٣١١هـ)، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح أحمد العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (السعودية- ١٩٦٨م)، ص ٣١.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٤٢-١٤٣.

وغطفان، وأسلم وعقيل والمصطلق وطائفة من أجناس الناس[١]، فهو أكبر مركز للتبادل التجاري في الجزيرة العربية، وهو مقر للتجارة والخطابة والشعر[٢]، ولعلها تعد من أكبر السفراء والوفود والدعاية والذيوع والنشر، فهي أشبه ما تكون بمؤتمر إعلامي للعرب، فضلاً عن صفتها التجارية.

وكان في العرب قوم يستحلون المظالم، إذا حضروا الأسواق فسموا المحلين، وكان فيهم من ينكر ذلك، وينصب نفسه لنصرة المظلوم، والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة، المحرمين وكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس، أما عامة العرب فكانت تضع أسلحتها في الأشهر الحرم[٣]، فنشط لذلك البيع والشراء، وقدم العرب الى الأسواق من كل حدب وصوب، تجار وأدباء وشعراء وسادة وصعاليك، وهم يؤمنون على أنفسهم من مخاطر الطريق، حتى إذا انتهوا من متاجرتهم انصرفوا الى التناظر والتفاخر[٤]، والمحاججة وإنشاد القصائد[٥].

---

(١) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢٧٩.

(٢) الحديثي، نزار عبد اللطيف، محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد- ١٩٧٩م)، ص١٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٣١.

(٤) البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار المكشوف ودار الثقافة (بيروت- ١٩٦٨م)، ص٣٢.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤١١.

وقد كان هذا الاجتماع العام مظهراً من مظاهر الحضارة المتمثلة بالسفارة والوفادة التي يقتضي فيها تجويد المنطق والمبالغة في إتقان صناعة الكلام والمقاربة من لغة قريش التي حملت العرب في جملتهم على إتباع مناهجها والتأثر بأسلوبها[١].

فكان سوق عكاظ ذات أثر واضح في تهذيب اللغة وتوحيد اللهجات، ونهضة الأدب وتجويده ونشر الشعر وترديده[٢]، إذ كان للأسواق إسهام في خلود القصائد ونشرها لتطوف بالجزيرة العربية وتلهج لها الألسن وتعيها القلوب، فهي محافل يؤمها كل صاحب فكرة، يريد لها الذيوع والإنتشار [٣].

وكان سوق عكاظ نواةً لنشأة النقد الأدبي، إذ كانت تضرب للنابغة الذبياني في السوق نفسه قبة من أدم فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها[٤]، وإن تهيأة القبة وإعدادها في مكان معلوم كهذا ليحكم النابغة تحت سقفها بين مشاهير الشعراء كالأعشى وحسان والخنساء يعني بأن اللقاء تحتها لم يكن قد حدث عن طريق المصادفة أو أنه أعدّ بموجب إتفاق بين جماعة معينة لأغراض شخصية على نحو ما يحدث في اللقاءات الخاصة، وإنما هو لقاء في مكان عام مفتوح ومعرض لمشاركة الجميع، فكثيراً ما وقف الشاعر لينشد شيئاً من جديدة وربما اجتمع نفر

---

(١) عطية، محمد هاشم، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (مصر- ١٩٣٦م)، ص ٤١.

(٢) خفاجي، ممد عبد المنعم، الشعر الجاهلي، ط٣، دار الكتابة اللبناني، (بيروت- ١٩٨٠م)، ص ٨٦-٨٩.

(٣) العمران، جاسم محمد كاظم، مواسم العرب وأسواقها وأثرها في الأدب العربي قبل الإسلام، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد- كلية التربية_ ١٩٨٩م)، ص ٢٦٢-٢٩٨.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٣٤٤.

حوله في أثناء تواجده بهذه السوق طالبين منه أن ينشدهم بعض أشعاره(١)، وكان الفائزون من الشعراء ينالون لقب أمراء الشعر وقصائدهم تعلق على جدران الكعبة(٢)،

وانطبقت الحال نفسها في بقية القصائد الطوال المسماة بـ(المعلقات) فما كان الإجماع ليعقد على أنها أجود الشعر لولا أن المحكمين في عكاظ شهدوا لها بذلك وأقرّ السامعون بتفوقها(٣).

وكان عكاظ مكاناً للإعلام عن الحزن والتعاظم بالمصائب، فقد كانت الخنساء(٤) تقصد عكاظ وتضع علامة تميز بهودجها وتعاظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، فلما أصيبت هند بنت عتبة بأخيها وعمها في معركة بدر أمرت بهودجها فسوم براية، وقرنت جملها بجمل الخنساء وناظرتها بالشعر والرثاء(٥).

ولم يغفل الملوك أهمية المكان وإعلاميته فقد روجوا واستخدموا الدعاية لأنفسهم فيه فكان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة

---

(١) البلداوي، عدنان عبد النبي، اللقاءات الأدبية في الجاهلية والإسلام طبيعتها وأثرها في نقد النص الشعري، مطبعة الشعب، (بغداد- ١٩٧٦م)، ص ١٥-١٦.

(٢) عطية، أدوارد ، العرب ، ترجمة: محمد قنديل البقلي، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة- ١٩٦١م)، ص ١٤.

(٣) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٩٢.

(٤) تماضر بنت عَمْرو بن الْحَارِث السلمِيَّة ولقبها الخنساء قدمتُ على رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَكَانَ يستنشدها شعرهَا وتعجبه وَيَقُول هيه يَا خناس ويومئ بِيَدِهِ وأخواها صَخْر وَمُعَاوِيَة . ينظر :الصفدي ، الوافي بالوفيات،ج١٠ ،ص٢٤٠.

(٥) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ١٥١-١٥٢.

والمركوب الفاره فيقف بها وينادي عليه ليأخذه أعز العرب يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته[١].

وكان الأشراف والسادة يغيثون الملهوفين ويطعمون الجوعى ويبعثون المنادين يطوفون في السوق ويسألون عن المتعب والجائع والخائف[٢].

وكان سوق عكاظ مكاناً لفداء الأسرى بين القبائل العربية إذ كانوا يقولون فيمن يغالي في فديته: أغلى عكاظي فداء، فقد فدى بسطام بن قيس فارس بني شيبان نفسه من عتيبة بن الحارث فارس بني يربوع بفدية في سوق عكاظ بلغت أربعمائة بعير وثلاثين فرساً فلم يكن عربي عكاظي أعلى فداء منه[٣].

وكان من عادة فرسن العرب وأشرافهم إذا حضروا سوق عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا كي لا يُعرفوا[٤]، وأول من كشف القناع طريف العنبري لما رآهم يتطلعون في وجهه ويتغرسون في شمائله، قال: قبح من وطن نفسه إلا على شرفه ورمى بالقناع وحسر عن وجهه وأنشد قائلاً[٥]:

أوَ كلما وردت عكاظ قبيلةً بعثوا الى عريفهم يتوسمُ

---

(١) المرزوقي، أبو علي الأصفهاني، (ت: ٤٥٣هـ)، الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف، (الهند– ١٣٣٢هـ)، ج٢، ص ١٦؛ عوض، إبراهيم، فصول في ثقافة العرب قبل الإسلام، مكتبة الخانجي، (القاهرة– ٢٠٠٦م)، ص ٣٩٢.

(٢) حمور، عرفان محمد، سوق عكاظ ومواسم الحج، دار الكتب العلمية، (بيروت– ٢٠٠٦م)، ص ١٤٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٥٦.

(٤) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص٣٩٤.

(٥) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص١٦٦.

ويحسبان أن المعتقدان والطقوس الدينية احتلت حيزاً كبيراً ومهماً في حياة الجماعات الإنسانية، منذ القدم كان للدين آثاره الواضحة في الجانب الحضاري وتحديد الأُطر الاجتماعية للتقاليد والعادات والحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية[١]، وكان سائداً عند العرب قبل الإسلام إنتشار التقديس للأشياء الباطلة بصورة كبيرة[٢]، فكان سوق عكاظ المكان الأمثل للنصح والإرشاد الديني، إذ أخذ الرهبان والأحبار والحكماء يردونه فيعظون الناس ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار[٣].

وكان العرب فرقاً متعددة، فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة[٤]، ومنهم من مال الى اليهودية أو النصرانية ومنهم الموحد المقر بخالقه ممن دعا الى الله عزّ وجل، ونبّه قومه على آياته كرئاب الشّنتني وبحيرا الراهب[٥]، وأمية بن أبي الصلت الذي قرأ الكتب وأتبع أهل الكتاب، وورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم السيدة خديجة الكبرى، (أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها)، وأحد دعاة التوحيد في الجزيرة العربية إذ كان يقول[٦]:

---

(١) حسن، زاجية عبد الرزاق، العلاقات اليمنية قبل الإسلام، جامعة البصرة، (كلية الآداب-٢٠٠١م) ص ١٢٢.

(٢) أبو عواد، إبراهيم، الأساس الفكري للجاهلية، دار اليازوري، (الأردن- ٢٠٠٧م)، ص ٨٥.

(٣) حمور، عرفان، سوق عكاظ ومواسم الج، ص ١٠٥.

(٤) الحميري، نشوان بن سعيد، (ت: ٥٧٣هـ)، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، (مصر- ١٩٤٨م)، ص ١٣٦.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٠٢.

(٦) ابن بكار، ابو عبد الله الزبير، (ت: ٢٥٦هـ)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، محمود محمد شاكر، كطبعة المدني، (القاهرة- ١٣٨١هـ)، ج١، ص ٤١١؛ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهيل، البدء والتاريخ، تحقيق: كلمان هوار، (باريس- ١٩٠١م)، ج٢، ص١٤٤.

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم　　　أنا النذير فلا يغرركم أحد

لا تعبدون إلهاً غير خالقكم　　　فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذي العرش سبحانا　　　يعادله رب البرية فردواحدُ صمدُ

وقد ضرب المثل في أعداد الوافدين الى سوق عكاظ حتى قيل: "ضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ قتلتهم"(١).

ثانياً: (الوفادة الى الأسواق الأخرى)

هناك أسواق أخرى كان العرب يقصدونها فذكر المرزوقي إنه كان في الجاهلية ثلاثة عشر سوقاً، كان العرب يفدون إليها هي: دومة الجندل، وسوق صحار، ودبا، وسوق الشمر، وسوق رابية، وسوق حضرموت، وذو المجاز، وخيبر وسوق المشقر، وسوق حجر اليمامة، وسوق منى، وسوق عدن ثم صنعاء وسوق عكاظ(٢).

وهناك أسواق أخرى مثل سوق الروض وعاقل ووداي القرى وسوق الغميضاء في تهامة والحجاز(٣)، واشتهرت الحيرة بسوقها إذ كان الأعراب وتجار جزيرة العرب يقصدون السوق لبيع تجارتهم وشراء ما فيها من سلع نفيسة مطلوبة في بلاد العرب،

---

(١) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، (٣٥٦هـ)، الأمالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصرية، (القاهرة– ١٩٢٦م)، ج١، ص ٢٦٠.

(٢) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج١، ص١٩٨.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦.

وقد اشتهر بنوع من السيوف الخاصة، قيل لها " السيوف الحاربة"، كما عرفت بصناعة السجاد[١].

ومن الأسواق الأخرى هو سوق مجنة ويقع على نحو عشر أميال شمال مكة فيما بين جبلي شاقة وطفيل[٢]، وكان يفد إليها الكثير من قبائل العرب وكانت الحركة التجارية تنتقل إليه بعد عكاظ حيث تنشط فيه الحركة التجارية لمدة عشرة أيام[٣]، وذكره بلال بن رباح ﷺ بقوله متشوقاً إليه بعد الهجرة[٤].

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون الى شاقه وطفيل

أما سوق الجدة فكان يقع شمال الكوفة وكانت تخرج منه لطائم الفرس الى عكاظ كما ترد إليه قوافل قريش وبضائع الهند والسند القادمة من عمان الى بلاد الشام وكان المناذرة يحصلون على أعشارها فجنوا ربحاً وفيراً من تجارهم[٥].

ومن الأسواق الأخرى سوق بني قينقاع وكانت سوقاً عظيمة ذكرها النابغة الذبياني حينما حل وافداً إليها فلما أشرف على السوق سمع ضجة فحاصت به ناقته، فأنشد يقول[٦]:

كادت تهال الأصوات راحلتي والنفر منها إذا ما أوجست خلق

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٠.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ج١، ص ٥٢٣.

(٣) عرفة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٠.

(٤) الآلوسي، بلوغ الإرب، ج١، ص٢٦.

(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٧.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص٩١.

وقامت في الطائف سوق كبيرة قصدها العرب لاسيما أهل مكة، فكانوا يفدون عليها في الصيف هرباً من الحر لطيب مناخها والاتجار مع أهلها[١]، وكما ذكرنا آنفاً ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الأسواق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل استغلّ بعض الناس وجودها للترويح لرأي ما، فقصدها المبشرون للاتصال بالقبائل والتأثير في بعض أفرادها لإدخالهم في دينهم[٢].

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في مواسم تلك الأسواق على قبائل العرب ويدعوهم الى الله ونصرته ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، حتى يبين ما بعثه الله به[٣].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٢.

(٢) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٤، ص ٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٨.

الفصل الرابع

دور السفراء والوفود في الممالك العربية الاخرى

المبحث الاول : السفراء والوفود في مملكة الغساسنة

المبحث الثاني : اشهر السفراء والوفود في بلاط مملكة كندة قبل الاسلام

المبحث الثالث : اشهر حروب العرب وأيامهم ووفود الصلح فيها

الفصل الرابع: دور السفراء والوفود في الممالك العربية الاخرى

المبحث الأول: دور السفراء والوفود في مملكة الغساسنة

وتشير المصادرالتاريخية ان اصل الغساسنة من اليمن وانهم ينتسبون الى قبيلة الازد ،وانهم خرجوا من اليمن حينما تصدع سد مأرب ،ونزلوا على ماء في سهل تهامة يسمى غسان فنسبوا اليه وان الذي قادهم هو جدهم الاعلى عمرو مزيقياء عامر بن ماء السماء، أنهم حكموا من سنة (٢٢٠م-٦٣٨م) اي اكثر من اربع قرون [١].

أولاً: سفارة الروم الى الغساسنة

اعتمدت العلاقات الخارجية في الممالك العربية على الدخول في تحالفات مع الإمبراطوريات الكبرى المعاصرة لها، وإقامة التحالفات الخارجية والداخلية من أجل الدفاع والحماية المشتركة، فتحالف أمراء الحيرة مع الفرس، وأقام أمراء الغساسنة تحالفاً مع الروم في مقابل تأمين الحدود من غارات القبائل[٢].

بالرغم من الواقع الجغرافي الصعب الذي عاشته شبه الجزيرة العربية إلا أنَّ ذلك لم يمنعها من الاتصال والتواصل فيما بينها، أو مع الأمم الأخرى، فكانوا على اتصال بمن حولهم وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان عليه عند الأمم الأخرى[٣].

---

(١)المسعودي،مروج الذهب ،ج٢،ص٨٣.

(٢) جواد ،علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص ٢٢٧.

(٣) أمين، أحمد، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعلين والثقافة، (القاهرة- ٢٠١٢م)، ص ٢١.

ومن الجدير بالاهتمام هو إقامة السفارات الوفادات المتبادلة بين الإمبراطورية الرومانية والغساسنة، وذلك بسبب أطماع الإمبراطورية البيزنطية بأرض العرب، وهذا ما سنتناوله في هذه السفارة من قبل قيصر الروم.

أرسل قيصر الروم سفارة الى ملك الغساسنة ثعلبة بن مازن سنة(٥٥٦م تقريبا)[١]، كان الهدف من السفارة هو إقامة علاقة تعاون بين الطرفين، بعد أن أزاح الغساسنة بني سليح من بلاد الشام[٢]، وأنّ هدف الروم من إقامة هذه العلاقة هو مخافتهم من أن يميلوا الغساسنة الى الفرس، فبعث القيصر سفيره الى الغساسنة مخاطبا إياهم: "أنتم قوم لكم باس شديد، وعدد كثير وقد قتلتم هذا الحي وكانوا أشد حيي في العرب واكثرهم عدة، وإني جاعلكم مكانهم" [٣]، ووقع الطرفان على معاهدة نصت على إمداد الغساسنة بأربعة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل من الروم إذا داهمهم دهم من العرب، وفي المقابل على الغساسنة أن يمدوا الروم بألفي مقاتل إذا داهمهم مهاجمون من العرب، على أن لا يتدخل الغساسنة بين الروم والفرس[٤].

---

(١) ثعلبة بن مازن: هو ثعلبة بن مازن بن الأزد، ويسمى أيضاً ثعلبة البهلول، وولده اربعة: رهط ،امرؤ القيس، وعامر ،وكرز في غسان جميعاً، ينظر: الصحاري، ابو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبي، (ت: ٥١١هـ)، الأنساب، تحقيق: محمد إحسان، ط٤، وزارة التراث القومي، (عُمان- ١٩٩٩م)، ص ١٧٥.

(٢) بنو سليح: قوم من قضاعة ملكوا الشام قبل الغساسنة، وأوكلت عليهم مهمة الخفارة العسكرية وجباية الأموال، ينظر: الأندلسي، ابن سعيد، (ت: ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، (عمان- د.ت)، ص ١٧٧؛ المغيري، عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب، تحقيق: علي السيد المدني، دار المدني للنشر والتوزيع، (جدة- ٢٠٠٧م)، ص ٢٠.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧١.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧١.

إنَّ صنيع قيصر الروم تجاه الغساسنة لا يخرج من كونه مكافئة جراء محاربتهم أبناء جلدتهم وإخراجهم من الشام، إذ أنّ الروم كانت تعمل على منع العرب على كلمة سواء ضد الروم الطامعين بأرض العرب، ومن ناحية أخرى إن الفرس كانوا على الشاكلة نفسها مع أحياء العرب، في الوقت الذي تلعب فيه المصالح الشخصية للزعماء العرب دورها في زيادة الانشقاقات العربية وتنشيطها الى قوى رمزية ليسهل السيطرة عليها.

ثانياً: (سفارة الحارث بن جبلة الى القسطنطينية) (٥٢٧-٥٦٥م)

هو الحارث بن جبلة بن الحارث الغساني الأزدي[(١)]، ولقب بالأعرج، ويعتبر اشهر أمراء بني جفنة في الشام، وأعظمهم شأناً[(٢)]، حضي الملك الحارث بن جبلة بمنزلة سامية في مراتب الدولة البيزنطية فكان واحداً من أفضل ملوك الغساسنة حتى وصف بأنَّه " خير ملوكهم وايمنهم طائراً وابعدهم مغاراً وأشدهم مكيدة "[(٣)]، وكان خال بن جبلة قد حقق إنتصاراً على المنذربن ماء السماء ملك الحيرة فقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم الأموال[(٤)]، وتكريماً لتلك الجهود فقد أرسل الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، في طلبه لتعزيز العلاقات بين الطرفين، ومكافئته على ما فعل بخصومهم ملوك الحيرة وحلفاء فارس وقام الامبراطور البيزنطي بمنح الحارث لقب (بطريق)، وهو يعني قائد عشرة آلاف في الجيش

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٥٣.

(٢) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، المعارف، ط٦، دار الفكر المعاصر، (بيروت- ٢٠٠٧م)، ص ١٤٣.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة- ١٩٩٢م)، ص ٦٤٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص١٤٩.

البيزنطي، ولقب (فيلارك) ويعني الملك أو رئيس القبيلة، وهي من الألقاب السامية التي كان يسعى إليها جميع حلفاء الرومان، وأمده بالمال وكذلك لشيوخ القبائل العربية في بادية الشام[١].

ومن الجدير بالاهتمام إنَّ الحارث بن جبلة الغساني استغل هذه السفارة للإتفاق مع الإمبراطور البيزنطي فيمن يخلفه في الحكم، واتفقوا على أن يخلفه ابنه المنذر[٢]، كما سعى لدى الإمبراطورة ثيودورة زوجة الإمبراطور جستنيان من أجل تعيين يعقوب البرادعي[٣]، أسقفاً في المقاطعات السورية، وقد نجح في تحقيق مبتغاه من خلال هذه السفارة مما يعد نجاحاً للسياسة الخارجية للغساسنة[٤].

ثالثاً: (سفارة الإمبراطور ثيسيوس الى المنذر بن الحارث الغساني)

بعد تدهور العلاقة بين الروم والغساسنة بسبب توقف روما عن دعم المنذر بن الحارث بن جبلة، استغل عرب الحيرة هذه الفرصة فأمعنوا في غزو بلاد الشام

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٦٦؛ رستم، أسد، الروم سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، دار الكشوف، (بيروت– ١٩٥٥م)، ص ٢٠٢؛ برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ص ١٤٣–١٤٤.

(٢) رستم، أسد، الروم وسياستهم، ص ٢٠٣.

(٣) يعقوب البرادعي، قديس سرياني مكرم في الكنائس الأرثوذكسية و اسمه الحقيقي بارثيو فيلوس وسمي البرادعي نسبةً الى لباسه المتهرئ الذي كان يلبسه من اجل إخفاء مكانته في فترة اضطهاد المسيحيين، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٩٢؛ نودلكه ثيودور، أمراء غسان، ص ٤٢.

(٤) نوردلكه، المرجع نفسه، ص ٤٣.

مما أجبر الروم على مراسلة المنذر بن الحارث ليحاولوا بذلك إعادة المياه الى مجاريها[١].

فأرسلوا إليه وفداً بقيادة البطريق يوسفيانوس لأعادة العلاقات إلى سابق عهدها بين الطرفين وإقناع المنذر بالعودة الى محله والتقى الطرفان في مدينة الرصافة[٢]، إذ تم الاتفاق على الصلح بين الطرفين وعودة المنذر الى بلاده ليقوم بالدفاع عن حدود الشام[٣].

وجدت الإمبراطورية البيزنطية إن من مصلحتها توثيق علاقتها مع المنذر فوجهت إليه الدعوة في سنة (٥٨٠م) لزيارة القسطنطينية فتوجه إليها في وفد رسمي استقبل في حفاوة بالغة وتكريم خاص وهدايا ثمينة قدمت له[٤]، وأطلق عليه لقب بطريق الذي كان يعد لقب سامياً جدا، حتى ان ملوك البرابرة كانوا يسعون الحصول عليه لأنه أعلى لقب يطلق على الطبقات الاجتماعية[٥].

إلا أن العلاقات ساءت من جديد بين الطرفين أذا ان المنذر شارك البيزنطيين في حملتهم العسكرية على قطيسون (المدائن) عاصمة الدولة الساسانية في العراق، الا

---

(١) الآسيوي، يوحنا، تاريخ الكنيسة، ترجمة: صلاح عبد العزيز محجوب، المركز القومي للترجمة، (القاهرة– د.ت)، ج٤، ص ٣٦١؛ رستم، الروم وسياستهم، ص ٢٠٣.

(٢) الرصافة: أرض في الشام ذكرت في أخبار ملوك غسان، ينظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٧.

(٣) علي، جواد، المفصل في تريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ١٠٣.

(٤) بيخوليفوليفسكا، نينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، المجلس الوطني للثقافة وفنون الأدب (الكويت ١٩٨٥م)، ص ٢٤٥.

(٥) نودلكة، أمراء غسان، ص ٣٤.

أن تلك الحملة فشلت ونشب خلاف بين المنذر وبين القائد البيزنطي موريكيوس،لذلك اتهم المنذر بالخيانة وانه سبب فشل الحملة، إذ أُلقي القبض على المنذر في منطقة حوارين وهي من قرى الشام أثناء حفل تدشين إحدى الكنائس إذ فرضت عليه الإقامة الجبرية[١].

رابعاً: (سفارة حسان بن ثابت على ملوك الغساسنة)

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، الخزرجي[٢]، يكنى أبو الوليد، الصحابي شاعر النبي محمد ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين عام في الإسلام،[٣] وكان من سكان المدينة المنورة، واشتهرت مدائحه في الغساسنة، وملوك الحيرة قبل الإسلام، وكان عندما يفد على الغساسنة يَفخر بالقرابة التي تربطه بهم كونه من يثرب[٤]، فُضّل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث صفات، فكان شاعر الخزرج في الجاهلية وشاعر النبي محمد ﷺ في الإسلام وشاعر اليمن بأكملها، وكان حسان قد قدم على جبلة بن أبي شمر الغساني، وكان يفد عليه سنة ويقيم في أهله سنة، وبعد موت جبلة صار حسان يفد على ابنه الحارث بن جبلة، وكان أبذل الناس إليه فمدحه بإحدى قصائده فأمر له بخمسمائة ديناراً وكساً وحملان[٥].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٢، ٣١٦.

(٢) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ،(ت٢٣٠هـ)،الطبقات الكبرى ،تح.علي محمد عمر ،ط١، مكتبة الخانجي ،(القاهرة،٢٠٠١م)،ج٤،ص٣٢٢؛الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ١٧٥.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٩٦.

(٤) نودلكة، ثيودور، أمراء غسان، ترجمة: بندلي جوزيف، قسطنطين، زريق، دار الوراق للنشر، (بيروت ٢٠٠٩م)، ص٧٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٢٧.

لم تكن وفادات حسان بن ثابت مقتصرة على بلاط الغساسنة، كما ذكرنا آنفاً، فوفَد الى بلاط المناذرة فمدح النعمان بقصيدة فأجازه وأكرمه، ويروي حسان: " فإني جالس عند المنذر ذات يوم فدخل النابغة فأنشده قصيدته التي على الباء، فأمر له بمائة بعير معها رعاؤها ومظالها، فلم إدرِ على ما أحسده؟ على جودة شعره أم على جزيل عطيته "(١).

ويتضح لنا من خلال جزيل العطاء المكانة السامية والأهمية الكبيرة للشعراء عند ملوك العرب في الجاهلية.

ويعد حسان سفيراً لقومه عند الغساسنة والمناذرة فسعى الى فك الأسرى، حين وفد على النعمان وكان أودع ثلاثة من أهل يثرب في السجن وهم أُبي بن كعب النجار، ونعمان بن مالك، ووافد بن عمرو الأطنابة من الخزرج، فأطلق سراحهم تقديراً لجهود حسان(٢).

نافس حسان بن ثابت شعراء عصره وسعى ملوك العرب الى كسب ودّه وإرضاءه، وفي إحدى سفاراته الى الحارث بن جبلة الغساني، طال انتظاره على باب الملك فقال للحاجب:" إئذن لي وإلاّ هجوت اليمن كلها، ثم انقلب عليكم"، فأذنَ له، وذلك أنّ الغساسنة من قبائل الأزد التي هاجرت من اليمن الى الشام، ودخل الحارث فوجد النابغة وعلقمة بن عبدة في مجلسه وأصّر على إلقاء قصيدته أمام الحاضرين فقال في مطلعها(٣):

---

(١) ابن قتيبة، الشر والشعراء ، ج١، ص ١٥٨.

(٢) البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المطبعة الرحمانية، (القاهرة– ١٩٢٩م)، ص ٣٧٧.

(٣) ديوان حسان بن ثابت، (ت: ٥٤هـ)، تحقيق: عبد مهنا، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٤م)، ص ١٨٢.

أسألتَ رَسْم الدارِ أم لم تسألِ   بين الجوابي[1] فالبضيع فحومِلَ

فالمرج مرجِ الصفرين فجاسمٍ   فديار سلمى دُرّساً لم تُحلَلِ

خامساً: (سفارة مالك بن عجلان الى الغساسنة)

هو مالك بن عجلان بن زيد السالمي الخزرجي[2]، سيد الأوس والخزرج في يثرب قبل الإسلام، اشتهر بقتله للفطيون اليهودي ملك يثرب حينها، حيث كان الفطيون رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الأوس والخزرج، فقتله مالك بن عجلان وفرّ الى الشام، وكان يومها أهل يثرب يعانون من ضيق العيش في المدينة، إذ كان اليهود يسيطرون على موارد المدينة[3]، فقام مالك بن عجلان بالوفادة على أبي جبيلة الغساني طالباً منه التدخل والمساعدة في الخلاص من اليهود، على يثرب، فلما قابل الملك اشتكى له أمر اليهود، وافق الملك على تقديم الدعم والمساعدة، وطلب منه أن يعود الى يثرب ويخبر قومه أنه سيفد عليهم، فلما عاد مالك بن عجلان أخبر قومه بأن الملك سيفد عليهم، فجاء الملك واستقبلوه استقبالاً مهيباً، فنزل الملك بمنطقة ذي حرص في يثرب ثم ذكر للأوس والخزرج الذي قدم من أجله خلاصهم من اليهود، فقاموا بقتل رؤساء ووجهاء اليهود[4]، حيث أرسل أبو جبيلة الى وجهاء اليهود فلم يبق أحد إلا أتاه، وكان قد بنى لهم مكاناً وجعل فيه قوماً فأمرهم أن

---

(١) قوله بين الجوابي يقصد جابية الجولان ما بين دمشق الى الأردن، والبضيع جبل اسود قصير في الشام، ومرج الصفرين موضع بغوطة دمشق وجاسم، قرية قرب دمشق. ينظر : ديوان حسان ، ص ١٨٣.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٦٣.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٥٩٧.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٧٨.

يقتلوا من دخل عليهم، ففعلوا حتى أتوا على وجهائهم ورؤسائهم ففرت الأوس والخزرج بالمدينة وملكوا الأموال والديار(١).

سادساً: (سفارة علقمة بن عبدة الى الغساسنة)

هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم(٢)، ويقال له أيضاً علقمة الفحل، وهو أحد شعراء الجاهلية وقيل أيضاً: " أن علقمة وشأس" من أبناء عبدة بن ناشرة(٣) وهو من الطبقة الأولى وكان معاصراً لأمرئ القيس وله معه مساجلات(٤).

وفد علقمة على الحارث بن جبلة الغساني بعد أن كان الحارث قد أسر سبعين رجلاً من بني تميم، وكان بينهم أخوة (شأس)(٥) فأتاه علقمة وسأله أن يطلق سراحه، ومدحه بقصيدة أولها(٦):

طحابك قلبٌ في الحسان طروب ... بعيد الشّباب عصْر حانَ مسيبُ

الى الحارث الوهاب أعلمت ناقتي ... لكلكلها(٧) والقُصر بين وجيبُ

---

(١) ابن زباله، محمد بن الحسن، (ت: ١٩٩هـ)، أخبار المدينة، تحقيق: صلاح عبد العزيز، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، (المدينة المنورة، ٢٠٠٣م)، ص ١٧٣.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص ٢٢٢.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٤٧.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٢١٦.

(٥) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت- ١٩٩٥م)، ج٤، ص ١٤٠.

(٦) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني، ت: ٤٥٦هـ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل(بيروت، ١٩٧٣م)، ص١٤.

(٧) كلكلها: الصدر أما بين الترقوتين، ديوان علقمة الفحل، شرح الأعلم الشمنتري، تحقيق: لطفي الصقال، درية الخطيب، دار الكتاب العربي، (بيروت- ١٩٦٩م)، ص ٥.

لتبلغني دار أمريء نائياً فقد قربتني من نداك قروبُ

وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمةٍ فحُق لشاسٍ من نداك ذنوبُ

وكان الحارث قد خيّرهُ بين الحباء وبين أن يطلق سراح أسارى قومه، فقال: " أيها الملك ما كنت لأختار على قومي شيئاً"، فأطلق سراح الأسرى وحباه وكساه وفعل ذلك بالأسرى كلهم وزودوهم بزاد كثير(١).

وهذا إن دلّ على شئ إنما يدل على قوة وشخصية هؤلاء السفراء لاسيما في إطلاق سراح الأسرى من أبناء قبائلهم.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٣٠.

المبحث الثاني: أشهر السفراء والوفود في بلاط مملكة كندة قبل الإسلام

كان للسفراء والوفود في مملكة كندة، دوراً مهماً وبارزاً، لا يقل أهمية عن سفراء ووفود مملكة الحيرة، حيث كانت لتلك السفارات العربية أغراضاً مختلفة منها، المصالحة وإطلاق سراح الأسرى، وكذلك للتهنئة والتعزية، وغيرها من الأمور المهمة الأخرى، وبالمقابل كان السفراء ينالون الإحترام والمعاملة الحسنة عند العرب، بغض النظر عن الحاجة التي جاءوا من أجلها أو لطلبها، وسنحاول ذكر أهم السفراء الذين وصلوا الى مملكة كندة للالتقاء بملوكها وهم كما يلي:

أولاً: سفارة الشاعر عبيد بن الأبرص:

هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي وهو من مضر[١]، ولقد لعب دوراً مهماً في إرجاع العديد من أسرى بني أسد، إذ إن ملك كندة حجر الكندي[٢]، كان في بني أسد، وكانت له عليهم أتاوه في كل سنة مؤقتة واستمر ذلك دهراً، ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يُجبيهم فمنعوه ذلك وحجر الكندي يومئذ بتهامة، وضربوا رسله ضرباً شديداً، فبلغ ذلك حجراً فسار إليهم بقواتِهِ[٣].

فأتاهم وأخذوا سادتهم ورؤسائهم، وجعل يضربهم بالعصا وأباح الأموال وحبس جماعة من أشرافهم، ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثاً، ودخلوا إليه يستعطفونه وفيهم:

---

(١) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، (ت: ١٧٠هـ)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة النهضة، (مصر– ١٩٨١م)، ص ٣٧٩.

(٢) حجر الكندي، هو حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن طندة بن عقير، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٤٢٧.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ١٠٠.

(عُبيد بن الأبرص)، فقام وقال: " أيها الملك، اسمع مقالتي، ثم تلا مقالته، بعد ذلك رقّ لهم حجر الكندي عند سماعه قوله، وأرسل من يردهم معززين مكرمين(١).

ويبدو أن ملوك كندة، لاسيما حجر قد أُعجبت بكلام عبيد بن الأبرص، السفير والشاعر، الذي أسن مقالته في تلك البلاط، مما أدى به أن يطلق سراح أسراه من أقرباء عُبيد بن الأبرص.

ثانياً: سفارة سدوس بن شيبان:

هو سدوس بن ذُهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي، وهو من ربيعة(٢)، ومن بكر بن وائل، جد جاهلي نسبة إليه(٣)، وكانوا أرداف(نواب) ملوك كندة بني آكل المرار(٤)، وكان له عشرة من الولد منهم، الحارث بن سدوس(٥)، إذ يذكر إنه عندما أغار زياد بن الهبولة(٦)، ملك الشام، على حجر بن عمرو الكندي ملك العرب بنجد.

---

(١) ابن سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج١، ص ٢٤٧؛ شمس الدين، أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٩٢-٩٣؛ اولند، جونار، ملوك كندة من بني آكل المرار، ترجمة: عبد الجبار المطلبي، دار الحرية للطباعة، (بغداد- ١٩٧٢م)، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٣٥.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٨٠.

(٤) كحالة، عمر، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دار العلم للملاين، (بيروت- ١٩٦٨م)، ج٢، ص ٥٠٦.

(٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت: ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، (القاهرة- د.ت)، ص ٩٩.

(٦) زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سُليح القضاعي، ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص ٣٨٢.

كان حجر قد أغار في كندة وربيعة على البحرين فبلغ زياداً، خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة فأخذ الحريم والأموال، فبلغ حجراً ما حصل، فأرسل سدوس بن شيبان بن ذهل، وصُليع بن عبد غنم[1]، يتجسسان له الخير، ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتى هجما على عسكرة ليلاً فنهباه، وقد قسّم الغنيمة وجيء بالشمع، فأطعم الناس تمراً وسمناً، فلما أكل الناس نادى: من جاء بحزمة حطب فله قدره تمراً، فجاء سدوس بن شيبان، وصليع بن عبد غنم، بحزمة حطب وأخذ قدرين من تمر، وجلسا قريباً من قبته[2].

ثم إنَّ صُليع انصرف الى حجر، فأخبره بعسكر زياد بن الهبولة وأراه التمر، أما سدوس بن شيبان فقال لا أبرح حتى أئتيه، بأمر جلي، وجلس مع القوم يسمّع ما يقولون، وهند امرأة حجر خلف زياد، فقالت لزياد: إنَّ هذا التمر أُهدي الى حجر من هجر، والسمن من دومة الجندل[3]، ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له، وقال له: من أنت مخافةً أن استنكره الرجل، فقال: انا فلان بن فلان، ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه، وذلك كله يسمعه سدوس، فسار حتى أتى حجراً فلما دخل عليه قال[4]:

أتاك المرجفون بأمر غيبٍ ... على دهشٍ وجئتك باليقين

فمن يكُ قد أتاك بأمر لبسٍ ... فقد أتى بأمرٍ مستبينِ

---

(١) صليع بن غنم: هو رجل من بني شيبان، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٦٠٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠٦-٥٠٨؛ شمس الدين، مجموع العري في الجاهلية والإسلام، ص ١٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠٨.

(٤) القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٣٨٢.

ثم قصّ عليه ما سمع، فجعل حجر يبعث بالمرار ويأكل منه غضباً، وأسفا ولا يشعر انه يأكله من شدة الغضب، فلما فرغ سدوس من حديثه أمر حجر فنودي في الناس وركب، وسار الى زياد بن الهبولة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه، فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيرا[١].

فلما رآه عمر بن أبي ربيعة[٢]، حسده فطعن زياداً فقتله فغضب سدوس، وقال قتلت أسيري وديته دية ملك، وهذا دليلاً واضحاً على أن العرب لن يسلموا أسيرهم بسهولة، فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله[٣]، وأخذ حجر زوجته هنداً فربطها في فرسين ثم ركضها حتى قطعاها، ويقال أحرقها، ثم عاد الى الحيرة، وسميت هذه الغزوة بيوم البردان[٤].

نرى هنا أن لهذين الشخصين اثر في إنتصار الملك في هذه الحرب، لاسيما سدوس بن شيبان، حينما استطاع اختراق معسكر الأعداء، والتجسس عليه ونقل الأخبار الى الملك والذي مكنه من إحراز الانتصار عليهم، فهنا تكمن مهمة السفير بالتجسسية التي هي من مهمات السفير أيضاً، وهذا ما فعله سدوس بن شيبان فعلاً.

---

(١) شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٦.

(٢) عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل، من عدنان، كان يُعرف بالمزدلف؛ ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٥٠٩.

ثالثاً: (وفد بني أسد الى مملكة كندة)

قدم على امرؤ القيس بن حجر[1] الملك الكندي، بعد مقتل أبيه وفود رجال من قبائل بني أسد، وفيهم قبيصة بن نعيم، يسالونه العفو عن دم أبيه، فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم إلا في الثأر، فلما نظروا عليه قاموا له، وبدر إليه قبيصة[2]، فقال له: " إنك في المحل، والقدر من المعرفة بتصرف الدهر، وما تحدثه أيامه، وتنتقل به أحواله، بحيث لا تحتاج لا تذكير من واعظ، ولا تبصير من مُجرّب، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب، محتد يحتما ما حمل عليه من إقالة العثرة، ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم إلى غاية، إلا رجعت إليك فوَخَدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم وكرم الصفح[3]، ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل، الذي عمّت رزيته نزاراً، واليمن ولم تخصص بذلك كندة، دوننا للشرف البارع الذي كان لحجر، ولو كان يغدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه، ولا يلحق أقصاه أدناه"[4].

---

(١) حجر بن الحارث الملك المذكور والد امرؤ القيس الشاعر، كان ملكاً على بني كنانة وبني أسد فقتله بنو أسد، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) القلقشندي، صبح ألأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص ٢٢٨.

(٣) صفوت، أمد زكي، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، (بيروت– د.ت)، ج١، ص ٣٤.

(٤) ضياء الدبن بن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، (ت: ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، (بيروت– ١٩٩٥م)، ج١، ص ١٧٤.

ثم أخذ قبيصة يسهب في الكلام فقال: " فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في احدى خلال ثلاث، إما ان اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً فقُناه عليك بنسعة، تذهب مع شفرات سامك، بباقي قصرته فنقول: رجل امتحن بهالك عزيز، فلم يستل سخيمته إلا تمكينه من الانتقام أو فداء، بما يروح على بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحسبة، فكان ذلك فداء رجعت به القض الى أجفانها، لم يرددها تسليط الأحسن على البراء، وأما أن وادعتنا الى أن تشع الحوامل، فتسدل الأزر، وتعقد الخمر فوق الرايات"[1].

عند ذلك بكى الملك الكندي امرؤ القيس بن حجر، ثم رفع رأسه فقال: إن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة وأنه لابد من أخذ ثأره، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة، فيهجم عليهم[2] ثم قال لهم:

إذا جالت الحرب في مأزقٍ تصافح فيه المنايا النفوس

ثم قال لهم: " أتقيمون أو تنصرفون، قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجتراز بمكروه وأذية وحرب وبلية"[3]، ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل بالقول:

لعلك إن تستوخم الموت إن غدت كتائبنا في مأزق الموت تمطرُ

ويرد عليه امرؤ القيس: لا والله لا استوخمته، فرويداً ينكشف لك دُجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير، ثم يستدرك بأدب المضيف ونُبل الملك، قائلاً: ولقد كان ذكر هذا أولى بي إذ كنت نازلاً بربعي، ولكنك قلت فأجبت، فقال: قبيصة وهو واثق

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص ٢٢٨.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٣٦٥.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ)، مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة- ١٩٦٥م)، ج١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

من حصانته مطمئن على نفسه في ديار مضيفه وخصمه: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة، والأعتاب، فقال الملك: امرؤ القيس الكندي: فهو ذاك[١]، لعل المسلك الذي سلكه امرؤ القيس، ومقالته لرجال بني أسد، إشارة بيّنة الى ما يلقاه السفراء من كرم المعاملة، وما يتمتعون به من حصانة الكرامة وحماية الأرواح[٢].

وعلى الرغم مما بذله السفراء من بني أسد، لاسيما قبيصة بن نعيم وإخوانه من جهود في سبيل حقن دماء القبائل، إلا أنهم فشلوا في مسعاهم الذي سعوا من أجله، ولكن برغم ذلك لاقوا استحساناً، واحتراماً من قبل ملوك كندة أنفسهم، فالسفير يتمتع بمكانة خاصة عنده.

رابعاً: دور المرأة في السفارة والوفادة في مملكة كندة

حظيت المرأة العربية قبل الإسلام بدور ايجابي في الوفادات والسفارات، لاسيما اللائي يمتلكن الجرأة والشجاعة وحسن التدبير، وقوة الشخصية، فمثلما أجاد الرجال عملهم كسفراء أو وفداء، فإن المرأة العربية قد شغلت هذا المنصب أيضاً، فهنالك رواية قد أشارت الى ذلك، إذ ذكرت تلك الرواية التاريخية التالية: " إن امرأة من كندة يقال لها (عُصّية)[٣] قد عملت كمبعوثة كما ورد، وكان سبب ذلك أن ابناً لمعاوية بن عمرو[٤]،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٢٢٩.

(٢) الحسين، قصي، من معالم الحضارة العربية الإسلامية، ط١، مؤسسة الجامعة، (بيروت-١٩٩٣م)، ص ١٨١.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٣٤٧.

(٤) معاوية بن عمرو بن الجود بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية، كان علي تميم يوم جبلة، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٤٢٨.

قد حجّ ففُقد، فأُتُّهم به رجل من بني أسد، يقال له (حَبّال بن نصر بن غاضرة)، فأخبرهم بذلك الحارث الكندي[1]،

فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج، وبنو أسد بها، فطلبهم فهربوا منه فأمر منادياً ينادي: : من آوى أسدياً فدمه مهدور"، فقاتل : بنو أسد: إنما قتل صاحبهم (حبال بن نصر) وغاضرة منهم من السكون، فانطلِقوا بنا حتى نخبره، فإن قتَلَ الرجل فهم منهم، وإن عفا فهو أعلم، فخرجوا بحبال عليه فقالوا: قد أتيناك بطلبك، فأخبرهم حبال بمقالتهم، فعفا عنه، وأمر بقتلهم، عند ذلك قالت له: امرأة من كندة من بني وهب بن الحارث يقال لها (عُصَيّة) وأخوالها من بني أسد: " أبيت اللعن: هبهم لي فإنهم أخوالي، قال: هم لكِ، فاعتقيهم فقالوا: أنا لا نأمن الملك، فأعطى كل واحد منهم عصا، وبنو أسد يومئذٍ قليل، فاقبلوا الى تهامة ومع كل رجل منهم عصا، فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحارث، فأخرجتهم بنو كنانة من مكة، وسموا " عبيد العصا"، أعتقتهم وبالعصى التي أخذوها، وقد هجتهم العرب بذلك"[2].

يتضح مما تقدم ذكره، أنَّ المرأة العربية قبل الإسلام قد أجادت هي الأخرى مهمة السفارة والوفادة، فكان لها تأثير واضح حتى على قرار ملك كندة نفسه، عندما أطلق سراح السجناء لديه، ومهمة السفارة والوفادة قد لا تجيدها كل امرأة عربية قبل الإسلام، إلا من تتوفر فيها مواصفات واضحة.

---

(١) الحارث بن عمرو المقصود وهو ابن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن طندة، بن عقير، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٤٢٧.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ١٩؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر جار الله، (ت: ٥٨٣هـ)، المستقصي في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت– ١٩٨٧م)، ج٢، ص ٣٨٩.

خامساً: وفود الروم البيزنطيين الى مملكة كندة:

أدت مملكة كندة دوراً هاماً في الجزيرة العربية قبل الإسلام، بوصفها مملكة لها مصالحها الخاصة، سواء أكان ذلك داخل الجزيرة العربية، أم على الحدود الرومانية البيزنطية، ولقد أشارت الروايات التاريخية العربية الى العمليات العسكرية، التي كانت بين الطرفين، فعندما قام الملك الحارث بن عمرو الكندي، بتجهيز حملتين عسكريتين تولى إحداهما ابنه حجر، والأخرى تولاها معد يكرب(١)، إذ تمكن القائد البيزنطي رومانوس(٢) من دحر زعيمين عربيين، أحدهما ابي الحارث بن جبلة، وأُسر حجر، وقيل الحارث، وبعد أربع سنين قام أخو حجر وهو معد يكرب بشن هجوم على فلسطين حيث استطاعت هذه الحملة من تحقيق غاياتها(٣)، ومن نتائج هذه الغارات أن القيصر (انسطاسيوس)، قد أرسل وفداً لمفاوضة ملك كندة في عقد الصلح، وكان على رأس هذا الوفد جد الإمبراطور (نونوس)(٤).

عند ذلك عقد الامبراطور الروماني مع الزعيم العربي الحارث معاهدة تنص على أن يترك آل كندة مهاجمة الشام، وأن يتعاونوا مع الروم على قتال الفرس، والمناذرة وهكذا أقام الروم بمساعدة الحارث بالهجوم على الحيرة، واستولوا على

---

(١) الجبوري، مربد صالح ضامن، كندة ودورها السياسي والاقتصادي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م، ص ٤٥.

(٢) رومانوس: وهو حاكم فلسطين، عُين من قبل أنسطاسيوس؛ ينظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٣٤٩.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٣، ص ٣٥٠.

(٤) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية– د.ت)، ص ٦١٠.

قافلة[١]، وهذا دليلاً واضحاً على أن مملكة كندة كانت تتمتع بقوة واضحة مما دفع الرومان لمفاوضتها ومهادنتها وطلب رضاها.

سادساً: سفارة امرؤ القيس الكندي الى قيصر الروم جستنيان:

لما قتل بنو أسد حجر بن الحارث أحد ملوك كندة ووالد امرؤ القيس خرج الإبن يطلب النصرة على بني أسد فوفد الى قيصر الروم يستنصره[٢]، فاستقبله القيصر وأكرمه ونادمه واستمده فوعده بالدعم، وفيه يقول امرؤ القيس[٣]:

ونادمت قيصر في ملكه　　　فأوجهني وركبت البريدا

إذا ما ازدحمنا على سكةٍ　　　سبقت الفرانق سبقاً بعيدا

إن تقديم الدعم العسكري والمساندة لامرئ القيس لم تكن من دون اتفاقات سابق أوانها، فقد جمعت بين ملوك كندة وقياصرة الروم علاقات سياسية واتفاقات بين الطرفين وجمعت بينهم سفارات متبادلة[٤]، ومنها سفارة القيصر يوستيانوس بقيادة ابنه أبراهام ليعقد حلفاً مع القيس بن الحارث أحد ملوك كندة واتفق الطرفان على التحالف وأخذ ابنه معاوية الى القسطنطينية كرهينة على وفائه[٥].

---

(١) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ٦١٠-٦١١.

(٢) المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة- الإسكندرية)، ج٣، ص٢٠٢.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ١٢١.

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٤٠.

(٥) صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة- ٢٠١٠م)، ص ١٦٨.

سابعاً: سفارة الحارث بن عمرو الكندي الى قباذ:

يعد الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، آخر ملوك كندة الأقوياء، وقد استغل الخلاف الذي حصل بين قباذ (٤٨٨-٥٣١م) الملك الساساني والمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، بسبب رفض الأخير إتباع المزدكية[١]، فوفد الحارث على قباذ في محاولة منه للاستحواذ على ملك المنذر، وإقامة علاقات سياسية مع الفرس، واتفق الطرفان على تحالف سياسي بين الطرفين على أن يتبع لحارث الديانة المزدكية، وفي المقابل يتولى الحارث بن حجر ملك المناذرة، على أن لا يتعدى العرب الفرات[٢]، رأى الحارث ضعف قباذ فاستغل الأمر للحصول على المزيد من الامتيازات، فقام بتحريض العرب على التجاوز الى ما بعد الفرات فأطلق يد العرب في نواحي السواد، فبعث قباذ الى الحارث فوفد إليه مرة ثانية، وقال له قباذ: " لقد صنعت صنعاً ما صنعه أحد قبلك"[٣]، فتعذر الحارث بعدم علمه بالأمر بغارات العرب وطالب بالمزيد من المال والجنود، فأمر له من جانب الفرات بستة طساسيج[٤].

---

(١) المزدكية: ديانة ايرانية قديمة، تُنسب الى مزدك بن همادن، وكان موبذان والموبذان: أي القاضي أو قاضي القضاة في عهد قباذ بن فيروز (٤٨٨-٥٣١م)، البيروني، محمد أحمد الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، (برلين- ١٨٧٨م)، ص ٢٠٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٥٥٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٩٦.

(٤) الطسوج: الناحية من الأرض، الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص ٨٦.

لم يستمر كثيراً للحارث بن عمرو الكندي فبعد موت قباذ صار الأمر لكسرى أنوشروان، وكان كارهاً للمزدكية، فأعاد المنذر وقام بطرد الحارث من أرض العراق[1].

ويبدو أن الاتفاقيات السابقة هي التي دفعت امرؤ القيس للتوجه الى الروم لطلب الدعم العسكري، في مواجهة بني أسد، فليس من المعقول أن يرسل قيصر الروم قوات من جنوده دون الحصول على امتيازات من خلال مد نفوذه الى جزيرة العرب لقاء تلك المساعدة العسكرية، وكاد امرؤ القيس الكندي أن ينجح في مسعاه لولا الوشاية التي قام بها الطماح بن قيس الأسدي الذي كان يريد الثأر لمقتل أبيه على يد حجر بن عمرو الكندي والد امرؤ القيس، فأخبر قيصر الروم بعلاقة امرؤ القيس بابنته، الأمر الذي أغضب القيصر فبعث رسولاً الى امرؤ القيس ومعه حلة مسمومة، فلبسها في يوم شديد الحر فتناثر لحمه وتفطر جلده ومات على أثرها[2].

---

(١) الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض، تحقيق: أصفر عباد الله الصمد، مطبعة مظهر العجائب، (الهند– ١٨٧٢م)، ص ١٩٤.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ١١٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، ص ١٩٣.

المبحث الثالث: أشهر حروب العرب وأيامهم ووفود الصلح فيها

إنَّ الطبيعة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية كانت لها أثراً كبيراً على نمط حياة العرب، لاسيما في وسط الجزيرة العربية العربية، فقد كانت قسوة الطبيعة وصعوبة المواصلات بين أرجائها قد أدى الى تفشي البداوة بينهم والتي كان لها بالغ الأثر على عدم قيام دولة أو نظام سياسي يعمل على توحيد تلك القبائل[١]، ويعزو ابن خلدون[٢] إن سبب عدم قيام دولة هو :" أنَّهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم إنقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبُعد الهمة والمنافسة فقلما تجتمع أهوائهم"، فإن العرب بنظره: " إنهم أكثر بداوة من سائر الأمم وابعد مجالاً في القفز وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها لإعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم فصعب إنقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك التوحش"[٣].

وعلى الرغم من وجود العديد من الممالك العربية قبل الإسلام التي كانت تمتلك جيش منظم في الوقت نفسه، كانت هناك قبائل بقت متنقلة، ولم تخضع لسلطات الممالك، فكانت عبارة عن قبائل متفرقة ومتناثرة في أرجاء شبه الجزيرة العربية، وقد أدى هذا التفرق الى الصراع بين القبائل في أكثر الأحيان، واتخذوا الغزو وسيلة لاستمرار عيشهم حتى أصبح لديهم ما يشبه الكتائب الحربية، فكل قبيلة

---

(١) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة المعارف، (بغداد– ١٩٤٩م)، ص ٣٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج١، ص ١٨٩.

(٣) ابن خلدون ، العبر، ج١، ص ١٨٩.

كانت مستعدة دائماً للحرب والإغارة وكانت الشجاعة بنظرهم هي المثل الأعلى، فقد كانوا يفتخرون ببطولاتهم وحتى بعدد القتلى في الحروب[1].

وكانت الخيول العنصر الحاسم في الحروب وميزان النصر أو الهزيمة، وقد عدّ بعض الباحثين أن دخول الخيل للعرب واستخدامها في الحروب قد أحدث تطوراً خطيراً في أسلوب القتال عندهم، فقد أصبحت عاملاً مهماً من العوامل التي أدت الى انتشار الغزو وكثرة الحروب بين القبائل[2]، فقد كان العربي لا يستغني عن فرسه في ساحات القتال، فكان يعتلي فرسه وبيده سيفه ورمحه ويخوض ساحات المعارك حتى أن الفرس اختبرت كفاءة الفرسان من الذين لا يجيدون الفروسية، وبهذا ضرب المثل (الخيل أعرف بفرسانها)[3].

أولاً: حرب البسوس[4]:

تعد من أيام العرب المشهورة، وقعت بين تغلب وبكر، ولم تكن حرباً واحدة وإنما كانت حروب عدة وقعت في أوقات متقطعة، وكانت لبني تغلب شهرة وكثرة

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ط١١، دار المعارف، (القاهرة– ١٩٦٠م)، ج١، ص٦١.

(٢) علي ، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠، ص ٦٦.

(٣) العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص ٤١٨.

(٤) البسوس: هي بنت منقذ التميمية شاعرة جاهلية يضرب المثل بشؤمها وهي خالة جساس بن مرة الشيباني وكانت لها (ولجارها الجرمي) ناقة اسمها سراب، والبسوس هي الناقة التي كانت ترعى في أرض كليب، وكان يضرب بها المثل ويقال (أشأم من سراب)؛ الفراهيدي، العين، ج٧، ص ٢٠٥؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٥١؛ يشير، يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، (بيروت– ١٩٣٤م)، ص ٣٦.

وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتية تعرف بديار ربيعة، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورتهم بلاد الروم[١]،

وكان رئيسهم وائل بن ربيعة الملقب[٢] بـ (كليب)[٣]، الذي قاد معد يوم خزار[٤]، وذكر ابن الكلبي إن معد لم تجتمع الاّ على ثلاث من رؤسائها العرب، الأول عامر بن الضرب بن عمر بن بكر، الذي قادهم يوم البيداء[٥]، والثاني هو ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جثم الذي قاد معد يوم السلان[٦]، أما الثالث هو كليب بن ربيعة[٧].

---

(١) ابن خلدون، العرب، ج٢، ص ٣٦٠.

(٢) وائل بن ربيعة: بن الحارث بن زهير بن جشم الثعلبي الوائلي، كان يلقب بـ (كليب) لأنه عندما يسير يأخذ معه جرو كلب، وعندما يمر بروضة أو موضع يعجبه يضربه ويقلبه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي فيتجنبه الناس، لهذا لقب كليب بن وائل، ثم اختصره بـ(كليب)، سيد بكر وتغلب من الرجال الشجعان، وهو أحد الذين تشبهوا بالملوك في امتداد السلطة ضرب به المثل فيقال: أعز من كليب بن وائل؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٣٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٣.

(٤) يوم خزار: من مواقع العرب المشهورة وسوف أذكرها مصلاً فيما بعد.

(٥) يوم البيداء: وكانت بين ربيعة واليمن، وانتصرت فيها اليمن، جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٤٤.

(٦) يوم السلان: كان بين مضر وربيعة وقضاعة الى أهل اليمن، ينظر: النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١٥، ص ٣٩٧.

(٧) ابن الكلبي ، أبو المنذر هاشم بن محمد بن السائب ، (ت٢٠٤هـ) ،الأيام، تحقيق: أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (أبو ظبي-٢٠٠٨م)، ص ٨٥.

وكانت سبب هذه الحرب أن وائل بن ربيعة (كليب) عندما اجتمعت كل قبائل معد تحت رايته، دخله زهو شديد حتى طغى على قومه، فقد أصبح يأخذ الأتاوات من القبائل ويأخذ الأراضي الخصبة ذات المياه الغزيرة[1].

وأخذ كليب قطعة من الأراضي (حمى) وحرم الناس منها إذ كان يقول: " وحتى أرض كذا وكذا في جواري، فلا يعاد ولا ترد إبل مع إبله ولا توقد نار مع ناره"[2]، وكان وائل بن ربيعة متزوج من بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي أخت جساس بن مرة[3]، وكان هنالك رجل اسمه سعد بن شمس بن طوق الجرمي، نزل عند البسوس بنت منقذ التيمية، وهي خالة جساس بن مرة وكان لهذا الجرمي ناقة اسمها سراب[4]، ويذكر ابن الأثير: " فخرج كُليب يوماً يتعهد الإبل ومراعيها فأتاها وتردد فيها وكانت إبله وابل جساس مختلطة، فنظر كليب الى سراب فأنكرها، فقال له جساس وهو معه: هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال: لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى، فقال جساس: لا ترعى مرعى إلا وهذه معها، فقال كليب: لئن عادت لأضمن سهمي في ظرعها، فقال جساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعنّ سنان رُمحي في لَبّتك ثم تفرقا، وقال كليب لامرأته: أترين أن في العرب رجلاً مانعاً مني جاره؟ فقالت: لا أعلمه إلا جساساً، فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله أن لا يقطع رَحمه، وكانت تنهي أخاها جساساً أن يُسرح

---

(١) ابن الكلبي، الأيام، ص ٨٦ أبو الفدا، المختصر، ص ٧٧؛ ابن آيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، (ت: ٧٣٦هـ)، كنز الدر وجامع الغرر (الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة)، تحقيق: ادوارد بدين، المعهد الألماني للآثار، (بيروت– ١٩٩٤م)، ج٢،ص ٣٦٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٦٩؛ النويري، نهاية الإرب، ج١٥، ص ٣٩٦.

(٣) جساس: بن مرة بن ذهب بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن وائل بن قاسط رجل شجاع٠ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص ٣٦٠.

إبله، ثم إن كُليباً خرج الى الحمى، وجعل يتصفح الإبل، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه، فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها صرخ بالذل، وسمعت البسوس صراخ جارها، فخرجت إليه فلما رأت ما بناقته وضعت يده على رأسها ثم صاحت وأذلاه! وجساس يراها ويسمع فخرج إليها فقال لها: اسكتي ولا تُرعي وسكن الجرمي، وقال لها: إني سأُقتل جملاً أعظم من هذه الناقة، سأقتل غلالاً وكان غلالٌ فحلُ إبل كليب لم يُرَ في زمانه مثله، وإنما أراد جساس بمقالته كُليباً"[١].

وخرج كليب في يوم امن من دياره وابتعد، وركب جساس فرسه ولحق به وكان معه ابن عمه عمر بن الحارث، حتى دخلا على كليب الحمى فطعنه جساس ثم طعنه عمر بن الحارث وعندما وقع كليب طلب من جساس أن يطعمه ماء، إلا أن جساس رفض وترك كليب حتى مات[٢].

وعلى أثر مقتل كليب بن وائل بدأت الحرب بين بكر وتغلب واستمرت أربعون سنة، وبدأت هذه الحرب في أوقات متقطعة أشعل نارها مهلهل، أخو كليب للأخذ بثأر أخيه من بكر (قوم جساس)، وقد وقعت بينهم خمسة أيام، والأولى قد اختلف عليها المؤرخون فبعض المصادر ذكرت أن أولها هو يوم عنيزة، كان رئيس شيبان من بكر بكر الحارث بن مرة، ورئيس تغلب المهلهل وقد تكافئ فيه الطرفان[٣]،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٨٠

(٢) الكلبي، الأيام، ص ٨٧-٨٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٩؛ ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، (ت: ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (مصر- د.ت)، ص ٧٧.

والبعض ذكر يوم النهى هو أول أيامهم والنهي هو ماء كانت لبني شيبان نازله عليه وبدأ القتال بينهم ولكن لم يقتل أحد من بني مرة(١).

ثم التقوا يوم واردات فظفرت تغلب أيضاً(٢)، ثم التقوا عند الذئاب وكانت أكبر وقعة بينهم ونشب القتال انتصر فيها المهلهل وبنو تغلب وقتل من بكر مقتل كبيرة وقتل من بني شيبان شراحيل بن همام بن مرة ابن أخ جساس وقتل أيضاً الحارث بن مرة أخو جساس(٣)، وبعدها حصلت وقائع كثيرة كانت تغلب قد انتصرت فيها على بكر منها يوم (حنو) وعويضات ويوم أنيق ويوم ضربه ويوم القصيبات(٤).

وعندما اشتد الطلب على جساس قال له أبيه الحق بأخوالك في الشام فألح عليه وذهب جساس برفقة خمسة أشخاص ولما سمع المهلهل أرسل له عدداً من أصحابه يقتلوا جساس، وعندما لحقوا به قتلهم جساس ولم يبق إلا إثنان منهم ولكن جساس قد جرح جرحاً شديداً مات على أثره(٥).

وبعد مقتل جساس طلب أبيه من المهلهل أن يوقف الحرب لأنه قد قتل جساساً وأخذ بثأر أخيه إلا إن المهلهل لم يتوقف عن القتال، فالتقى يوم قضة وكان على بكر الحارث بن عباد وسمي هذا اليوم تحلاق اللمم لأن بكر قد حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعض، وقد تمكن الحارث بن عباد من أسر المهلهل في هذا اليوم وهو لا يعرفه فقال له: دلني على عدي (أي المهلهل)، وأنا أعطيك الأمان فقال له

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٧١؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١٥، ص٤٠٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٨٠.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج١، ص ٧٧.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٧٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٨٣.

المهلهل: أنا عدي فجز ناصيته وتركه، ثم لم يكن بعد ذلك أيام قد وقعت بينهم وتوقفت الحرب بعد أن ذهب المهلهل الى اليمن لكي لا تشتعل نار الحرب مجدداً(١).

(سفراء ووفود الصلح في حرب البسوس)

حينما قتل جساس كليباً بعث المهلهل أخو كليب الى مرة بن ذهل بن شيبان والد جساس، وسيد قومه وفداً للتفاوض في أمر جساس، وحدد الوفد مطالبه للأخذ بثأر كليب، فقالوا لمرة بن ذهل: إما أن تأتي لنا كليباً أو تدفع إلينا جساساً فنقتله به، أو تدفع أخاه هماماً، فإنه كفء له أو تمكننا من نفسك فإن فيك وفاء لدمه(٢).

عرض ذهل بن شيبان على وفد بني تغلب الف ناقة تضمنها بكر بن وائل مقابل دم كليب، ولأن كليباً كان سيد قومه رفض الوفد العرض المقدم وقالوا: نأتك لترذل لنا أولادك لا لتسومنا اللبن، فانصرفوا ووقعت الحرب بين الطرفين(٣).

ومن جميل ما أفرزته هذه المساجلة الحربية ليوم البسوس هو المثل السائر: لا ناقة لي فيها ولا جمل، إذ أدرك أحد البكريين وهو (الحارث بن عباد) أن اعتزاله الحرب هو أفضل الطرق للنجاة بنفسه ولمن حوله من الرجال فذهب ذلك مثلاً(٤).

ثم تولى عمرو بن هند ملك الحيرة سفارة الصلح بين المتخاصمين بعد أن احتكم فريقاً الحرب إليه، إذ أخذ رهناً من كل قبيلة مائة رجل ليكف بعضهم عن بعض فكانوا يغزون معه ويسيرون في مسيرة، وكان قد اشترط عليهم أن أي رجل

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٤٨٤؛ النويري، نهاية الإرب، ج١٥، ص ٤٠٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤١٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ٢٧.

(٤) الضبي، المفضل بن محمد، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط٣، (بيروت- ١٩٨٣م)، ص ١٣١.

قتل في دار قوم فهم ضامنون لدمه، ثم أخذ من الحيين أشرافهم وبعثهم الى مكة ليعاهدوا على الصلح[1].

إن إرسالهم الى مكة يؤكد مكانة مكة عند العرب كونها القبلة الأولى لوفودهم، فشرط بعضهم على بعض وتواثقوا على أن لا يُبقي أحد منهم لصاحبه غائلة ولا يطلبه بشئ مما كان من الدماء، إلا أن بعض الرهائن التغلبيين الذين كانوا عند عمرو بن هند ماتوا بسبب شدة الحر فطلبوا دياتهم الأمر الذي رفضه البكريون مما أدى الى عودة الصراع بين الخصمين[2].

كان سفراء العرب يريدون إنهاء ذلك الصراع بأي ثمن حتى إذا كلفهم ذلك أرواح أبنائهم أو دفع أموالهم، إذ قام الأسلع بن زيد بن عبس، فوفد على بني ذبيان ورهن ثلاثة من أولاده وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا وتركهم عند سبيع بن عمرو، فلما مات سبيع تولى ابنه مسؤوليتهم وكان يريد أن يردهم الى قومهم، إلا أنّ خاله حذيفة غدر بهم فقتلهم لتعود الحرب للإشتعال مرةً أخرى[3].

ثم سفرت السفراء بينهم بعد أن قلّت الرجال وهلكت المواشي فأرسل بنو عبس وفداً الى الحارث بن عوف المري وهرم بن سنان وذكروا حاجتهم للصلح، فتعهدا بدفع ديات القتلى وإنهاء القتال، ونشرا السلام في غطفان لينهوا صراعاً مريراً استمر أربعين سنة[4].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٢٩-٣٠.

(٢) الأصبهاني، الأغاني، ج١٧، ص ١٤٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ١٤٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٦٢.

فامتدح زهير بن أبي سلمى فعلهما بقوله[١]:

يميناً لنعم السيدان وجدتُهما   على كل حالٍ من سحيل ومُبرَمِ

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما   تفانوا ودَقّوا بينهم عِطرَ منشَمِ

ثانياً: داحس والغبراء:

شهدت العرب حرباً طاحنة، وهي من أيام العرب المشهورة قد حدثت بين عبس وذبيان المتفرعتان من غطفان، كان سبب هذه الحرب هو أن كل من قيس بن زهير[٢] وحذيفة بن بدر[٣] تراهنا على سباق خيل[٤]، وكان لقيس فرسان هما داحس والغبراء[٥]، أما حذيفة فكانت له (فرزلاً) أو الخطار والحنفاء، اتفقوا على جعل

---

(١) ديوان زهير بن ابي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٨م)، ص ١٠٥.

(٢) قيس بن زهير، بن جذيمة بن رواحة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان شريفاً حازماً وذا رأي وكانت عبس تصدره في حروبها .ينظر :ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٥، ص٤١٧.

(٣) حذيفة بن بدر: بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان.ينظر: الكندي، أبو عمر بن يوسف بن يعقوب، (ت: ٣٥٠هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، يحقيق: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٢م)، ص ٢٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٠٩.

(٥) الأعرابي، الحسن بن أحمد بن محمد، (ت: ٤٣٠هـ)، أسماء خيل العرب وأنسابها وفرسانه، تحقيق: محمد علي سلطاني، دار العصماء، (دمشق- ٢٠٠٧م)، ص ١٢٩.

الميدان مائة غلوة[١]، في موضع (ذات الأصاد)[٢]، ويكون الرهان مائة بعير[٣]، وسبق داحس والناس وكانوا ينظرون إليه، عندما رأى ذلك حذيفة أدرك أن أفراسه لن تسبق، فأقام رجل من بني أسد وأمره أن يقوم بإلقاء داحس في وادي ذات الأصاد، وبالفعل فعل الأسدي ما أمر به حذيفة وفاتته الخيل،

أما الغبراء فقد خالف الطريق وأبطأ حتى اجتمع بأفراس حذيفة، ثم سقطت الحنفاء وبقي الخطار والغبراء، وفي نهاية السباق تقدم الخطار على الغبراء[٤]، وادعى حذيفة السباق، فرحل عنهم قيس وبعد مدة من الزمن أغار عليهم وقتل (عوف بن بدر) أخ حذيفة، ودفع قيس لحذيفة مائة ناقة كانت كلها عشراء، وعندما خرج أخ قيس يدعى مالك بن زهير قام حمل بن بدر وقتله، فعندما أرسل قيس الى حذيفة أن يقوم بإرجاع الإبل فقد قتل (مالك بن زهير) بعوف بن بدر، وكانت الإبل قد ولدت عند حذيفة فقام بإرجاعها الى قيس دون أولادها، ولكن قيس رفض ذلك فكان يريد أن تُرد الإبل هي وأولادها، وعلى أثر ذلك وقعت الحرب بينهم[٥].

وكان بين الربيع بن زياد خلاف مع قيس على درع اغتصبها الربيع منه، ولما كان للربيع عداء مع بني بدر، وعندما قتل مالك أخو قيس قد عطف الربيع على

---

(١) غلوة: هي الغاية في رمية السهم أبعد ما يكون، ويقال أنها تتراوح بين الثلاث مائة الى الأربع مائة ذراع، وتستعمل الغلوة في سباق الخيل، والغلو الارتفاع في الشئ ومجاوزة الحد فيه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ١٣٢.

(٢) ذات الآصاد: هي ردهة في ديار بني عبس توجد وسط هضبة القليب، الردهة تعني نقيرة من الحجر يجتمع فيها الماء. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٥.

(٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٧٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥١٣؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٧٨.

(٥) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١٥، ص ٣٥٦.

قيس واجتمع معه لمحاربة بني بدر، واجتمع مع بني بدر فزارة وذبيان فاشتدت الحرب بينهم[١]، والقوا عند المريقب وكانت الشوكة في بني فزارة وقد قتل منهم عوف بن بدر بن عمر[٢].

ثم التقوا بذي حسى[٣]، وثم في اليعمرية[٤] ويوم البهاءة[٥]، ظهرت في هذه الأيام شجاعة أحد الفرسان الذي ذاع صيته هو عنترة العبسي[٦]،

---

(١) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، (ت: ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٩٦م)، ج١، ص ٦٦.

(٢) ابو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، (ت: ٢٩٠هـ)، الفاخر، تحقيق: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٦٠ه)، ص ٢٢٤.

(٣) ذي حسا: وهو موضع في ديار بني مرة وهو في أعلى أرض بني غطفان.ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٤٤٥.

(٤) اليعمرية: وهو موضع ماء بدار من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة، وقيل أيضاً هو نسبة الى اسم رجل اسمه يعمر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٣٨.

(٥) البهاءة، بئر ماء بالقرب من الربذة، قتل فيه حذيفة بن بكر وأخوه حمل.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٤٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٩١.

(٦) عنترة العبسي، هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد أمه حبشية، كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم بشدة بطشه وفي شعره رقة وعذوبة، وكان من شجعان العرب.ينظر: ابن عماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار كثير، (بيروت- ١٩٨٦م)، ج٥، ص١١؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٩١.

وبعد الخسارة في الأموال والأرواح انتهت الحرب بينهم، بعد أن جاء دور سفراء ووفود الصلح من رؤوساء القبائل، وجعلوا كل من هرم بن سنان[١] والحارث بن عوف[٢] محكمين[٣]، وقامت بنو عبس بالصلح مع فزراة ولكن من دون قيس[٤].

ثالثاً: سفراء ووفود يوم بعاث

كان يوم بعاث[٥] بين الأوس من جهة والخزرج من جهة أخرى، وظل الطرفين أربعين ليلة يُصعدون الحرب ويجمع بعضهم لبعض ويرسلون السفراء والوفود إلى حلفائهم من قبائل العرب للخوض في غمار الحرب، التي حدثت قبل الإسلام بخمسين سنة، ثم إنّ بني قريظة وبني النضير جددوا العهود مع الأوس على المؤازرة والتناصر واستحكم أمرهم وجدوا في حرب الخزرج[٦].

---

(١) هرم بن سنان: بن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان من أجاودي العرب قبل الإسلام، كان كثير العطاء، توفي قبل الإسلام.ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٤٣.

(٢) الحارث بن عوف: بن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن عيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الفطفاطي، المري قدم الى رسول الله ﷺ وأسلم. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص ٣٣٤.

(٣) ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي، (ت: ٦٣٧هـ)، تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد، (بغداد– ١٩٨٠م)، ج٢، ص ٦٩٦.

(٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص ٧٨.

(٥) يوم بعاث: هي آخر معركة من معارك الأوس والخزرج، بيثرب قبل الإسلام، وحدثت قبل الإسلام بخمسين سنة وسميت بهذا الاسم نسبة الى المكان الذي وقعت فيه وهو أحد ضواحي بنو قريظة؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٣٨.

(٦) ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية والإسلام، مطبعة الإعتماد، (القاهرة– ١٩٢٧م)، ص٦٤.

لما سمعت الخزرج باتفاق اليهود مع الأوس أرسلت الى حلفائها من قبيلتي جهينة وأشجع، وكان سفيرهم الى أشجع ثابت بن قيس بن شماس، فطلب منهم النصرة فأجابوه وأقبلت عليهم جهينة أيضاً، فيما أرسلت الأوس الى مزينة، وذهب حضير الأشهلي الى ابي قيس بن الأسلت فأمره أن يجمع أوس الله فجمعهم وذكر ما صنعت لهم الخزرج، فجعلهم يستشيطون غضباً، فأجابوه بالنصر والمؤازرة[(١)]، حاولت قبيلة الأوس كسب أنصار جدد في مواجهتهم مع الخزرج فأرست وفداً من قريش لتقيم معها حلفاً وتساندهم ضد الخزرج، ووافقت قريش على التحالف معهم، إلا أن سرعان ما عادوا وانسحبوا من الحلف، بعد أن اعترض الوليد بن المغيرة وقال لهم: " والله ما نزل قوم على قوم قط إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم فأقطعوا حلف الأوس" فقطعوه[(٢)].

ويتضح لنا مما تقدم أهمية السفراء والوفود ودورهم ليس للصلح فحسب، بل تجلى دورهم في تلك المعركة على الصعيد السياسي والدبلوماسي في تحشيد الجيوش والحصول على الدعم العسكري وكسب التعاطف.

وبعد الإستعداد الطويل لهذا اليوم المرتقب، وتجلي الخوف السائد للطرفين وازدياد الاحتقان المتصاعد، احتشد الطرفان في بُعاث وهي منطقة لبني قريظة، وما لبثا حتى التقيا ودارت رحى المعركة فانكسر الأوسيون حينما اشتد وطيس المعركة، ولم يقاوموا فانهزموا هزيمة واضحة ولاذوا بالفرار، وفي بعاث تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها): (كان يوم قدمه الله لرسوله ﷺ في دخلوهم الإسلام، فقَدمَ رسول الله

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٣٨.

(٢) السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني، (ت:٩١١هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤١٩هـ)، ج١، ص ٣٨٥.

المدينة وقد افترق ملأهم وقتلت سراتهم)[١]، ومعنى ذلك أنه قتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام لتمسكه في أمر الجاهلية.

رابعاً: يوم أوارة[٢] الثاني:

حصلت هذه الحرب بين عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٧٨م)، وبين بني دارم من تميم، كان سببها ان عمرو بن المنذر كان له ولد اسمه اسعد تركه في بيت زرارة بن عدس[٣]، ليتعلم الصبر والشجاعة والقوة وكان اسعد في أحد الأيام قد ذهب الى الصيد، لكنه لم يصد شئ فعندما مرّ بإبل سويد أحد بني عبد الله بن دارم التميمي، قام أسعد في رمي ناقة سمينة فقتلها[٤]، وقام زرارة بإخبار عمرو بمقتل ابنه فطلب عمرو تسليم القاتل ليحكم عليه بالقتل إلا أن زرارة قد أخبره أنه هرب الى مكة، فحلف عمرو على أن يقتل مائة من بني تميم إذ لم يسلموا القاتل وبالفعل قرر تنفيذ حكمه فقتل تسعة وتسعون منهم، والقى بهم في النار، وعندما جاء رجل من

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٣، ص ٣٧٧، (رقم ٣٧٤٧).

(٢) وارة: اسم ماء أو جبل كان لتميم،؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٧٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٢.

(٣) زرارة بن عدس: بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، من عدنان كان حكماً من قضاة تميم، وقاد تميم وغيرها، يوم شويحط ٠ ينظر: خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري، (ت: ٢٤٠هـ)، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت- ١٩٩٣م)، ص ١٥٩؛ البرديجي، أبو بكر أحمد بن هارون بن روح، (ت: ٣٠١هـ)، طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، تحقيق: عبدة علي كوشك، دار المأمون للتراث، (دمشق- ١٩٨٩م)، ص ٤٢.

(٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، (ت: ٢٠٩هـ)، أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق: عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، (بيروت- ٢٠٠٣م)، ج٢، ص ٢٨٨.

البراجم[1] قد رأى النار وشمّ رائحة اللحم فظنّ أنه طعاماً، فعندما اقترب قام عمرو بإلقائه في النار، لتتم المائة[2]، فقال عمرو: "إن الشقي وافد البراجم"[3]، ولهذا سمي عمرو بن المنذر بالمحرّق.

خامساً: سفراء ووفود (يوم الفجار الثاني):

هي إحدى حروب العرب في الجاهلية وحصلت بين قبيلة كنانة (ومنها قريش)[4]، وبين قبائل قيس عيلان (ومنهم هوازن وسليم وثقيف ومحارب وعدوان وفهم)، وسميت بالفجار لمّا استحلّ فيه هذان الحيان من المحارم بينهم في الأشهر الحرم، ولمّا قطعوا فيه من الحيان من الصلات والأرحام بينهم، ومن أيامها : يوم الحرة ويوم نخلة ويوم عكاظ، ويوم شمطة[5]، واستمرت أربعة أعوام متتالية[6].

أما عن سبب تلك الحرب: أن أحد بني كنانة واسمه البرّاض، اغتال ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر الى عكاظ، فثار الطرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سناً وشرفاً، وكان الظفر أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس ثم تداعى

---

(١) البراجم: وهم كل من عمرو والظليم وغالب وكلفة وقيس أبناء حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تيم، أطلق عليهم البراجم لأن عددهم كان قليل، فقال لهم حارثة بن عامر بن عمرو: تعالوا فلنجتمع ونكون كبراجم اليد •ينظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب،ص٢٢٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٩٨.

(٣) الهاشمي، أبو الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، (ت بعد ٤٠٠هـ)، الأمثال، دار سعيد الدين، (دمشق– ٢٠٢م)، ص ٤٦؛ الميداني، الأمثال، ج١، ص٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ٣٥٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٢٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٢٩.

بعض قريش الى الصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشر[1]، وكان عتبة بن ربيعة سفير الصلح بينهم، ورهن كبار أبنائهم لضمان الصلح، فرهن حرب بن أمية، ابنه أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة ابن النضر ورهن سفيان بن عوف ابنه الحارث حتى أُديت الفصول[2].

سادساً: سفراء ووفود (حرب الفجار الثالث):

وقعت هذه الحرب بين كنانة وهوازن وكان سببها أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل، من بني النصر بن معاوية، وكان الرجل الكناني فقير لا يملك الأموال[3]، وعندما شاهد دائنه النصري في سوق عكاظ، وكان مع النصري قرد فوقف في وسط السوق وأخذ ينادي: " من يبيعني مثل هذا البراح بمالي على فلان بن فلان الكناني، ومن يعطيني مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكناني"[4]، وظلّ يعيد النداء أكثر من مرة تعبيراً للكناني، فجاءه رجل من بني كنانة، عندما سمع ندائه وقام بضرب القرد بسيفه حتى مات[5]، فقام النصري بالصراخ يا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٥٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٢.

(٢) السهيلي، الروض الآنف، ج١، ص٣٢١؛ النويري، نهاية الإرب، ج١٥، ص ٤٢٢.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٢؛ النويري، نهاية الإرب، ج١٥، ص ٤٢٤.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص١٠٢؛علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠، ص ٥٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص١٠٢؛ الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٣١٢.

آل هوازن، وصاح الكناني يا آل كنانة فتجمع القوم من الطرفين، فكاد أن يقع بينهم القتال فتدخل القوم بينهم[١]،

قالوا: " أفي رباح تريقون دمائكم؟ وتقتلون أنفسكم؟ على هذا"[٢]، وكان من سفراء الصلح بينهم عبد الله بن جدعان[٣]، وتحمل ذلك الدين من ماله[٤]، وهكذا كان الدور البارز لسفراء ووفود الصلح حتى وإن كلفهم مالهم أو أرواحهم فلا تأخذهم في ذلك لومةَ لائم.

سابعاً: سفارات ووفود يوم الكلاب:

يوم الكلاب هو أحد أشهر أيام العرب في الجاهلية، كان لبني سعد من بني تميم على الحلف اليماني المكون من خمس قبائل، قحطانية يمانية كبرى[٥]، ترجع أسباب حدوث ذلك اليوم الى أن بني تميم تعرضوا لقافلة تابعة لكسرى، فقاموا بنهبها وسلبوا رسل كسرى، وأساورته، فبلغ ذلك كسرى، فأمر هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، أن يغزو بني تميم، فبلغ ذلك مذحجاً ومشى بعضهم الى بعض ثم بعثوا السفراء والوفود الى اليمن، وأحلافها من قضاعة، فجمعوا اثني عشر ألف رجل[٦]، وكان رئيسهم عبد يغوث، ورئيس كندة البراء بن قيس، فأقبلوا الى بني تميم فبلغ ذلك

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٢٥٠.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٠، ص ٥٣.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٧٦.

(٤) الحلبي، ج١، ص ١٨٥؛ المولي، أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٢٥.

(٥) القبائل التي شاركت في يوم الكلاب هي مذحج وهمدان وكندة، وحمير وقضاعة، وسمي أيضاً بـ(الصفقة)، لإصفاق الباب وإغلاقه. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٩٢.

(٦) المولي، أيام العرب في الجاهلية، ص٢.

سعد بن رباب، فانطلقوا الى أكثم بن صيفي وكان قاضي العرب فدعاهم الى الحرب، واقبل أهل اليمن ونزلوا الى مكان يسمى الكلاب وكان النعمان بن جساس على الرباب وقيس بن عاصم المنقري على سعد، فاختلط القوم واقتتلوا فانهزم أهل اليمن[1].

ثامناً: سفارات يوم خزاز:

يوم خزاز[2]، هو أحد أيام العرب في الجاهلية، فذُكر أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يده أسارى من مضر وربيعة وقضاعة، فوفد إليه من وجوه بني سعد، وفيهم سدوس بن شيبان وعوف بن ملحم وشيبان بن عوف، فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة، وقال للباقين: " ائتوني برؤساء قومكم لأخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، وإلا قتلت أصحابكم"[3]، فرجعوا الى قومهم فأخبروهم الخبر، فبعث كليب بن وائل سفيره الى ربيعة فجمعهم، واجتمعت عليه معد، فسار بهم وأمرهم أن يوقدوا على جبل خزاز ناراً، ليهتدوا بها، وقال: " إن غشيكم العدو فأوقدوا نارين"[4]، فبلغ مذحج اجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن، فساروا إليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة، ووصلت مذحج الى

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٢؛ شمس الدين إبراهيم، مجموع ايام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت– ٢٠٠٢م)، ص ٩١.

(٢) خزاز: جبل يقع في عالية نجد وسط الجزيرة العربية، وعلى اسم هذا الجبل، سميت " وقعة خزاز، أو خزازي، أيو يوم خزاز، وهو جبل أحمر كبير متفرق يقع ملاصق لمدينة دخنة.ينظر: الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٧٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٠٨.

خزار ليلاً، فالتقوا (بخزاز) فاقتتلوا قتالاً شديداً وأكثروا فيه القتل، فانهزمت مذحج، وانقضت جموعها[١].

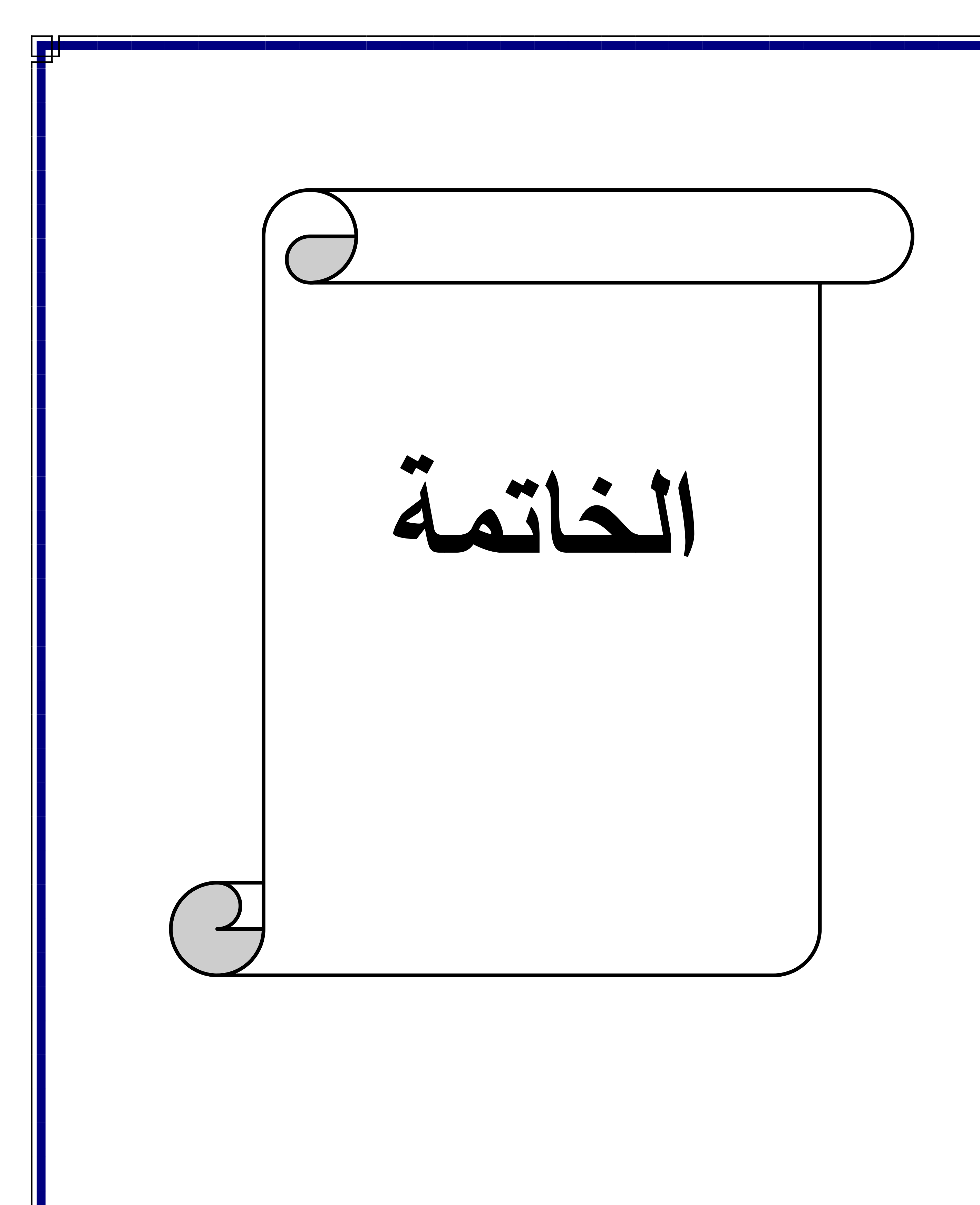
الأمر الذي يؤكد أن التعرض للموفدين والسفراء لم يكن بالأمر الهين وأنه قد يؤدي الى الحرب والصدام المباشر، وذكر المهلهل بن ربيعة ذلك اليوم في أشعاره بقوله[٢]:

من عرف يوم خزازي لهُ   عُليا مَعْدٍ عندَ جبذِ الوَثوق

إذا أقبلت حمير في جمعها   ومذحجٌ كالعارضِ المستحِيق

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) عدي بن ربيعة، ديوان مهلهل، تحقيق: طلال حرب، الدار العالمية للنشر، ص ٢٧.


الخاتمة

الخاتمــة

بعد هذه الدراسة لموضوع السفراء والوفود في مجتمعات شبه الجزيرة العربية وتحديداً في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، تبين أن السفارة والوفادة من أهم وسائل التعامل بين الشعوب، وهي قديمة قدم الشعوب ذاتها، وقد تطورت في العصور الحالية، والسفارة كانت ولا زالت أداة فعالة في ترصين العلاقات بين المجتمعات على الصعيد الدولي، وفض النزاعات بالطرق السلمية ذا أحسنَ استعمالها أسلوبا ومنهجاً، وقد توصلت هذه الدراسة المتواضعة الى عدة نتائج كشفت لنا جوانب هامة في حضارة شبه الجزيرة العربية، ولعل أهمها ما يلي:

١- أنَّ شبه الجزيرة العربية شهدت في تلك المدة ازدهاراً شمل مختلف النواحي الاقتصادية وهذا بفضل موقعها الاستراتيجي وتنوع منتجاتها.

٢- إنَّ اختلاف المناخ وقلة الأمطار قد انعكس على النشاط الزراعي في شبه الجزيرة العربية، فإن الأماكن التي تسقط فيها الأمطار بغزارة كما هو في شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية قد ساهم في إقامة زراعة منظمة وحياة مستقرة، في حين أنَّ الأماكن التي تفتقر الى وجود المياه لاسيما بعض الأماكن في وسط شبه الجزيرة العربية لم تكن فيها زراعة اذ قامت فيها حياة التنقل من مكان الى آخر طلباً للعيش، وكان لذلك أثراً على المجتمع بشكل عام وعلى طبيعة عمل السفراء والوفود بشكل خاص.

٣- اشتهر العرب في التجارة وكانت لديهم تجارة داخلية، بين أجزاء شبه الجزيرة العربية، وتجارة خارجية بين شبه الجزيرة العربية، والبلدان الأخرى، وكانت لها عدة طرق ومسالك رئيسية وفرعية، وكانت من أشهر الطرق الرئيسية طريق الحرير وطريق البخور، فضلاً عن وسائط النقل التي تنوعت وقد اعتمدوا بدائياً على حيوانات لنقل البضائع إلا أن هذه الحيوانات لا تسيطر على

السير طويلاً في الظروف الصحراوية الحارة، فهي تحتاج الى الماء والعشب، فكانت تجارتهم محددة وفي نطاق ضيق الا أن استخدم العرب الجمل الذي كان منعطفاً للانطلاقة الأولى لتجارة العرب البرية لما يتمتع به من صفات جعلته ملائماً لهذه البيئة فقد فتح العرب آفاق جديدة لم يستطيعوا الوصول اليها من قبل.

٤- لم تكن الاقوام العربية بكل أرجاء شبه الجزيرة العربية أمة منعزلة بل كانت أمة متفاعلة بمن حولها من الأمم وهذا يظهر جلياً من خلال السفراء والوفود الذين مثلوا بلادهم خير تمثيل.

٥- اتسمت السفارات العربية بالفطنة والحكمة، والكياسة والدهاء، وحسن التأني للأمور وصدق النظر في العواقب، وسعة الحيلة وحسن التعبير، فمثل هذه السفارات أشهر الشعراء والفرسان، ويتضح ذلك جلياً في سفراء ووفود العرب سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الدولي المتمثل بسفراء ووفود العرب الى الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، فمثلوا بلادهم خير تمثيل من خلال مقطوعاتهم الشعرية وسلامة ورجاحة عقولهم وتفننهم في الخطاب الإعلامي.

٦- كان من أهم الأهداف للسفارات العربية هو توثيق الصلات التجارية للعرب وتعزيز العلاقات السياسية.

٧- امتازت مكة عن نظيراتها من المدن العربية الأخرى بموقعها الديني، مما جعل هذا التمايز ينعكس على سكانها وتوزيع قبائلها الذين اكتسبوا نظرة تبجيل واحترام بوصفهم سكان حرم الله وسدنة بيته العتيق، فأصبحت قبلة لوفود الحج والتجارة بفضل سفراء ووفود قريشٍ.

٨- تنوعت وفود قريش فمنها ما كانت للتهنئة، ومنها لعقد الأحلاف والإيلاف، فكانت قريش مقتصرة في نشاطها التجاري على مكة، وما ان انعقد الإيلاف

حتى كان تجار قريش يجوبون البلاد ويسيرون القوافل التجارية الى أماكن مختلفة، وقد تحقق ذلك بفضل أبناء قصي بن كلاب، حيث تحولت قريش من وسيط تجاري الى تجار عالمين يسيرون القوافل التجارية من دار الندوة ولمختلف الاتجاهات، وكان أول من خرج منهم خارج مكة هو هاشم بن عبد مناف من خلال حصوله على الإيلاف من قيصر الروم، يليه حصول أخوته على مثل هذا الحلف من نجاشي الحبشة وملوك اليمن وكسرى في العراق، وبذلك أصبحت قريش مكة بزمام التجارة في بلاد العرب وكل هذا بفضل سفارات الإيلاف.

٩- كسبت قريش ود جميع القبائل إذ عقدت قريش مع سادات ورؤساء هذه القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم الأحلاف التي تمهد لتلك القوافل المرور بأراضيهم، إذ لولا هذه الأحلاف التي تمت معهم لبقيت التجارة معرضة للنهب أو لربما لم تصل الى الأماكن التي اتفقوا مع حكامها، كما استعانت قريش بالإدلاء للقوافل التجارية من هذه القبائل الضاربة على طول الطرق التجارية.

١٠- استخدم العرب قبل الإسلام، بعض الأماكن للسفارة والوفادة كالأسواق التي كانت فضلاً عن وضيفتها الاقتصادية محفلاً إعلامياً، تحقق فيه نشر مقطوعاتهم الأدبية كالشعر والنثر وكانت الأسواق كما ذكرنا آنفاً، تفد إليها الشعراء، والأدباء وبذلك كان لهم أهمية كبيرة إذ يتولى الشعر مقام السفير بين أهله وغيرهم من القبائل الأخرى بحكم أنه المتحدث باسم القبيلة وخير من يمثلها ويفصح عن ميولها واتجاهاتها في مختلف الظروف وشتى المناسبات.

١١- برز سوق عكاظ عن بقية الأسواق الذي تزامن من عقده موسم الحج في الأشهر الحرم، التي يتوقف فيها النزاع والقتال على النحو الذي يحدث في

اليونـان القـديم عنـد انعقـاد الألعـاب الاولومبيـة إذ تعلـن هدنـة مقدسـة ويسـود السلام تحقيقاً للأمان والطمأنينة للوفود المشاركة في تلك الألعاب.

١٢- بـرز السـفراء والوفـود فـي ممالـك عربيـة أخـرى مثـل مملكـة الغساسـنة وكنـدة، حيث لا تقل أهميـة تلـك السـفراء والوفـود عـن مملكـة الحيـرة حيث كانـت تلـك السفارات تحمـل علـى عاتقهـا قيـام الاتفاقـات والمعاهـدات، وتنوعـت أغراضـها فمنها لفك الأسرى وأخرى لإقرار السلم ومنها كانت داخلية لكسب ود الملوك.

١٣- ان لطبيعة المرحلة الرعوية التي عاشها العرب في الجاهلية فوق أرض مجدبة أثـراً فـي نشـوء السـفارة وعلـو مقامهـا. إذ اتسـم جـزء مـن حيـاتهم بالفوضـى والاضطراب والاحتراب لاسيما في القرن الذي سبق ظهور الإسلام، وسيادة العصبية القبلية، لتدفع بالحرب على أرض العرب، فكثرت الأيام والوقائع وقد اقتضـت تلـك الحيـاة الصـاخبة أن ينشـط السـفراء ووفـود الصـلح، وإن تتنـوع مجالات سعيهم فكثرت السفارات بينهم.

وآخر دعوانا ....

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

سورة آل عمران آية ٨



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر الأولية

❖ **ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ)**

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي (بيروت د.ت)

٢. الكامل في التاريخ ، تحقيق ابي الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٧م) .

❖ **ابن الاثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت ، ٦٠٦ هـ)**

٣. النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضه، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٧م)

❖ **ابن الازرق ، ابو عبد الله بن الازرق، (ت ٨٩٦ هـ)**

٤. بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار ، دار الحرية، (بغداد – ١٩٧٧).

❖ **الازرقي ، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٢٥٠ هـ)**

٥. اخبار مكه وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهش (مكه المكرمه – ٢٠٠٣م)

❖ **ابو اسحق، ابراهيم بن اسحق بن بشير، (ت : ٢٨٥ هـ)**

٦. المناسك واما كحسن طرق الحج ومعالم الجزيره ، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض ، ١٩٦٩)

❖ **الأصبهاني، إلى نعيم أحمد بن عبد الله ، (ت : ٤٣٠ هـ)**

٧. دلائل النبوة، مكتبة النهضه ، (بغداد ، ١٩٧٧م)

❖ **الاصفهاني ، الحسن عبد الله (ت: ٣١١ هـ)**

٨. بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح احمد العلي، منشورات دار اليمامه للبحث والترجمة والنشر (السعودية ، ١٩٦٨م)

❖ **الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين (ت : ٣٥٦ هـ)**

٩. الاغاني ، تحقيق : احسان عباس ، ابراهيم السعافين ، بكر عباس ، دار صادر، (بيروت – ٢٠٠٨م)

❖ **الاصفهاني، حمزه بن الحسن (ت: ٣٦٠ هـ)**

١٠. تاريخ سني ملوك الارض ، تحقيق : أصغر عباد الله الصمد ، مطبعة مظهر العجائب (الهند – ١٨٧٢م)

❖ **ابن ابي أصيبعة ، أحمد بن القاسم ، (ت: ٦٦٨ هـ)**

١١. عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة (بيروت – ١٩٦٥م)

❖ **الاعرابي، الحسن بن احمد بن محمد ، (ت : ٤٣٠ هـ)**

١٢. اسماء خيل العرب وانسابها وفرسانها ، تحقيق : محمد علي سلطاني ، دار العصماء (دمشق – ٢٠٠٧م)

❖ **الاعشى ، ميمون بن قيس .**

١٣. ديوان الاعشى الكبير، تحقيق : محمد حسين ، (مصر – ١٩٥٠)

❖ **الالباني ، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت: ١٤٢٠ هـ)**

١٤. السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف للنشر (الرياض – ١٩٩٥)

❖ **الانباري، ابو بكر محمد بن قاسم.**

١٥. الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مؤسسة دار الرسالة (بيروت – ١٩٩٢م)

❖ **الانصاري، ابو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديد (ت : ٧٨٣ هـ)**

١٦. المصباح المضيء في كتاب النبي الامي ورسله الى ملوك الارض من عرب واعجي، تحقيق: محمد عظيم الدين، ط٢، (بيروت، د. ت)

❖ **الانصاري، حسان بن ثابت (ت: ٥٤ هـ)**

١٧. ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق: عبد مهنا، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٤م)

❖ **ابن أيبك الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله (ت: ٧٣٦)**

١٨. كنز الدرر وجامع الفرر) الدرة اليتيمه في أخبار الامم القديمه تحقيق : ادوارد بدير، المعهد الالماني للاثار (بيروت ١٩٩٤م)

❖ **البخاري ، ابو عبد الله اسماعيل (ت : ٢٥٦ هـ)**

١٩. التاريخ الكبير، تتحقيق ، هاشم الندوي، دار المعارف العثمانية (حيدر آباد، د. ت)

٢٠. الجامع الصحيح المختصر التحقيق مصطفى ديب البغا، ط ٢ ، دار الفكر للنشر، (بيروت، ١٩٨٧)

❖ **البرديجي ، ابو بكر أحمد بن هارون بن روح ، (ت ٣٠١ هـ)**

٢١. طبقات الاسماء المفرده من الصحابة والتابعين واصحاب الحديث، تحقيق : عبده علي كوشك ، دار المأمون للتراث (دمشق ١٩٨٩م)

❖ **البرقوقي، عبد الرحمن**

٢٢. شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، المطبعة الرحمانية القاهره – ١٩٢٩م)

❖ **البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت : ١٠٩٣ هـ)**

٢٣. خزانة الادب ولب لباب السان العرب، تحقيق : عبد السلام محمد بن هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهره ، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٩٧

❖ **أبو البقاء، هبة محمد بن نما الحلي.**

٢٤. المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسديه ، تحقيق: محمد عبد القادر، خريسات صالح موسى، مكتبة الرسالة الحديثة، (عمان ، ١٩٨٤م).

❖ **ابن بكارة ابو عبد الله الزبير (ت : ٢٥٦ هـ)**

٢٥. جمهرة نسب قريش واخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدى (القاهرة، ١٣٨١هـ).

❖ **البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز، (ت: ٤٨٧ هـ)**

٢٦. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع : تحقيق المصطفى السقا، ط ١٢مطبعة عالم الكتب (بيروت ، ١٩٨٣)

❖ **البلاذري ، ابو الحسن، أحمد بن حسين بن جابر (ت: ٣٧٩ هـ)**

٢٧. انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله ، (مصر ، ١٩٥٩م)

٢٨. فتوح البلدان ، تحقيق انيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر (بيروت – (١٩٨٧م)

❖ **البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل،**

٢٩. البدء والتاريخ، تحقيق: كلمان هوار (باريس ، ١٩٠١م)

❖ **البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر (ت : ٤٥٨هـ)**

٣٠. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ، (مكه المكرمه ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م)

٣١. المحاسن والمساوى، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة نهضه مصر ومطبعتها (مصر ، ١٩٦١م)

❖ **التبريزي ، حسين بن علي بن محمد (ت : ٥٠٢هـ)**

٣٢. شرح القصائد العشر، دار الطباعه المنيريه ، (دمشق د.ت)

❖ **التوحيدي، ابو حيان (ت : ٤١٤ هـ)**

٣٣. البصائر والذخائر ، تحقيق : أحمد أمين، احمد صقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهره ، ١٩٥٣م)

❖ **الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن عثمان، (ت: ٢٣٠هـ)**

٣٤. الرسائل ، تحقيق : على ابو ملحم، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ٢٠١٠)

٣٥. البرصان والعرجان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ، د. ت).

❖ **ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧ هـ)**

٣٦. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٩٢م)

٣٧. زاد المسير في علم التفسير، ط١، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، ١٦٦٩م

❖ **الجوهري، ابو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٠ هـ)**

٣٨. الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفار ، ط ع ، دار العلم للملايين، بيروت : ١٩٨٧م)

٣٩. تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، ط٤ ، دار العلم للملايين (بيروت ١٩٨٧م)

❖ **الجياني، محمد بن عبد الله بن مالك (ت : ٦٧٢ هـ)**

٤٠. إكمال الإعلام بتثليث الكلام ، تحقيق، سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة ام القرن (مكه المكرمه – ١٩٨٤م)

❖ **ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي ، (ت : ٣٥٤ هـ)**

٤١. الثقات ، دار الفكر، (بيروت، ١٩٧٥م)

❖ **ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن اميه بن عمر الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)**

٤٢. المحبر، تحقيق، ايلزا ليختر شيشتر، دار الآفاق الجديده (بيروت د. ت)

٤٣. المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد احمد فاروق، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند، ١٩٩٤.

❖ **ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت : ٨٥٢)**

٤٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، تحقيق : سعد بن ناصر بن عبد العزيز، دار العاصمة (السعودية – ١٤١٩هـ)

٤٥. الاصابة في تميز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ، ط١، الموارد الكتب العلمية (بيروت – ١٩٦٥)

❖ **ابن حزم محمد بن علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي (ت : ٤٥٦هـ)**

٤٦. جمهرة أنساب العرب ، ط ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٥)

❖ **الحلبي ، علي بن ابرهان الدين الشافعي (ت : ١٠٤٤ هـ)**

٤٧. السيرة الحلبية، دار المعرفه (بيروت ١٩٧٩م)

❖ **ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ) ،**

٤٨. معجم البلدان، ط ، ، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م)

❖ **الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ، (ت ٩٠٠ هـ)**

٤٩. الروض المعطار في خبر الاقطار ، ط ٢، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة والنشر، (بيروت - ١٩٨٠م)

❖ **الحميري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب (ت : ٢١٣ هـ)**

٥٠. التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات اليمنية ، (صنعاء - ١٣٤٧م)

❖ **الحميري، نشوان بن سعيد (ت : ٥٧٣هـ)**

٥١. الحور العين ، تحقيق عمال مصطف، مطبعة السعادة (مصر ١٩٤٨م)

❖ **ابن حنبل ، احمد بن محمد**

٥٢. مسند أحمد ، مؤسسة الرسالة (بيروت، ٢٠٠١م)

❖ **ابن حوقل ، ابو القاسم محمد (ت : ٣٥٠ هـ)**

٥٣. صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٩٢م)

❖ **ابو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حسيان (ت : ٧٤٥ هـ)**

٥٤. تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل احمد، علي معوض ، دار الكتب العالمية (بيروت، ١٩٩٣م)

❖ **الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت : ٤٦٣ هـ)**

٥٥. تاريخ بغداد، تحقيق المصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٧)

❖ **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)**

٥٦. مقدمة ابن خلدون، دار العودة (بيروت - ١٩٨١)

٥٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق : ابو صهيب الكوفي ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، (الرياض - دت)

❖ **خليفه بن خياط، ابو عمر و خليفه بن خياط بن خليفه الشيباني البصري (ت: ٢٤٠هـ)**

٥٨. طبقات خليفه بن خياط ، تحقيق السهل زكار، دار الفكر (بيروت – ١٩٩٣م)

❖ **الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، (ت : ٨٠٨ هـ)**

٥٩. حياة الحيوان الكبرى ، طـم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٣)

❖ **ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ)**

٦٠. سنن ابي داود، المكتبة الاسلامية للطباعه، (استانبول تركيا د.ت)

❖ **الدوسي، مؤرخ بن عمرو الشيباني ، (ت : ١٩٥ هـ)**

٦١. حذف من نسب قريش، تحقيق: صلاح المنجد ، (بيروت ، ١٩٧٦م).

❖ **الدينوري، ابو حنيفه أحمد بن داوود، (ت ٢٨٢ هـ)**

٦٢. الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر، دار احياء التراث (القاهره – ١٩٦٠)

❖ **الذبياني، زياد بن معاوية بن حباب (ت ٦٠٤ هـ)**

٦٣. ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم ، عباس عبد الساتر، ط ٣، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٩٦م).

❖ **الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت:٧٤٨ هـ).**

٦٤. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٨٧)

❖ **الرازي ، محمد بن ابو بكر، (٣١٣هـ/٩٢٥م).**

٦٥. مختار الصحاح ، مكتبة لبنان (بيروت – ١٩٨٦م).

❖ **ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن السلامي (ت ٧٩٥ هـ)**

٦٦. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق، ابو مصعب طلعت، مطبعة الفاروق الحديثة (مصر ٢٠٠٣)

❖ **ابن رشيق ، ابو علي الحسن بن رشيق الازدي القيرواني ، (ت : ٤٥٦هـ)**

٦٧. العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد من الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجبل (بيروت ، ١٩٧٣م)

❖ **الزبيدي ، عبد الله المصعب (ت: ٢٣٦ هـ) .**

٦٨. نسب قريش ، تصحيح، أ. ليفي بروفنسال ، ط٢، (مصر القاهرة ١٩٧٦م)

❖ **ابن زباله ، محمد بن الحسن (ت: ١٩٩ هـ)**

٦٩. اخبار المدينه ، تحقيق : صلاح عبد العزيز ، مركز بحوث ودراسات المدينه المنوره (المدينة المنورة ٢٠٠٣م)

❖ **الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق، (ت: ٣٤٠هـ/٩٥٢م).**

٧٠. العلماء، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣، مكتبة الخانجي (القاهره – ١٩٩٩)

❖ **الزمخشري ، ابو القاسم جار الله (ت: ٥٨٣هـ)**

٧١. المستقصي في امثال العرب ، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧م)

٧٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ، دار المعرفة والنشر، (بيروت، د.ت) الفايق في غريب الحديث ، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط ١ ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ)

❖ **الزوزني ، حسين بن أحمد بن حسين (ت : ٤١٦ هـ)**

٧٣. شرح المعلقات السبع ، دار احياء التراث العربي (بيروت، ٢٠٠٢ م)

❖ **سبط ابن الجوزي ، ابو المظفر يوسف بن قز أو علي بن عبد الله (ت : ٦٥٤ هـ)**

٧٤. مرأة الزمان في تواريخ الاعيان ، تحقيق: محمد بركات ، كامل محمد الخراط، ط١، دار الرسالة العالميه (دمشق ٢٠١٣)

❖ **السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت : ٢٤٨هـ)**

٧٥. المعمرون والوصايا ، مطبعة السعاده (مصر – ١٩٠٥م)

❖ **ابن سعد، محمد بن وضيع البصري، (ت: ٢٣٠ هـ)**

٧٦. الطبقات الكبرى ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، د . ت)

❖ **ابن سعيد، ابو الحسن بن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الاندلسي (ت : ٦٨٥ هـ) .**

٧٧. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصى (عمان، ١٩٨٢ م)

❖ **ابن سلام ، محمد الجمحي (ت : ٢٣١ هـ)**

٧٨. طبقات الشعراء ، تحقيق : طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠١م)

❖ **السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ)**

٧٩. الانساب ، التحقيق : عبد الله عمر البارودي ، ط١، دار الجنان ، (بيروت، ١٩٨٨م)

❖ **السمهودي، نور الدين ابو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت: ٩١١ هـ)**

٨٠. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٩ هـ)

❖ **السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الحنفي، (٥٨١هـ).**

٨١. الروض الأنف ، تحقيق: مجدي الثوري ، ط١، دار ار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٨٧م)

❖ **ابن سيده ، ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ)**

٨٢. المخصص ، المكتبة التجارية للطباعة، بيروت ، د . ت)

٨٣. المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٠)

❖ **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت: ٩١١ هـ).**

٨٤. كفاية الطلب اللبيب في خصائص الحبيب ، السمن (الخصائص الكبرى) ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٠م)

❖ الشوكاني، محمد بن علي (ت : ١٢٥٠ هـ) .

٨٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من عالم التفسير، تحقيق : يوسف الفوش، دار المعرفة (بيروت، ٢٠٠٤)

❖ الصحاري ، ابو المنذر سلمه بن مسلم العوتبي (ت ٥١١ هـ).

٨٦. الانساب، تحقيق: محمد احسان ، طبع وزارة التراث القومي (عثمان ، ١٩٩٩)

❖ الضبي، المفضل بن محمد، (ت: ٥٩٩هـ).

٨٧. امثال العرب، تحقيق: احسان عباس ، دار الرائد العربي ، ط٣، (بيروت ، ١٩٨٣م)

❖ ضياء الدين ابن الاثير الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت : ٦٣٧ هـ)

٨٨. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محين الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية (بيروت ، ١٩٩٠م)

❖ الطبري، محمد بن جرير، (ت : ٣١٠ هـ)

٨٩. تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار التراث (بيروت – ١٩٦٧م)

٩٠. جامع البيان من تأويل أي القرآن ، دار الفكر (بيروت ١٤٠٥ هـ)

❖ ابن عبد البر، الحافظ يوسف النمري ، (٤٦٣هـ/١٠٧١م).

٩١. الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق، شوقي ضيف ، ط٢، دار المعارف (القاهره ١٤٠٣ هـ)

❖ ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون الملطي (ت ٦٨٥هـ)

٩٢. تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكيه ، (بيروت – ١٩٥٨)

❖ ابو عبيده ، معمر بن المثنى ، (ت : ٢٠٩هـ).

٩٣. نقائض جرير والفرزدق، دار الكتاب العربي ، (بيروت، د.ت)

٩٤. ايام العرب قبل الاسلام ، تحقيق : عادل حاسم البياتي ، عالم الكتب ، (بيروت – ٢٠٠٣)

❖ **ابن عبد الحق، صفي الدين بن مؤمن ، (ت : ٧٩٣ هـ) .**

٩٥. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنه والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الدار الجبل (بيروت، ١٩٩٢ م)

❖ **ابن عبد ربه أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ).**

٩٦. العقد الفريد، ط ٣، تحقيق : مفيد قمحيه وعبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٦)

❖ **عدي بن ربيعه بن الحارث التقلبي (ت : ٩٤ ق . هـ)**

٩٧. ديوان مهلهل ، تحقيق، طلال حرب، الدار العالمية للنشر (الاسكندرية ، د. ت)

❖ **ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)**

٩٨. تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: علي شيري، دار الفيها (بيروت ، ١٤١٥هـ)

❖ **العسكري، ابي هلال الحسن بن علي بن سعد بن سهل (ت : ٣٠٠ هـ)**

٩٩. جمهرة الأمثال ، تحقيق: محمد ابو الفضل وعبد المجيد قطامش ، (مصر، ١٩٦٤م).

❖ **علقمه الفحل ، بن عبده بن ناشره بن قيس (ت ٢٠ ق. هـ)**

١٠٠. ديوان علقمه الفحل ، شرح الامام السمنتري، تحقيق، لطفي الصقال ، دريه الخطيب، دار الكتاب العربي (بيروت – ١٩٦٩)

❖ **ابن عماد الحنبلي، ابو فلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري (ت ١٠٨٩هـ).**

١٠١. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق: محمود الارناؤوط، دار كثير (بيروت ١٩٨٦).

❖ **عمرو بن كلثوم بن مالك بن سعيد (ت: ٣٩ ق. هـ)**

١٠٢. ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق: أميل بديع يعقوب ، دار الثراث العربي (بيروت – ١٩٩١م) .

❖ **الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ، ١٧٥هـ).**

١٠٣. كتاب العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط٢، دار ومكتبة الهلال، (بيروت، د. ت)

❖ **الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ).**

١٠٤. القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في دار الرساله ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – ٢٠٠٥م)

❖ **الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت : ٧٧٠ هـ)**

١٠٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية (بيروت ، ٢٠١٠م)

❖ **ابن الفقيه ، ابو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق ، (ت ٣٦٥هـ).**

١٠٦. البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، (بيروت – ١٩٩٦م)

❖ **القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ).**

١٠٧. الأمالي، تحقيق، محمد عبد الجواد الاصمعي، ط ، ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – ١٩٢٦م)

❖ **ابن قتيبه ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ).**

١٠٨. الشعر والشعراء، تحقيق: ثروت عكاشه ، ط ٤ ، دار المعارف (القاهرة د.ت).

❖ **القرشي، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب (ت ١٧٠ هـ).**

١٠٩. جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق: علي محمد البحاري ، مطبعة النهضه (مصر ، ١٩٨١م).

❖ **القرطبي، يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (ت ٤٦٣ هـ)**

١١٠. بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهب الهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الجبل : (القاهرة – د.ت)

❖ **القزويني ، ابو عبد الله بن زكريا (ت : ٦٨٢ هـ)**

١١١. آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر بيروت – د.ت)

١١٢. عجائب المخلوقات والحيوانات و غرائب الموجودات ، مؤسسة الأعلى (دمشق – ٢٠٠١)

❖ **القيرواني ، الحسن بن رشيق الازدي (ت ٤٥٦٠ هـ).**

١١٣. العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، (بيروت: ١٩٧٣م).

❖ **ابن كثير، ابو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ)**

١١٤. تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامه، دار طيبه النشر (الرياض ، ١٩٩٩م)

١١٥. البداية والنهاية، تحقيق لجنه باشراف دار النشر، مكتبة المعارف ط٢، (بيروت، ١٩٩٠م).

❖ **الكلاعي، ابن الربيع سليمان بن يوسف الاندلسي (ت : ٦٣٤هـ).**

١١٦. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، تحقيق: محمد كمال الدين ، عز الدين علي ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٧م)

❖ **الكندي ، ابو عمر بن يوسف بن يعقوب (ت: ٣٥٠ هـ).**

١١٧. كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد و احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٢م).

❖ **ابن ماجه ، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني، (ت : ٢٧٥ هـ)**

١١٨. سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، د.ت)

❖ **ابن ماكولا ، ابو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، (ت: ٤٧٥ هـ)**

١١٩. اكمال الكمال ، دار احياء التراث العربي (بيروت، د. ت)

❖ **الماوردى، ابو الحسن علي بن محمد بن ابي حبيب (ت : ٤٢٩ هـ).**

١٢٠. اعلام النبوه، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربية (بيروت ١٩٨٧م)

❖ **المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٥هـ).**

١٢١. الكامل في اللغة والادب والنحو والصرف، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، ط ٢، (القاهرة ، ١٩٩٧م)

❖ **محمد بن اسحق، (١٥١ هـ/ ٧٦٨م).**

١٢٢. السيره ، تحقيق : محمد حمد الله ، معهد الدراسات والابحاث والتعريب، د.ت

❖ **المرزباني ، ابو عبد الله عمران بن موسى (ت : ٨٤ هـ)**

١٢٣. معجم الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وعيسى الحلبي (القاهرة ، ١٩٦٠ م)

❖ **المرزوقي، ابو علي الاصفهاني (٤٢١ هـ) .**

١٢٤. الازمنه والامكنه ، مطبعة مجلس دائرة المعارف (الهند ، ١٣٣٢ هـ)

❖ **المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت : ٧٤٢ هـ) .**

١٢٥. تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ط٤، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٢ م)

❖ **المزني، زهير بن أبي سلمى بن رباح (ت : ٦٠٩هـ).**

١٢٦. ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق ، علي حسن فاعور دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٨م).

❖ **ابن المستوفي، المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (ت: ٦٣٧هـ).**

١٢٧. تاريخ أربل ، تحقيق : سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨٠م)

❖ **المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ).**

١٢٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الاندلس (بيروت – ١٩٦٥)

١٢٩. التنبيه والاشراف ، دار صعب (بيروت، د.ت)

❖ **مسلم، ابن الحجاج بن مسلم (ت ٢٦١ هـ).**

١٣٠. صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي (بيروت، ١٩٧٢م)

❖ المطرزي ، ابو الفتح

١٣١. المعرب في ترتيب المعرب ، تحقيق، محمد فاخوري ، مكتبة اسامه بن زيد (حلب – ١٩٧٩م)

❖ **المغيري، عبد الرحمن بن حمد بن زيد،**

١٣٢. المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ، تحقيق، علي المدني، دار المدني للنشر والتوزيع (جده – ٢٠٠٧م)

❖ **المقري، احمد بن محمد بن علي (ت: ٧٧٠هـ)**

١٣٣. المصباح المنير، تحقيق محمد بشير الأدلبي ، المكتبة العلمية (بيروت ١٩٨١م)

❖ **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) .**

١٣٤. مختار الاغاني في الاخبار والتهاني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، ١٩٦٥م)

١٣٥. لسان العرب، دار صادر (بيروت – ١٤١٤ هـ).

❖ **ابو منصور، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)**

١٣٦. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٥)

❖ **الميداني، ابو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم ، (ت : ٥١٨ هـ)**

١٣٧. مجمع الامثال ، تحقيق : محمد محي الدين ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٥٥)

❖ **النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي بن يحر، (ت ٣٠٣ هـ)**

١٣٨. سنن النسائي، تحقيق : عبد الغفار سليمان النداوي وسيد كسروي حسن، ط١، ١٩٩١م.

❖ **النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون (ت: ٣٦٣ هـ)**

١٣٩. دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام من اهل بيت رسول الله ، تحقيق: آصف بن علي فيضي، دار المعارف (بيروت، ١٩٦٣م)

❖ **النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم شهاب الدين (ت : ٧٢٢ هـ)**

١٤٠. نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ١٤٢٢ هـ)

❖ **الهاشمي، ابو الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعه (ت: ٤٠٠هـ).**

١٤١. الامثال، دار سعيد الدين ، (دمشق – ٢٠٠٢م)

❖ **ابن هشام، ابو محمد عبد الملك، (ت : ٢١٣ هـ).**

١٤٢. السيره النبويه ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده مصر ، (القاهرة، ١٩٥٥)

❖ **ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد ،**

١٤٣. الأوائل، تحقيق : وليد قصاب ، محمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر ، (الرياض ١٩٧٥).

❖ **الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ).**

١٤٤. صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الاسبوع ، مكتبة الارشاد (صنعاء – ١٩٩٠م)

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ) ،

معجم البلدان، ط ، ، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م

.١٤٥

❖ **اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، (ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).**

١٤٦. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت – د.ت)

ثانياً : المراجع الثانوية :

❖ ابراهيم ، محمد ابو الفضل ، علي محمد البجاوي ،

١. ايام العرب في الجاهلية، المكتبة العصريه (بيروت – ٢٠٠٧م)

❖ ابراهيم ، طه احمد،

٢. تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة ، (بيروت – د.ت)

❖ احمد امين سليم،

٣. جوانب من تاريخ وحضارات العرب في العصور القديمة ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهره – ١٩٩٧)

الالباني ، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت: ١٤٢٠ هـ)

٤. السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف للنشر (الرياض – ١٩٩٥)

❖ الاسيوي ، يوحنا،

٥. تاريخ الكنيسه ، ترجمة ، صلاح عبد العزيز محجوب ، المركز القومي للترجمة (القاهره – د . ت)

❖ الافغاني ، سعيد

٦. اسواق العرب في الجاهلية، المكتبة الهاشميه، (دمشق، د.ت)

❖ اولند ، جو نار،

٧. ملوك كنده من بني أكل الحرارة ترجمة : عبد الجبار المطلبي ، دار الحرية للطباعه ، (بغداد، ١٩٧٢م)

❖ ابو عواد، إبراهيم،

٨. الاساس الفكري للجاهلية، دار اليازوري، (الاردن – ٢٠٠٧م)

❖ امين أحمد،

٩. فجر الاسلام، مؤسسة هداوي للتعلم والثقافة (القاهرة – ٢٠١٢م)

❖ احمد محمد عبد القادر

١٠. الاعلام في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ٢٠٠٣)

❖ براونستون ، ايرين فرانك،

١١. طريق الحرير، ترجمة : احمد محمود المجلس الاعلى للثقافة ، (القاهرة ١٩٩٧م)

❖ باقر طه،

١٢. مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة ، شركة دار الوراق، (بيروت ٢٠٠٩م)

❖ بروكلمان، كارل

١٣. تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبد الحميد النجار طه، دار المعارف، (القاهره، د. ت)

❖ بروه، توفيق،

١٤. تاريخ العرب القديم ، ط٦، دار الفكر المعاصر (بيروت ، ٢٠٠٧)

❖ بيخو ليفو ليفيسكا،

١٥. نينا فكتور فتا العرب على حدود بيزنطه وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، ترجمة، صلاح الدين عثمان، المجلس الوطني للثقافة وفنون الادب (الكويت – ١٩٨٥م

❖ البستاني، بطرس

١٦. ادباء العرب في الجاهليه وصدر الاسلام ، دار المكشوف ودار الثقافة، (بيروت ، ١٩٦٨م)

❖ البلداوي ، عدنان عبد النبي،

١٧. اللقاحات الادبيه في الجاهلية والاسلام طبيعتها واثرها في النقد النص الشعري، مطبعة الشعب ، (بغداد ، ١٩٧٦م)

❖ بشير يمون،

١٨. شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، المكتبه الاهليه (بيروت – ١٩٣٤)

❖ الجرو، اسمهان سعيد،

١٩. دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم ، دار الكتب الحديثة، (بيروت – ٢٠٠٣ م)

❖ الجميلي، رشيد

٢٠. تاريخ العرب في الجاهليه وعصر الدعوة الاسلامية ، ط ٣ (مطبعة الرصافي ، (بغداد – ١٩٧٦)

❖ ديورانت، ويليام جيمس ،

٢١. قصة الحضاره ، ترجمة : لنجيب محمود تقديم : محيى الدين صبار، دار الجيل (بيروت – ١٩٨٨م)

❖ حسن إبراهيم حسن،

٢٢. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٤، مكتبة النهضه ، (القاهرة – ١٩٩٦)

❖ الحمد جواد مطر،

٢٣. الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم اخلال الألف الأول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي ٥٢٥ ، دار الثقافة العربية (اليمن – ٢٠٠٣م)

❖ حمود، عرفان محمد،

٢٤. سوق عكاظ ومواسم الحيح، دار الكتب العلمية ، (بيروت، ٢٠٠٦)

❖ حوراني، جورج فضلو،

٢٥. العرب والملاحه في المحيط الهندي في العصور القديمة، ترجمة يعقوب بكر ، دار الانجلو (القاهرة ١٩٥٨م)

❖ الحلو، عبد الله

٢٦. صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ، (ما بين العصر السومري وسقوط الملكه التدمريه ، شركة بيسان للنشر والتوزيع (بيروت –١٩٩٩م)

❖ الحديثي، نزار عبد اللطيف،

٢٧. محاضرات في التاريخ العربي ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد – ١٩٧٩م)

❖ الحسين، قصي،

٢٨. من معالم الحضارة العربية الاسلامية ، ط١، مؤسسة الجامعة (بيروت ١٩٩٣م)

❖ الخطيب ، محمد

٢٩. الدين والاسطوره عند العرب في الجاهلية ، منشورات دار علاء الدين (سوريا – ٢٠٠٤م)

٣٠. المجتمع العربي القديم العصر الجاهلي ، ط ، ، دار علاء الدين ، (سوريه ٢٠٠٨)

❖ خفاجي ، محمد عبد المنعم

٣١. الشعر الجاهلي ، ط ٣، دار الكتابة اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠م)

❖ خفاجي، محمد عبد المنعم وعبد العزيز شرف،

٣٢. التغير الاعلامي للادب العربية، دار الجيل ، (بيروت، ١٩٩٦)

❖ الدوري، عبد العزيز،

٣٣. مقدمه في تاريخ صدر الاسلام ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٩م)

❖ رستم ، أسد،

٣٤. الروم وسياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب دار المكشوف (بيروت، ١٩٥٥م)

❖ الزركلي ، خير الدين (ت : ١٤١٠ هـ)

٣٥. الاعلام ، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٠م)

❖ زغلول، سعد

٣٦. تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت – ١٩٦٧)

❖ سالم ، عبد العزير،

٣٧. دراسات في تاريخ العرب الدولة العباسية ، مؤسسة شباب الجامعة و الاسكندريه – ١٩٦٨م)

❖ سحاب ، فكتور،

٣٨. سوق عكاظ، دار المحترف السعودي ، للنشر والتوزيع (جده . ٢٠١١)

❖ سليم احمد امين ،

٣٩. معالم تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الفكر (بيروت د.ت)

❖ سوسه ، احمد

٤٠. حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، المكتبه الوطنيه للنشر، (بغداد – ١٩٧٩م)

❖ السيد عبد اللطيف عبد الهادي مجد،

٤١. جزيرة العرب قبل الاسلام عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث القاهره – ٢٠٠٨م)

❖ الشريف ، احمد إبراهيم ،

٤٢. مكه والمدين في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٦٥م)

❖ شكري ، الألوسي ، محمود شكري،

٤٣. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ط، تحقيق: محمد بهجه الاثري، المطبعة الرحمانية (القاهرة – ١٩٥٢م)

❖ شكري فيصل،

٤٤. المجتمعات الاسلاميه في القرن الأول، ط ٣ ، دار صادر، (بيروت ١٩٨٧م)

❖ شمس الدين إبراهيم،

٤٥. مجموع ايام العرب في الجاهلية والاسلام ، دار الكتب العلمية بيروت – ٢٠٠٢ م)

❖ صفوت، احمد زكي،

٤٦. جمهرة خطب العرب في العصور العرين الزاهرة ، المكتبة العلمية (بيروت ٢٠٠٩م)

❖ صالح ، عبد العزيز،

٤٧. تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة ، ٢٠١٠م)
❖ ضيف ، شوقي،
٤٨. تاريخ الادب العربي ، ط ١١، دار المعارف (القاهرة ١٩٦٠م)
❖ عطيه أدوار،
٤٩. العرب، ترجمة محمد قنديل البقلي ، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦١)
❖ العاملي ، احمد رضا،
٥٠. مولد اللغه ، منشورات دار ومكتبة الحياة (بيروت، ١٩٦٥م)
❖ عبد الله ، يوسف محمد،
٥١. اوراق في تاريخ اليمن واثاره ، ط ٢، دار الفكر المعاصر، (بيروت – ١٩٩٠)
❖ عبد الكريم، خليل،
٥٢. قريش من القبيله الى الدولة المركزية ، ط ، مؤسسة الانتشار العربي (بيروت ، ١٩٩٧م)
❖ عبد الحميد محي الدين .
٥٣. شرح ديوان عمر بن ابي ربيعه المخزومي ، مطبعة السعاده (مصر ١٩٥٠م)
❖ عطيه ، محمد هاشم
٥٤. الادب العرب وتاريخه في العصر الجاهلي ، ط ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٣٦م)
❖ علي ، جواد،
٥٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، طع، دار الساقي للنشر (بيروت – ٢٠٠١م)
❖ العلي ، صالح احمد

٥٦. محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة الارشاد (بغداد – ١٩٩٧م)

❖ عواطف اديب سلامه،

٥٧. قريش قبل الاسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني ، ط الادار الريخ ، (الرياض – ١٩٩٤م)

❖ عوض، إبراهيم،

٥٨. فصول في ثقافة العرب قبل الاسلام، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ٢٠٠٦م)

❖ العنبكي ، منير ،

٥٩. معجم اعلام المورد، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٩٢م)

❖ العيسى ، سالم،

٦٠. تاريخ الفساسنه نسبهم حروبهم تنقلاتهم ديانتهم ثقافتهم، دار التميز ، (دمشق – ٢٠٠٧)

❖ غنيمه ، يوسف،

٦١. الحيرة (المدينة والمملكه العربية) ، مطبعة ونكور ، (بغداد – ١٩٣٦م)

❖ فخري ، احمد،

٦٢. دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة – ١٩٣٦م)

❖ فرج عفيف،

٦٣. الجذور الشرقية للثقافه اليونانيه ، دار الادب، (بيروت – ٢٠٠٧)

❖ فيصل ، شكري،

٦٤. المجتمعات الاسلاميه في القرن الأول نشأتها مقوماتها تطورها اللغوي والادبي ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٨١م)

❖ فياض علي اكبر،

٦٥. تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام، ترجمة : عبد الوهاب علوب ، جامعة القاهرة (القاهرة، ١٩٩٣م)

❖ كحاله عمر

٦٦. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٦٨م)

❖ كرون – باتريشا

٦٧. تجارة مكه وظهور الاسلام ، ترجمة ، أمال محمد الروبي، المجلس الأعلى للثقافة (القاهره – ٢٠٠٥م)

❖ لويس برنارد،

٦٨. العرب في التاريخ، ترجمة : نبيه امين فارس و محمود يوسف ، دار العلم للملايين (بيروت – ١٩٥٤م)

❖ الموسوي، جواد مطر، والجنابي، قيس حاتم هاني،

٦٩. تاريخ الاقتصاد العربي القديم، دار صفاء (عمان – ٢٠١٧ م)

❖ محمود عرفه محمود،

٧٠. العرب قبل الاسلام أحوالهم السياسية والدينيه واهم مظاهر حضارتهم، عين للدراسات والبحوث ، (القاهرة – ١٩٩٥م)

❖ معروف ناجي ،

٧١. اصالة الحضارة العربية ، ط ٢، مطبعة التضامن، (بغداد – ١٩٦٩م)

❖ محمد ابو المحاسن مصفور

٧٢. معالم تاريخ الشرق الادنى القديم، دار الفكر ، (بيروت، ١٩٩٥م)

❖ معطي ، علي محمد،

٥٨. تاريخ العرب الاقتصادي قبل الاسلام ، دار المنهل ، (لبنان – ٢٠٠٣)

❖ مجموعه من الباحثين

٧٣. بحوث ودراسات في تاريخ العرب، دار طلاس (دمشق – ٢٠٠٠)

❖ مهران محمد بيومي،

٧٤. دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرف الجامعية (الإسكندرية د.ت)

❖ الملاح، هاشم يحيى

٧٥. الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٨)

٧٦. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشده ، (الموصل – ١٩٩١)

❖ طقوش، محمد سهيل

٧٧. تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٩م)

❖ معلوف، عيسى

٧٨. إسكندر التجارة عند الاسم القديمه إلى عهد العرب، مطبعة المقتطف (القاهرة ١٩٢٩م)

❖ هيكل، محمد حسين،

٧٩. حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ط٤، دار المعارف (القاهره – د . ت)

❖ ولفنسون ، اسرائيل،

٨٠. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية والاسلام ، مطبعة الاعتماد القاهره – ١٩٢٧م)

❖ نولدكة، تيودور،

٨١. امراء غسال، ترجمة ، بندلي جوزيف ، قسطنطين زريق، دار الوراق للنشرا بيروت – ٢٠٠٩م)

❖ الندوي، ابو حسن ، (ت ١٤٢٠ هـ) .

٨٢. السيرة النبويه، دار ابن كثير، (دمشق – ٢٠٠٤)

❖ النجار، عبد المجيد،

٨٣. فقه التحضر الاسلامي ، دار الغرب الإسلامي (بيروت – ٢٠٠٦ م)

❖ النجار، فخري خليل

٨٤. تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار صفاء (عمان – ٢٠٠٩ م)

❖ الهادي ، عبد اللطيف عبد

٨٥. جزيرة العرب قبل الاسلام عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث، (القاهرة ٢٠٠٨م)

ثالثاً : الرسائل والاطاريح

❖ الجاويش، عبد الرحمن يوسف عبد الرحمن،

١. الموارد الطبيعيه في اليمن القديم ، حضارة اليمن انموذجاً ، رسالة ماجستير، (غير منشوره)، جامعة صنعاء ، ٢٠١٢،

❖ الجبوري ، مريد صالح ضامن،

٢. كنده ودورها السياسي والاقتصادي في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٤م)

❖ حسن ، راجيه عبد الرزاق،

٣. العلاقات اليمنيه قبل الاسلام (القرن الرابع حتى السادس الميلادي رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصره (كلية الآداب ، ٢٠٠١)

❖ الحسناوي، أمل عجيل ابراهيم ،

٤. الاعلام عند العرب قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب (جامعة الكوفة ، ٢٠١٠) .

❖ الحسيني ، خالد موسى عبد

٥. الحياة الاجتماعية في الحيره ، دولة المناذرة ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب (جامعة الكوفه ، ١٩٩٦)

❖ دحاج، ليبيا عبد الله ناجي،

٦. المحاصيل الزراعية في اليمن القديم (دراسة تاريخيه ، رسالة ماجستير ، (غير منشوره) ، كلية الآداب، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٩

❖ الدليمي ، دحام كامل ساجر،

٧. عمرو بن معد يكرب الزبيدي دراسه في سيرته وأثره السياسي والعسكري، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية التربية ابن رشد (جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م)

❖ زنيد، خالد

٨. التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، (غير منشوره) ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٢.

❖ العمران، جاسم محمد كاظم،

٩. مواسم العرب واسواقها واثرها في الادب العربي قبل الاسلام اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد ، كلية التربيه ١٩٨٩م)

❖ عنان ، عبد الرحمن،

١٠. السفارات ودورها في تدعيم العلاقات الدولية ، (رسالة ماجستير في الشريعة والقانون (جامعة الحاج خضره كلية العلوم الاجتماعية والاسلامية الجزائر – ٢٠٠٩ م)

❖ المري ، افنان محمد شجاع عبد الله .

١١. العلاقات التجارية بين اليمن وبلاد الشام قبل الميلاد ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، ٢٠١٩.

رابعاً : البحوث والدوريات

❖ الجنابي ، قيس حاتم هاني

١. الصلات التجارية بين شمال جزيرة العرب والحسين قبل الاسلام ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الرابع (العلاقات العربية الصينية) .كلية الآداب، جامعة قناة السويس ، ٢٠١٢ م)

❖ الحسيني ، خالد موسى، والقبانجي ، الهام،

٢. المحطات التجارية قبل الاسلام ، بحث منشور في مجلة اداب الكوفه ، المجلد ٩، العدد ٢٦ ، ٢٠١٩)

❖ الخرابشه ، محمود

٣. طرق التجارة في .بلاد الشام في العصر البيزنطي من القرن الأول الى السابع الميلادي ، بحث منشور ، في المجله الاردنيه للتاريخ والآثار ، العدد ، ١٢، ٢٠١١م)

❖ ضميريه ، عثمان جمعه .

٤. السفارة والسفراء في الاسلام ، مجلة سلسلة دعوة الحق ، العدد (١٩١) (الاردن – ٢٠٠٠)

❖ مهيوب ، غالب احمد كليب

٥. الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب قبل الاسلام ، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢١، ٢٠١١.

❖ الموسوي، جواد مطر،

٦. مقومات التجارة في اليمن القديم ، بحث منشور في مجلة كلية التربية ، جامعة الكوت ، العدد١، ٢٠٠٦.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, alone, abundant and blessed praise, as befits the majesty of Your Face and the greatness of Your power. I bear witness that there is no god but Allah alone, without partner. He created the worlds from Adam and Eve, and made them peoples and tribes so that they might know one another, and He set the balance as a separator between truth and falsehood. Indeed, the most honorable of you in the sight of Allah is the most righteous of you. I bear witness that our Master Muhammad, peace and blessings be upon him, is the Seal of the Prophets. Allah, the Most High, sent him to bring people out of darkness into the light as a bringer of good tidings and a warner. So whoever wishes, let him believe, and whoever wishes, let him disbelieve. And your Lord is not unjust to His servants. So he was the Prophet of Mercy and the Prophet of the Epic, and the Ambassador of Heaven to the people of the Earth, and the role model of the Messengers and Prophets. And after that... The world has known, since the most ancient times, various types of direct and indirect means of communication, which were prompted by the causes of life, the needs and problems that beset it. Among these means were the embassy and the delegation. The embassy and the delegation have been known since the most ancient times among various countries and peoples. The Greeks and Romans knew this type. From international communications, and the ancient Chinese civilization knew it, and it was known before the ancient Egyptians.

The Arab nation in all parts of the Arabian Peninsula and its vast areas was not less than the neighboring nations in this field, but I see it as more in need of this type of communications, due to the nature of the land, the conditions of life and the harshness of living, the coarseness and harshness of

some souls, the abundance of problems on the political and social level, and what tribal life reflected in terms of circumstances.

It is worth noting that the strategic location of the Arab countries, adjacent to the centers of ancient civilizations such as the Mesopotamian civilization, the Phoenician civilization, the Egyptian civilization, and the Persian civilization, helped the Arab embassies flourish and the Arabs enter into friendly relations with their neighbors, especially in the fifth and sixth centuries AD, as those centuries witnessed the Arabs' communication with the Persian and Byzantine empires, as they were the two largest political and military powers at that time, so ambassadors and delegations from the Arab kingdoms such as Al-Hirah, the Ghassanids, and Kinda came one after the other to these two empires, in addition to local ambassadors and delegations. In addition to the external Arab relations, there were internal relations between the Arab kingdoms themselves, on all political, economic and social levels. The demands and purposes of these embassies varied, including releasing prisoners, seeking friendship and good neighborliness, and forming alliances between countries and tribes. Man, by nature, was forced by his social life to communicate with others and to receive and convey ideas and news. According to this basis, the study examines the extent of the Arab mind's ability to innovate in the field of embassy and delegation, in harnessing circumstances and finding ways to achieve goals and purposes, relying on their cultural heritage, because it is one of the established historical facts that the Arabian Peninsula was not isolated from the civilizations around it, which contributed a remarkable cultural contribution that left its mark on the cultural heritage of humanity. The Arabs' connection with the peoples and nations around them was solid and struck deep into the depths of history throughout its ages, and its changing roles. We

must comprehend that bright past and understand it in the correct way, without being influenced by the opinions that try to Underestimating and belittling our Arab nation.

Because ambassadors and delegations are evidence of advancement and civilization, it was necessary to highlight the role that the Arabs' traditional customs contributed to in protecting and honoring ambassadors and delegates.

Because of the breadth of the topic and its early age, the researcher faced difficulties caused by the multiplicity of the topic's joints and paragraphs, which necessitated referring to a large number of different sources and references to give each chapter of the thesis what it deserves in terms of clarification and documentation, relying on a number of sources of language, literature, history and geography, which required double efforts and investing most of the time in research and investigation among the folds of this diverse knowledge, what is suitable for the subject of the study, in addition to the scarcity or absence of the Arab library of academic studies on this topic, as its material is scattered in the bellies of books, but I made an effort to collect it, in addition to the efforts of my distinguished professors.

The nature of the research required dividing it into four chapters, the paragraphs of which were increased or decreased according to the context of the topic and its research requirements, in addition to the introduction and conclusion, a list of sources, and a summary in English.

The first chapter discussed the geography of the Arabian Peninsula, then we discussed the geographical location in addition to the climate and its impact on the nature of the work of ambassadors and delegations, and at the end of the chapter we discussed the most important roads and means of transportation before Islam.

The second chapter focused on the ambassadors and delegations of the Arabs in the Kingdom of Al-Hirah and the Sassanid Empire, so we discussed ambassadors and delegations in language and terminology, in addition to the synonymous terms, such as messenger, envoy, and mail. The study also discussed ambassadors and delegations in the Kingdom of Al-Hirah, and ambassadors and delegations to Khosrow to boast about their lineage and ancestry and to prefer their tribes over other nations.

The third chapter presented the ambassadors and delegations of Quraysh and their role in the Arabian Peninsula, where it dealt with the delegations of Quraysh to Yemen as well as the role of ambassadors and delegations of Quraysh in forming alliances between countries and tribes, in addition to delegations to markets before Islam. As for the fourth chapter, it focused on the role of ambassadors and delegations in other Arab kingdoms, such as ambassadors and delegations in the Ghassanid Kingdom, and the most famous ambassadors and delegations in the court of the Kingdom of Kinda before Islam, in addition to addressing the most famous wars of the Arabs and their days and the peace delegations in them.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Iraqi University/ College of Education/ Department of History



Ambassadors and Delegations in the Societies of the Arabian Peninsula in the Fifth and Sixth Centuries AD

AH Message submitted to

The Council of the College of Education / Iraqi University, which is part

of the requirements

for obtaining a master's degree in Islamic history

by the student

Saad Hussein Hammadi Al-Muhammadi

Supervisor

Assis. Prof. Dr. Omar Amer Abboud

1446 AH 2024 AD